

كتاب الساعة

حرب رمضان

الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة

أكتوبر ١٩٧٣

اللواء : حسن البدرى
اللواء : طه المجدوب
عميد أ.ح : ضياء الدين زهدى



كتاب الساعة

حرب رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٤



الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة

أكتوبر ١٩٧٣

(الطبعة الثالثة)

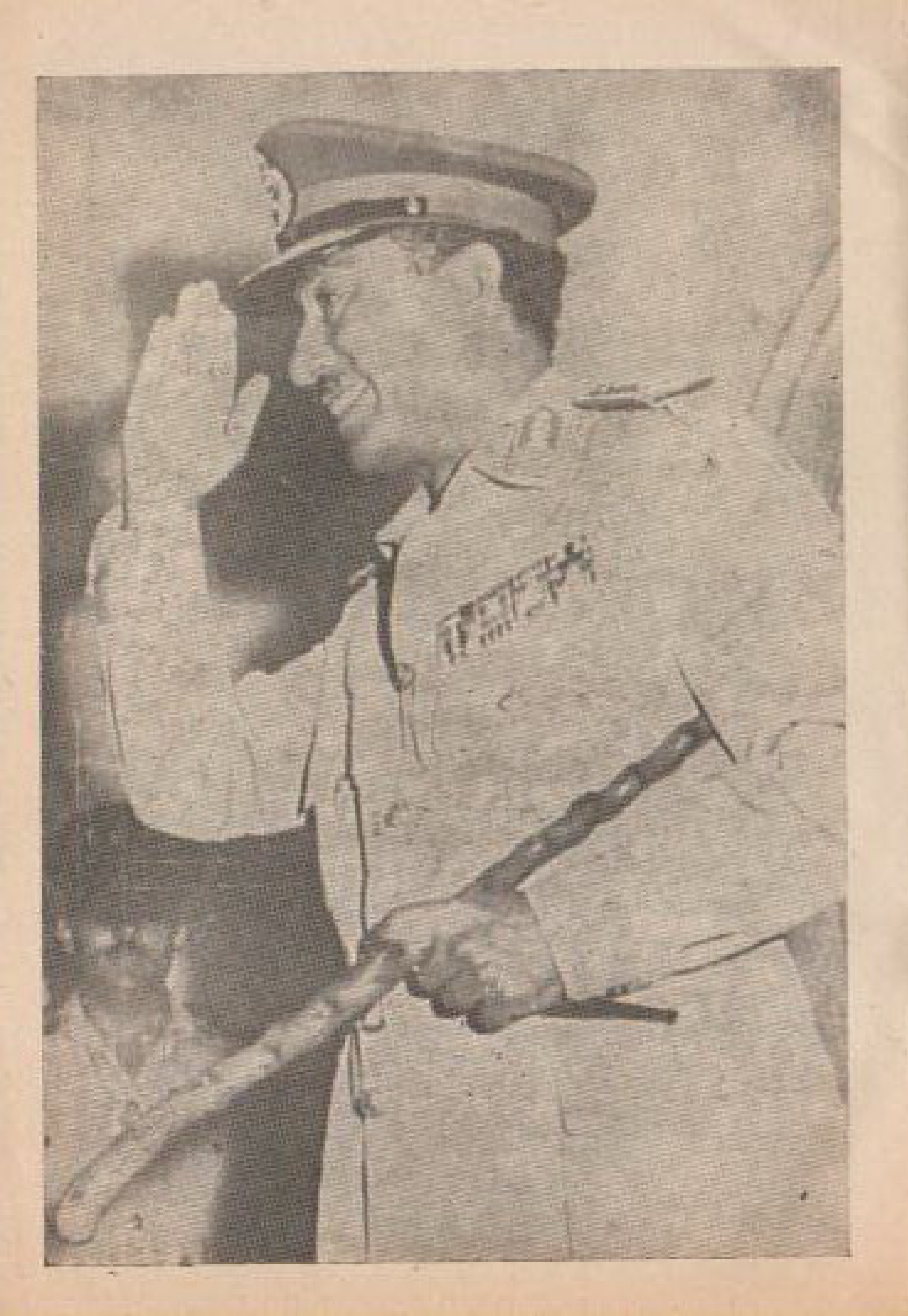
اللواء : حسن البدرى
اللواء : طه المجدوب
عميد أ.ح : ضياء الدين زهدى

الإهـــداء

الى شهداء العرب ... كل الشهداء على درب الكفاح الطويل .

من بدر الأولى عام ٦٢٤ ميلادية الى بدر الثـانية (حرب رمضان) عام ١٩٧٣ وما سـوف يتلوها من حروب ؟

المؤلفون



سوف يجىء اليوم الذى نجلس فيه لنقص ونروى ماذا فعل كل واحد منا فى موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وأدى دوره ، وكيف خرج الابطال من هذا الشعب وهذه الامة ، فى فترة حالكة ، يحملون مشـــاعل النور لتضىء الطريق ، حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر بين اليأس والرجاء .

محمد أنور السادات

بسم الله الرحمن الرحيم

مع دقة المهمة التى كلفنى القائد الاعلى بانجازها ، والتى جمعت بين اهداف عبور واقتحام قناة السويس وبين تحرير الأرض .. كان لابد أن أعمل على توفير كل أسباب النجاح قبل البدء فى التنفيذ . وعلى هذا ، فقد حرصت على أن يكون التخطيط للمعركة محكما ودقيقا وأن يتم الاعداد لها على اسس علمية مدروسة ..

وواصلنا العمل فى صبر وصمت ...

وعندما وثق الجميع فى انفسهم وفى قدرتهم على تحقيق مهامهم بنجاح ، تحدد التوقيت ، بعد دراسة عميقة وتنسيق كامل مع رفقة السلاح فى سوريا الشقيقة .

وانطلق الرجال نحو الهدف .. يساندهم شعبنا البطل الذى منحهم ثقته المطلقة ... فقاتلوا بشجاعة وبشرف ... وبرزت حقيقة معدنهم الأصيل ... واكدوا أنهم بالتدريب الجاد ، وبالايمان بالهدف مع الاصرار على تحقيقه ، لقادرون على تحقيق النصر فى المعارك الحربية الحديثة .

لهذا فقد نصرهم الله ، انه نعم المولى ونعم النصير ؟

١٩٧٤/٢/٢٤

مشير

احمد اسماعيل على

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة



الباب الأول

الخلفيّة السّياسيّة

السلام .. بالحرب

● بانتهاء الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة صيف ١٩٦٧ ، بذلت الدول العربية جهودا سياسية ودبلوماسية واسعة ، لتهيئة الظروف المواتية لارساء سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .

وصاحب هذه الجهود عدة محاولات لايجاد تسوية للنزاع العربى الاسرائيلى ، قام بها المجتمع الدولى بصفة عامة ، والقوى الكبرى على وجه الخصوص ، ثم مجموعة الدول العربية وجمهورية مصر العربية على وجه أخص ..

وتحطمت كل هذه الجهود وتلك المحاولات على صخرة الرفض والتعنت الاسرائيلى ، وظهر جليا أن ما يحتويه قاموس اسرائيل من مفاهيم لا يخرج عن .. العدوان .. والتوسع .. واغتصاب الحقوق .. وفرض الواقع بكل ما يحمله من ظلم واجحاف .. والاستهانة بالرأى العام العالمى .. وازدراء المنظمات الدولية .. واستبان لكل منصف انه لا بديل للعرب عن الحرب ليحققوا السلام العادل المنشود ..

لقد كان من المستطاع ان يحقق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن فى ٢٢ من نوفمبر ١٩٦٧ تسوية مقبولة لمشكلة الشرق الأوسط ، وأن يرسى دعائم سلام عادل فى المنطقة .. ولكن اسرائيل والقوى الامبريالية المساندة لها عملت بكل ما وسعها الجهد على عرقلة تنفيذ القرار ، ثم تجميده ..

وكان القرار يقوم على دعامتين اساسيتين هما :

١ ــ عدم شرعية الاستيلاء على الأراضي بواسطة الحرب .

٢ ــ ضرورة العمل من اجل سلام عادل ودائم ، تستطيع كل دولة من دول المنطقة ان تعيش فيه بأمان .

ويستطرد القرار فينص على سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في عدوان ١٩٦٧ ، كما ينص على انهاء حالة الحرب ، والعيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها . . .

ويورد القرار ترتيبات معينة للملاحة في الممرات البحرية ، وتسوية مشكلة اللاجئين ، وضمان السيادة الاقليمية لدول المنطقة ، وتعيين ممثل خاص للسكرتير العام يجرى اتصالات مع الدول المعنية للوصول الى اتفاق مقبول . . .

ومنذ صدر القرار ، واسرائيل لا تني عن وضع العراقيل في طريق تنفيذه ، وتتذرع بالابهام والغموض الذي يشوب تلك الفقرة في النص الانجليزي القائلة « بسحب القوات الاسرائيلية من أراضي احتلتها » لتبرر بقاءها في الأراضي العربية المحتلة . . . ورغم أن بطلان هذا الزعم الذي تستند اليه اسرائيل تؤكده نفس مقدمة القرار ، اذ تنص على عدم جواز الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب .

لقد قام السكرتير العام للأمم المتحدة بتعيين السفير جونار يارنج ممثلا خاصا له في الشرق الأوسط ، لمداومة الاتصال مع الدول المعنية بهدف تشجيع الاتفاق ، والمساعدة بجهوده للتوصل الى تسوية سلمية مقبولة طبقا للنصوص والمبادىء الواردة في القرار ٢٤٢ .

وقدم يارنج تقاريره الى مجلس الأمن عن مهمته ، واتضح منها ان اسرائيل اتخذت منذ الوهلة الأولى موقفا خاصا يقوم على ان التوصل الى حل للأزمة لا يمكن ان يتم الا من خلال « المفاوضات المباشرة بين الأطراف المعنية » ، وان قواتها المسلحة لن تنسحب من الأراضي المحتلة قبل التوصل الى حل تقبله اسرائيل ، كما اقترح وزير خارجيتها برنامج عمل للمفاوضات المباشرة مع العرب . . .

ورفضت اسرائيل اعطاء السفير يارنج تصريحا يؤكد استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، متذرعة بان هذا القرار لا يخرج عن كونه مجرد اطار للاتفاق ، وانه يستحيل تنفيذه دون مفاوضات مباشرة .

وفي المرحلة الثانية من مهمة السفير جونار يارنج اكدت اسرائيل موقفها السابق بالنسبة لتفسير قرار مجلس الأمن ، واصرت على ان الانسحاب يجب أن يتبع الاتفاق بين الأطراف على حدود آمنة ، بينما رأت مصر ان القرار يتضمن خطة لتسوية النزاع يتعين على الأطراف تنفيذها طبقا لاجراءات يضعها الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة .

واخيرا ، وفي المرحلة الثالثة التي تميزت بمطالبة الأطراف بالالتزام ــ عن طريق مذكرة رسمية مكتوبة ــ بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبعد قبول الأطراف مبادرة روجرز ، حاولت اسرائيل عرقلة المحادثات ، فامتنعت عنها لمدة اربعة اشهر .. وعندما استؤنفت الاتصالات ، وقدم السفير يارنج مذكرته في فبراير ١٩٧١ طالبا من الأطراف المعنية تقديم بعض الالتزامات مقدما ، على أن تكون متبادلة ، وافقت مصر على هذه الالتزامات ، بينما جاء رد اسرائيل في شكل تعليق على مذكرة مصر ، ولم تتعرض للالتزامات المطلوبة منها من قريب او بعيد .. بل ظلت تصر على عدم الانسحاب الى حدود يونية ١٩٦٧ .

وبهذا الموقف المتعنت ، ورغم النداء الذي وجهه السكرتير العام للأمم المتحدة الى اسرائيل لكي ترد ايجابيا على مذكرة السفير يارنج ، ورغم صدور عدة قرارات للجمعية العامة تناشد السكرتير العام اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنشيط مهمة الممثل الخاص ، فقد تمسكت اسرائيل بعنادها ، واستمرت في الامتناع عن الرد على السفير يارنج ، كما رفضت الاعلان عن استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، معتمدة على مؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية لها بلا حدود .

المحادثات الرباعية :

كانت الحكومة الفرنسية تعرب في كل مناسبة عن أن أزمة الشرق الأوسط مرتبطة بالحرب الدائرة في فيتنام ، وان الحل السلمي لهذه المشكلة يحتاج الى محادثات تجرى على مستوى الدول الأربع الكبرى. وفي ١٦ من يناير ١٩٦٩ تقدمت فرنسا باقتراح لعقد محادثات رباعية ، للبحث عن الوسائل التي بمقتضاها تستطيع هذه الدول أن تسهم في اقامة السلام المنشود ، طبقا القرار رقم ٢٤٢ .

وعقد أول اجتماع رباعي يوم ٣ من أبريل ١٩٦٩ ، ثم تأجلت الاجتماعات

على امل احراز بعض التقدم عن طريق المحادثات الثنائية الأمريكية السوفيتية . وفي اغسطس ١٩٧٠ وافق الممثلون الأربعة على مبادرة روجرز ، ثم توقفت المحادثات الرباعية لفترة من الوقت ، ثم استؤنفت مع استئناف مهمة يارنج ، حيث ناقشت الدول الأربع الكبرى خلال هذه المرحلة الضمانات التي يمكن ان تقدمها لتسوية المشكلة ، وذلك بالرغم من معارضة اسرائيل ، الا انها سرعان ما توقفت مرة اخرى نتيجة اشتداد الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بشأن قوة حفظ السلام المقترح تشكيلها ..

وبذلك فشلت المحادثات الرباعية في نهاية اغسطس ١٩٧١ ، بعد ان تعثرت نتيجة للتباين في وجهات نظر الدول الكبرى ، بالاضافة الى تعثر مهمة السفير يارنج ، ومماطلة اسرائيل وحثها امريكا لتجميد المحادثات . وصاحب ذلك اقتراح الولايات المتحدة الخاص بالقيام بدور الوسيط بين مصر واسرائيل . .

ورغما عن ان مصر رحبت بالمحادثات الرباعية منذ بدات ، واعربت عن ضرورة تحمل الدول الكبرى لمسئوليتها تجاه السلام العالمي ، الا ان اسرائيل رفضت بعناد مجرد فكرة اسهام الدول الكبرى في التسوية . ليس ذلك فحسب ، بل راحت تشوه الهدف من هذه المحادثات ، فوصفتها بأنها محاولة لفرض تسوية على الأطراف المعنية ، واتهمت فرنسا والاتحاد السوفيتي بالانحياز الى جانب مصر ، وعادت تؤكد ان السلام لن يتحقق الا بالمفاوضات المباشرة مع العرب ..

وراحت اسرائيل تشكك في شرعية المحادثات الرباعية . كما اعلنت ان العضوية الدائمة للدول الأربع الكبرى في مجلس الأمن لا تعطيها سلطة خاصة ، ولا وضعا سياسيا متميزا ، يبرر قيامها بهذه المهمة .

ثم اعلنت اسرائيل أن المحادثات الرباعية قد فشلت ، وانه ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد انها ستنجح مرة اخرى ..

المحادثات الثنائية :

بدات المحادثات الثنائية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة للتوصل الى حل عادل لأزمة الشرق الأوسط مع بدء المحادثات الرباعية في ابريل ١٩٦٩ ، وكان هدفها

الرئيسى هو الوصول الى ترتيبات مقبولة ، تقنع الطرفين بالاعلان عن نواياهما السلمية ..

وبالرغم من صدور عدة تصريحات عن أن هذه المحادثات قد حققت شيئا من التقدم ، وان احد مظاهرها المشجعة هو اتفاق الجانبين على ان الترتيبات النهائية للسلام يجب ان تكون في شكل اتفاق شامل وليس تسوية على مراحل ، الا ان القضية الأساسية الخاصة بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة . وكذا مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، كانتا العقبة التي توقفت عندها المحادثات .

ليس ذلك فحسب ، بل ان وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المستر جوزيف سيسكو صرح بانه لا يعتقد أن على اسرائيل أن تعيد جميع الأراضي التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ ، لأن قرار مجلس الأمن لم ينص على ذلك .

وهكذا ، ورغم موافقة مصر على المحادثات الثنائية ، وبذلها كل الجهود لانجاحها ، فقد رفضتها اسرائيل بداية . وتحركت الولايات المتحدة لتبذل كل وسعها في تحطيم هذه المحادثات وافشالها ، رغم ما بذله الاتحاد السوفيتي من جهود كثيرة للوصول الى نتائج مقبولة ..

مبادرة روجرز :

نتيجة حرب الاستنزاف التي دارت فيما بين سبتمبر ١٩٦٨ ويوليو ١٩٧٠ ، وارتفاع خسائر اسرائيل في الأفراد ، والمعدات والطائرات ، سارع المستر وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مبادرة في ٥ من يونيو ١٩٧٠ بهدف ايقاف الاستنزاف ، والتزام كل من مصر واسرائيل بحبس النيران لفترة محددة ، كما وجه نداء الى الأطراف المعنية للدخول في مفاوضات جديدة عن طريق السفير جونار يارنج ، من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

واستجابت مصر لهذه المبادرة ، فاوقفت النيران في ٨ من اغسطس ١٩٧٠ الا أن اسرائيل لم تف بالشق الثاني من المبادرة ، وهو العمل على انجاح مهمة يارنج وتنفيذ القرار ٢٤٢ . وكان الأمر الأعجب هو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تمارس أي ضغط على اسرائيل كي تستجيب للمبادرة التي قدمها نفس وزير خارجيتها ، الأمر الذي حكم عليها بالفشل الذريع ..

مبادرة السادات :

فى الخامس من فبراير ١٩٧١ أعلن الرئيس السادات عن مبادرة للسلام ، وحدد معالمها بعد ذلك بالتفصيل فى خطاب ضاف القاه فى أول مايو ١٩٧١ ، تضمن الآتى :

١ ـ بمجرد الانسحاب الجزئى للقوات المسلحة الاسرائيلية عن الاراضى العربية المحتلة ـ كمرحلة اولى من الانسحاب الكامل ـ تبدأ مصر فى تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية ..

٢ ـ بعد هذه الخطوة ، تقبل مصر مد وقف اطلاق النار لمدة محددة ، يضع خلالها السفير يارنج جدولا زمنيا لتنفيذ قرار مجلس الأمن ..

٣ ـ تعبر القوات المسلحة المصرية قناة السويس الى الضفة الشرقية ، وتقبل مصر الترتيبات التى تحقق عملية فصل القوات المتحاربة ، وذلك خلال فترة وقف اطلاق النار المحددة ، واذا انتهت هذه الفترة دون تقدم ملموس ، يكون للقوات المسلحة المصرية الحق فى تحرير الاراضى العربية المحتلة بالقوة .

٤ ـ ترفض مصر اية مناقشة حول نزع سلاح سيناء ، ولكنها على استعداد لقبول مناطق منزوعة السلاح على جانبى الحدود وفقا لقرار مجلس الأمن ..

٥ ـ ترفض مصر أى شكل من أشكال الوجود الاسرائيلى فى شرم الشيخ ..

وجاء رد الفعل الاسرائيلى معبرا عن نواياها الحقيقية ، اذ زعم قادة اسرائيل أن المبادرة لا تحوى جديدا ، وأن اسرائيل ترفض الشرط الخاص بانسحاب قواتها المسلحة من الضفة الشرقية للقناة ، ثم أعلنت رئيسة وزراء اسرائيل أنه لا يحدى اسرائيل فتيلا قبول المبادرة المصرية . **واعتبها وزير دفاعها فأكد أنه ليس لدى اسرائيل أية نية للانسحاب من أفضل خط استولت عليه** ، ثم عادت مائير تعلن « أنها ترى أن يكون الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس منفصلا لا صلة له على الاطلاق بمهمة السفير يارنج ، ولا بمباحثات الدول الكبرى » ...

وكان لموقف اسرائيل المتعنت ، ورفضها الربط بين اعادة فتح قناة السويس والانسحاب من الضفة الشرقية للقناة بالانسحاب الكامل من

الأراضى العربية المحتلة وفقـا للقرار رقم ٢٤٢ ، نتيجة حتمية .. هى اهدار فرصة أخرى من فرص تحقيق السلام ، فضلا على تحقيق هدف اسرائيل فى تجميد الموقف لفرض الأمر الواقع فى المنطقة ..

هكذا تبين للمجتمع الدولى كله ان اسرائيل مصممة على اغتصاب الاراضى بالغزو ، وتجاهل الحقوق المشروعة لغيرها ، وأنها تعتنق سياسة فرض الأمر الواقع بالعدوان ، ولا تقيم وزنا للرأى العام العالمى ، ولا لقرارات المنظمات الدولية .

واستغلت مصر هذا الموقف فكثفت اتصالاتها السياسية وجهودها الدبلوماسية ، للتركيز على أن اسرائيل تلعب بالنار ، وأنها تعرض السلام والأمن الدوليين للخطر بما قد يعود على البشرية كلها بالضرر البليغ ، فبدأت اسرائيل تفقد تقدير العالم ، وتعانى من عزلة خانقة بفضل انتقاد الدول المحبة للسلام لسلكها المشين حيال العرب . ولم يبق ملتفا حولها سوى الولايات المتحدة ، وأشقائها العنصريين الاستعماريين ـ البرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا وفيتنام الجنوبية ..

ولعل أهم ما يلفت النظر عن سعة صدر مصر ، وبذلها الجهود المضنية للوصول بالقضية الى حل عادل ومقبول ، أن تكون آخر كلمات المستر وليم روجرز للسيد الرئيس أنور السادات فى آخر لقاء بينهما فى القاهرة فى مايو ١٩٧١ قوله :

« لقد قدمتم ـ يا سيادة الرئيس ـ كل ما يؤكد طريق السلام، ولم يعد هناك ما يمكن طلبه منكم من أجل السلام» ..

دعوة مصر لعقد دورة طارئة لمجلس الأمن فى يونية ١٩٧٣ :

واستمرت مصر فى بذل الجهود لتحقيق السلام العادل فى المنطقة ، والتنبيه الى ضرورة اضطلاع المجتمع الدولى بمسئوليته تجاه السلام العالمى . ثم طالبت ببحث ذلك على ضوء تقرير يقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة ، عن مهمة ممثله الخاص السفير يارنج بهدف اتخاذ الاجراءات المناسبة لاقرار السلام طبقا للقرار ٢٤٢ ..

وفى السادس والعشرين من يوليو ١٩٧٣ تم التصويت على مشروع هذا القرار ، الذى تقدمت به دول عدم الانحياز ، فحصل على موافقة ثلاث عشرة دولة من الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، بينما امتنعت الصين عن التصويت لرغبتها فى اصدار قرار واضح بادانة اسرائيل واجبارها على تنفيذ قرار مجلس الأمن السابق رقم ٢٤٢ . اما الولايات المتحدة فقد استخدمت الفيتو لتحطيم المشروع الذى اعرب عن اسف المجلس العميق لاستمرار احتلال اسرائيل للأراضى العربية بما يتعارض مع مبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، واستمرار اسرائيل فى عرقلة مهمة السفير يارنج ..

واستمرت الولايات المتحدة تتبنى سياسة اسرائيل التوسعية ، فزعمت ان المشروع يشوه القرار ٢٤٢ ، وردد مندوبها نفس الأسباب التى ذكرتها اسرائيل فى رفض المشروع .

وخلصت مصر من كل هذه المباحثات والمحادثات والمبادرات الى انه لا فائدة ترجى من اسرائيل التى عقدت العزم على مواصلة العدوان ، وفرض الأمر الواقع ، والتلويح باليد العليا وذراع الردع الطويلة . واكد كل ذلك ما توصلت اليه القيادة السياسية المصرية عقب عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ من ان « **ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة** » وايقن كل منصف بحتمية استخدام العنصر العسكرى لكسر الجمود الذى احاط بالقضية ، والتوصل الى تسوية سياسية عادلة للنزاع .

وكان لا بد من اعداد سياسى حاذق لعزل اسرائيل دوليا ، مع مواصلة العمل لحل القضية بالطريق السلمى ، فاذا ما فشلت هذه الجهود ، يصبح لا مفر من استخدام القوة لايقاظ اسرائيل من احلام الغرور ...

الاعداد السياسى للمعركة :

(١) فى مجال الامم المتحدة :

راحت الدبلوماسية المصرية تمهد الجو السياسى داخل المجتمع الدولي لكشف سياسة اسرائيل التوسعية ، وانه لا بديل عن العمل العسكرى لاسترداد الحقوق المشروعة .
ونجحت فى كل دورة من دورات الجمعية العامة للامم المتحدة ، وغيرها من الهيئات الدولية ، فى الحصول على

تاييد الغالبية العظمى من الأعضاء لمطالبها العادلة ، والفوز بقرارات تدل على تعاظم التأييد الدولى للقضية العربية ، وخاصة فيما يتعلق بحق استرداد الأراضى المحتلة ، وحق تقرير مصير الشعب الفلسطينى ..

(٢) فى المجال الافريقى :

كان مؤتمر القمة الافريقى المنعقد فى يونية ١٩٧١ نقطة تحول بالنسبة لدول القارة الأفريقية ، من مجرد التأييد اللفظى للعرب ، الى اتخاذ الخطوات الفعالة لصالح القضية . وكان لمهمة لجنة الرؤساء الافارقة المنبثقة من هذا المؤتمر ابلغ الأثر فى ترسيخ الايمان بعدالة الموقف العربى ، وتعنت الموقف الاسرائيلى وعدوانيته .

اذ تشكلت لجنة من عشرة رؤساء افارقة للسعى للتطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ ، **القاضى بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى المحتلة**، وانبثقت عن « لجنة العشرة » ، « لجنة الأربعة » واضطلعت بمهمة الاتصال بالأطراف المعنية فى ازمة الشرق الأوسط .

وكان مما اتفق عليه بالنسبة لهذا التحرك الافريقى أن يتم على مرحلتين، الأولى تتقصى الحقائق، والثانية تقدم مقترحات محددة لحل الأزمة ... وقامت لجنة الأربعة بجولتين فى المنطقة فى نوفمبر ١٩٧١ ، قدمت خلال الجولة الثانية منهما وثيقة لكل من مصر واسرائيل للرد عليها . ثم رفعت اللجنة تقريرها عن نتائج المهمة الى السكرتير العام للامم المتحدة فى ٣ من ديسمبر ١٩٧١ . وتضمن التقرير رد مصر واسرائيل على ست نقاط محددة . كما تضمن نداء وجهه وزير خارجية السنغال امام الجمعية العامة ، طالب فيه اسرائيل ان توضح الطريق الذى تراه لاستئناف المحادثات ، وان تعيد التاكيد بانها لا تنوى ضم الأراضى العربية بالقوة ..

ولكن اسرائيل امتنعت عن اعلان نيتها فى عدم ضم الاراضى العربية ، وبهذا فشلت مهمة الرؤساء الأفارقة ، وايقنت افريقيا ان اسرائيل دولة توسعية عدوانية تعادى السلام ، وتقوم على الاغتصاب والتوسع ...

وزادت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، وبدات الدول

الأفريقية تتصرف من حولها . **وأصبح قطاع كبير من الرأى العام العالمى اكثر قبولا لحق العرب فى استخدام الوسيلة العسكرية للوصول الى سلام عادل ، وتحرير الأرض العربية المغتصبة ، واستعادة حقوق شعب فلسطين المهدورة .**

(٣) فى مجال دول عدم الانحياز :

حازت القضية العربية تأييد مجموعة دول عدم الانحياز فى كافة اللقاءات التى عقدتها تلك المجموعة التى تمثل اغلب دول العالم الثالث . سواء أكان ذلك فى مؤتمر القمة الذى عقد فى لوسكا فى سبتمبر ١٩٧٠ ، أو فى مؤتمر وزراء الخارجية فى جورجتاون فى اغسطس ١٩٧٢ ، أو فى مؤتمر القمة الأخير فى الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ . وقد اعربت دول عدم الانحياز فى هذا المؤتمر الاخير الذى سبق حرب رمضان مباشرة عن تأييدها التام للقضية العربية ، واقتناعها العميق بعدالة مطالبهم فى العبارات التالية :

« ان الموقف فى الشرق الأوسط مازال متدهورا . وعناد اسرائيل واستمرار سياستها العدوانية والتوسعية بضم الأراضى ، وممارسة القمع ضد سكان المناطق التى تحتلها بالقوة ، يمثل تحديا للمجتمع الدولى وللامم المتحدة ولحقوق الانسان ، كما يشكل تهديدا للسلام والأمن العالميين . واذ يذكر المؤتمر بعدم شرعية ضم الأراضى بالقوة ، يطالب اسرائيل بالانسحاب الفورى غير المشروط من جميع الأراضى المحتلة ، ويتعهد بمساعدة مصر وسوريا والأردن على تحرير أرضيها بكل الوسائل . والمؤتمر يعتبر أن استعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه الوطنية شرطا أساسيا لاعادة السلام العادل والدائم فى هذا الاقليم » ..

وبهذا زادت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، بعد ان دمغتها الدول غير المنحازة بالعدوان والتوسع ، وممارسة القمع والبطش والارهاب . وكان كل ذلك بالغ الفائدة للمعركة العسكرية الوشيكة .

٤ ــ فى المجال الأوربى :

ودعمت مصر علاقاتها بالدول الاشتراكية فى أوربا ، وعلى رأسها **الاتحاد السوفيتى** الصديق ، الذى عقدت معه اتفاقية تعاون وصداقة فى

مايو ١٩٧١ ، أيد السوفييت بمقتضاها حق مصر فى استرجاع أرضها المحتلة بجميع الوسائل .

اما عن **فرنسا** فقد كان الجنرال ديجول متفهما لحقائق الصراع العربى الاسرائيلى ، ومدركا أن لفرنسا مصالح عديدة مشتركة مع الدول العربية . وفى أزمة يونيو ١٩٦٧ حدد الجنرال ديجول موقف فرنسا من اسرائيل ، على أساس أنها بدأت بالعدوان على الدول العربية ، فقررت الحكومة الفرنسية فرض حظر كامل على بيع السلاح الفرنسى الى اسرائيل . ولم يغير الرئيس بومبيدو موقف فرنسا ، وظل يؤيد ضرورة تطبيق القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، مما ترتب عليه فتور بالغ فى العلاقات الفرنسية الاسرائيلية ، قابله تحسن كبير فى العلاقات الفرنسية العربية .

كما أحرزت الدبلوماسية المصرية مكاسب جديدة فى مجال **أوربا الغربية** ، كان من ابرزها ذلك التحسن الذى طرأ على موقف **بريطانيا** بعد خطاب وزير خارجيتها السير أليك دوجلاس هيوم فى هاروجيت فى الحادى والعشرين من أكتوبر ١٩٧٠ ، والذى أعلن فيه :

« يجب أن تنسحب اسرائيل من الأراضى المصرية والأردنية الى الخطوط التى كانت عليها قبل الخامس من يونيه ١٩٦٧ ، وأن تتخلى عن احتلال هضبة الجولان بسوريا » .

وفى نفس المجال طرأ تحسن نسبى على موقف **المانيا الغربية** ازاء القضية العربية ، وخاصة بعد اعادة العلاقات الدبلوماسية معها فى الثامن من يونيو ١٩٧٣ .

وهكذا تأكدت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، وأصبحت معظم الدول شرقا وغربا تدمغها بالعدوان والتوسع ، وتطالبها بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، واحترام حقوق شعب فلسطين .

وكان ذلك انجازا للدبلوماسية العربية فى طريق تهيئة المناخ الدولى لتقبل المعركة العسكرية الوشيكة ..

٥ ــ فى المجال العربى :

ولم يكن لكل هذه الجهود الدبلوماسية العريضة أن تثمر المرجوة دون تهيئة الجو المناسب للمعركة فى المجال العربى ، فاقيمت **دولة اتحاد الجمهوريات العربية** فى السابع عشر من أبريل ١٩٧١ ، وأعلنت الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا فى التاسع والعشرين من اغسطس ١٩٧٢ ،

وعقد اجتماع القمة لدول المواجهة فى العاشر من سبتمبر ١٩٧٣ ، ووطدت مصر علاقاتها الأخوية مع **المملكة العربية السعودية** الشقيقة ، وباقى الدول والامارات العربية المنتجة للبترول ، حتى يتم النجـاح الذى احرزته مصر فى توطيد جو المصالحة والتعاون فى العالم العربى من المحيط الى الخليج .

وكانت سياسـة مصر هي التعامل مع جميع الدول العربية الشقيقة بكل الصداقة والتقدير والمحبة ، دون تفرقة بينها . كمـا كان لزيارة الرئيس السادات للشقيقات العربية قبل المعركة كل الفضل فى أن تحققت المنى بمجرد أن بدأت حرب رمضان ، وظهرت أمة العرب فى أمجد مواقفها ، وفازت باحترام العالم وتقديره، وأسهمت فى تدعيم المعركة غاية الاسهام..

هكذا أصبح الضمير العالمى فى اشـد لحظات تعاطفه مع العرب ، وتفهمه لعدالة قضيتهم . ثم دخل العرب اروع ايامهم فى السـادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، فجعلوا بفضل الله كلمتهم هى العليـا ، وحطموا نظريات واقاموا محلها نظريات ، وغيروا الخريطة السـياسية للشرق الأوسط ، واصبحت الأمور بعد ٦ اكتوبر المجيد جد مختلفة عنها قبلها ..

وكان وراء ذلك قصة لابد من سردها من البدء ...

الباب الثانى

فى البـدء ..

● ان حرب رمضان وان نشبت فى اكتوبر ١٩٧٣ ، الا ان بدايتها لم تقع فى السادس من ذلك الشهر ، بل سبقته باكثر من ست سنوات ..

والنصر الذى حققته القوات المسلحة العربية لم يكن وليد ذلك اليوم وحده ، كما لم يأت صدفة أو بضربة حظ عارضة ، بل انتزعه العرب بالجهد والعرق والدم ، عن طريق النضال الطويل . لهذا لم يعد صوابا أن نقصر الحديث عن السادس من أكتوبر وما تلاه من أيام نضال ، بل صار لزاما حتى تكتمل الصورة أن نعود الى الوراء ، لنستعرض كل أحداث تلك الحقبة الطويلة التى تلت الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

ففى الجولة الثالثة منيت قواتنا المسلحة بمحنة أليمة ، اذ وجدت نفسها فى معركة غير متكافئة ، وفرض عليها صراع دون فرصة للقتال ... فكان أن هزمنا أنفسنا وسلمنا للعدو نصرا لا يستحقه ، لقمة سائغة له ..

انها قصة النكسة .. وقد كانت آثارها على القوات المسلحة العربية بالغة العنف ، فصمم الرجال على أن يأخذوا منها العبرة ، وأقسموا الا يتكرر الحدث الكئيب أبدا ...

وحفلت الفترة بين يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ بالجهود الشريفة للعبور من ظلام الهزيمة الدامس الى ضوء النصر

الساطع ، قبل أن يبدأ العبور من ضفة القناة الغربية الى ثرى سيناء الحبيبة ٠٠٠

وامتلأت هذه الفترة بالأحداث الجسام والأعمال العظام ٠٠ كما اشتملت على الكثير من البطولات والتضحيات ، والنماذج المشرفة للبذل والفداء والعمل الصامت الدؤوب ٠٠ لم يكن فى الامكان الحديث عنها وقتئذ ٠٠ فالويل للمغلوب ٠٠ وقد آن الأوان للكشف عن بعض هذه التضحيات والبطولات ، حتى تأخذ حقها من البحث والدراسة ٠ بالقدر الذى يبرز وزنها الحقيقى ٠٠

لقد أعادت القوات المسلحة البناء من الأساس نفسيا ومعنويا وماديا٠ وفى الوقت نفسه كانت تواصل التدريب الشاق والتخطيط الجاد لخوض معركة حتمية ، تستعيد بها كرامتها ، وتحرر بها ما اغتصبه العدو من أرضها وحقوقها فى حربه الخاطفة ٠٠ كل ذلك وأعمال القتال نشطة بين القوات المسلحة الاسرائيلية ، التى حاولت ايقاف أعمال البناء ، والقوات المسلحة المصرية التى صممت على اعادة بناء قوتها الذاتية ٠٠ وقد وفقنا الله الى اتمام هذا العمل الضخم فيما لا يزيد على ست سنوات ٠٠ بينما كان خبراء الحرب ومنهم الجنرال أندريه بوفر يقدرها بما لا يقل عن جيل من الزمان ٠٠ أما الجنرال موشى ديان فقد راح يؤكد ان العرب بحاجة الى جيلين على الأقل ، قبل أن تقوم لهم قائمة ، أو تكتمل لهم قوة حربية يؤبه بها ٠

ويمكن من واقع السجل التاريخى والأحداث الموضوعية لفترة السنوات الست السابقة على حرب رمضان أن نجزئها الى أربع مراحل رئيسية هى :

مرحلة الصمود : من يونية ٦٧ الى أغسطس ٦٨

مرحلة الدفاع النشط : من سبتمبر ٦٨ الى فبراير ٦٩

مرحلة الاستنزاف : من مارس ٦٩ الى أغسطس ٧٠

مرحلة ايقاف النيران : من أغسطس ٧٠ الى أكتوبر ٧٣

وكان لكل مرحلة من تلك المراحل هدفها وسماتها وانجازاتها وبطولاتها ٠٠ بما يطول شرحه لايفائه كامل حقه ، ولكننا سوف نوجز فيما يلى محتوى تلك المراحل بالقدر الذى يخدم السرد ، ويكشف عن الحقيقة الضائعة بين ارهاصات الدعاية الصهيونية الماكرة ، وأكاذيب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ٠

بدأت **مرحلة الصمود** فى يونيه ١٩٦٧ ، واستمرت حتى أغسطس ١٩٦٨ ، وكان الهدف الرئيسى منها هو الالتزام بنوع من الهدوء لاتاحة الفرصة لاعادة البناء بعد رفع الانقاض بأسرع ما يمكن ، الى جانب تجهيز الدفاع عن جبهة القناة ٠

ورغم الالتزام الشديد بايقاف النيران ، الا أن تلك الفترة شهدت بعض الملاحم البطولية التى أدارتها قواتنا المسلحة ، بما كان متيسرا لديها من أفراد وأسلحة ومعدات قليلة ، فكانت أول تلك الملاحم **معركة رأس العش** ، وهى باكورة المواجهة الحقيقية بعد يونيو ٦٧ ، التى تكشف عن معدن المقاتل المصرى ٠٠ حيث تقدمت قوة مدرعة اسرائيلية فى الساعات الاولى من صباح أول يوليو ٦٧ (*) ، وغرور النصر الرخيص يملأ جوانحها ٠٠ تقدمت من الجنوب لاحتلال بور فؤاد فى الشمال ، فتصدت لها فصيلة من القوات الخاصة ، لا يزيد أفرادها على ثلاثين مقاتلا مزودين بالأسلحة الخفيفة ، ولقنت العدو درسا كانت خلاصته أن النصر السهل الذى اغتصبه قبل عشرين يوما فى غفلة من الزمن هو استثناء لن يتكرر أبدا ٠٠ وتمكن الرجال بأسلحتهم الخفيفة من ايقاف هجوم المدرعات الاسرائيلية ، وكبدوها خسائر فادحة مما أجبر العدو على النكوص عن محاولة استثمار مكاسبه فى يونيه ١٩٦٧ ٠٠ ولم يجرؤ بعدها ، وعلى امتداد ست سنوات، أن يكرر محاولته لاحتلال بور فؤاد الصامدة ٠٠

لقد أثبتت معركة رأس العش أن نكسة يونيو ١٩٦٧ لم تؤثر فى ارادة المقاتل المصرى ، وأنه قادر على تحقيق النصر اذا ما أتيحت له الفرصة المتكافئة للمواجهة ٠ كما أثبتت أيضا أن الجندى الاسرائيلى ليس تلك الأسطورة التى رددتها عنه الدعاية الصهيونية الخبيثة ٠٠

وفى الجو قامت النسور المصرية يوم ١٤ من يوليو ١٩٦٧ بقصف قوات العدو المدرعة والميكانيكية والمدفعية ٠ وعندما تصدت لها طائرات العدو خاضت معها معركة جوية ٠٠٠ وكانت تلك الملحمة فى السماء مفاجأة تامة للعدو ، الذى كان الصلف قد أخذ به كل مأخذ اثر ضربته الجوية المركزة التى لم يمض عليها أكثر من شهر الا قليلا ، ولم تفرغ الدعاية الاسرائيلية عن الطنطنة لها والتأكيد للعالم أجمع أن قوات مصر الجوية لن تقوم لها قائمة فى المستقبل المنتظر ٠٠٠ ولهذا كانت الملحمة الجوية التى أدارها نسورنا البواسل يوم الرابع عشر من يوليو ١٩٦٧ مباغتة

(*) من التوافق الغريب حقا ان يتولى اللواء أحمد اسماعيل على (القائد العام للقوات المسلحة الحالى) قيادة الجبهة اعتبارا من الساعة ٥٠٠ ٠ يوم أول يوليه ١٩٦٧ ٠

كاملة للعدو ، فر على أثرها جنوده مذعورين الى الخلف وقد تركوا مواقعهم رعبا وهلعا ٠٠٠

وفى البحر كان اغراق المدمرة (ايلات) ـ تصف قوة الأسطول الاسرائيلى من المدمرات ـ يوم الحادى والعشرين من أكتوبر ١٩٦٧ ملحمة أخرى ، ولكن هذه المرة فوق الأمواج ٠٠ فقد قام أحد لنشات الصواريخ المصرية بتحطيم تلك المدمرة وغيبها فى اليم ، لاجترائها على اجتياز مياهنا الاقليمية شمال شرق بور سعيد ٠٠

كانت تلك الملحمة فوق الأمواج أولى معاركنا البحرية بالصواريخ ٠٠ كما كانت أولى معارك الصواريخ البحرية فى التاريخ ٠٠٠ وقد ترتب عليها تغيير الكثير من النظريات البحرية العالمية ٠٠٠

ثم **بدأت مرحلة الدفاع النشط** فى سبتمبر ١٩٦٨ ، واستمرت حتى فبراير ١٩٦٩ ، واتسم الصراع فيها بالتراشق بالنيران لفترات طويلة وبكثافة عالية ٠٠ واثمر ذلك فى تقييد حرية العدو فى التحرك والمناورة والاستطلاع ٠٠ كما تكبد العدو خسائر متزايدة فى الأفراد والأسلحة والمعدات ٠٠

بدأت معارك المدفعية فى سبتمبر ١٩٦٨ ، وزادت خسائر العدو ، فأسرع يقيم التحصينات وينشىء الملاجىء والمخابىء ٠٠ وقامت المدفعية بتدمير بطاريات الصواريخ أرض / أرض القصيرة المدى التى أقامها العدو فى مواجهة مدينتى الاسماعيلية والسويس وباقى قرى منطقة القناة ، لتنفيذ مخططه بتدمير تلك المدن والقرى ٠

وحاول العدو التدخل بالطيران ضد مدفعيتنا ، ولكنه فشل لبراعة اخفاء مواقعها ، ومرونتها فى الحركة والمناورة بنيرانها ٠٠ ومن هنا بدأ العدو يخطط لاقامة خط تحصينات قوية على طول مواجهة القناة ٠٠ وكان ذلك ايذانا بمولد خط بارليف الأول ٠٠

ونجح العدو فى اقامة هذا الخط رغم ما تكبده من خسائر ٠٠ مستفيدا من سيطرة قواته الجوية فى ذلك الوقت ، ومن اضطرارنا الى تخفيف نيران مدفعيتنا ، حيث كان العدو يرد على قصفنا لمواقعه بقصف مدن وقرى منطقة القناة ٠٠ وبدأ تأثير نيران مدفعيتنا يقل نسبيا مع زيادة تحصينات خط بارليف ٠٠ وهنا راحت قواتنا تبتكر وتستحدث لتدمير هذا الخط بالكامل ، وايقاع الخسائر فى أشد ما يؤلم العدو ٠٠ جنوده وضباطه ٠٠ فاذا ما كانت الأسلحة والمعدات سهلة الاستعاض من

ترسانة الولايات المتحدة ، وبلا مقابل ، فكيف يستعيض الأفراد وخسائره فيهم فادحة !!

ولتحقيق هذين الهدفين معا بدأت المرحلة الثالثة وهى **مرحلة الاستنزاف** فى الثامن من مارس ١٩٦٩ ، واستمرت حتى قبلت مصر مبادرة روجرز ، فصمتت النيران مرة أخرى يوم الثامن من أغسطس ١٩٧٠ ٠٠

بدأت مدفعيتنا يوم الثامن من مارس ١٩٦٩ تقصف الخط بتركيز شديد ٠٠ واستمر القصف فى اليوم الأول لمدة خمس ساعات متواصلة ٠

وتوجه صباح التاسع من مارس **الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة وشهيدها الغالى** ، ليرقب عن كثب نتائج هذا القصف ٠٠ وسقط وهو فى أقصى المواقع الأمامية ، ضاربا بذلك أروع مثل فى البطولة والفداء ٠٠ واستمر القصف شبه متواصل الى ان تحطم زهاء ٨٠٪ من خط بارليف الأول ٠

ولاحداث الخسائر فى أفراد العدو ٠٠ ولتنمية الروح الهجومية فى أفرادنا وتدريبهم على تنفيذ العبور ٠٠ بدأت عمليات الاغارة على مواقع العدو فى الضفة الشرقية للقناة ، وبالعمق القريب ٠٠ ليلا ونهارا ٠٠

واستهلت قواتنا أعمال العبور بمجموعات صغيرة ، ثم تحولت الى اغارات كبيرة الحجم والهدف ٠٠ وصلت الى حجم السرية ثم أكبر ٠٠ ونجحت أعمال الاغارات ٠ وبرز نشاط قواتنا الخاصة وجماعات الاستطلاع والكمائن ٠٠ وتصاعدت انشطة قواتنا القتالية فاصبحت تنفذ ليلا ونهارا ٠٠ وتحولت من مهاجمة أهداف فردية منعزلة الى مهاجمة مواقع حصينة للعدو فى وضح النهار ٠٠ وارتفعت معنويات العرب مع كل عبور ٠٠ وتزايدت خسائر العدو فى الأفراد والمعدات ٠٠ وتميزت تلك الفترة بالاستنزاف المستمر ٠٠

وزج العدو بقواته الجوية بتركيز شديد ضد مواقع الدفاع الجوى فى يوليو ١٩٦٩ ، تمهيدا للتوسع فى قصف القوات البرية المصرية وتنفيذ الاغارات بالقوات الخاصة فى العمق ، ضد بعض الأهداف المدنية المنعزلة ، مثل أبراج خط كهرباء الضغط العالى وما أشبه ٠٠ وحاول العدو مهاجمة بعض مواقع قواتنا المنعزلة ، كالجزيرة الخضراء ، وساحل خليج السويس ، وجزيرة شدوان ٠٠ وظهرت بطولات لقواتنا ليس هنا مجال سردها ٠٠ ولكن يكفى أن نقول أن العدو لم يحاول تكرار تلك الاغارات مرة أخرى ، لفداحة الثمن الذى دفعه فيها ٠٠

وفى مواجهة ذلك قامت القوات المصرية بتنفيذ بعض الأعمال القتالية الخاصة ، التى أقنعت العدو أن لا أمان له ولا أمن طالما استمر يغتصب الأرض العربية ، ويفرض وجوده الكريه فيها ..

وقامت قواتنا البحرية بقصف مواقع العدو فى رمانة وبالوظة على الساحل الشمالى لسيناء ، وشنت الضفادع البشرية هجوما على ميناء ايلات الاسرائيلى يوم ١٦ من نوفمبر ١٩٦٩ فاغرقت للعدو ثلاث قطع بحرية داخل الميناء ، ثم كررت مهاجمة نفس الميناء يوم السادس من فبراير ١٩٧٠ فاغرقت له قطعتين بحريتين كانتا مكدستين بالمعدات والذخائر .. وكان انفجارهما مروعا ، حطم الكثير من تجهيزات الميناء ومقدمة البلدة ...

ومع كل هذه العمليات كانت قواتنـــا الجوية تشب عن الطوق .. وتفاجىء العدو بين الحين والحين بضربات موجعة ، وتتصدى لطائرات العدو الجـــديدة من طراز الفانتوم ، التى نشط العدو بالدعاية لها ... وفى التاسع من ديسمبر ١٩٦٩ كانت بداية تحطيم الأسطورة ، اذ اســــقطت طائرة ميج ٢١ طائرة فانتوم .. ورسخت ثقة قواتنا الجوية فى نفســـها وسلاحها وقدرتها ...

وجن جنون العدو ، وهو المختال بنصره ... وراعه توالى الفشل تلو الفشل ... بينما قوات العرب تحقق نصرا بعـد نصر ... وكان أشد ما يحنق العدو ويحزنه شعوره بالعجز عن ايقاف أنشطتنا المتلاحقة برا وبحرا وجوا .. وهداه تفكيره الخسيس الى أن يتجه وجهة أخرى ، لا تفتقر الا الى الضعة .. فبدأ بقصف الأهداف المدنية ، لعل ذلك يخفف من ضغط قواتنا عليه ، ويرخى تكتلها أمامه .. ويزعزع ثقة الشـــعب فى قواته المسلحة ويهز ثباته .. فقصف مدرســــة بحر البقر الابتدائية للأطفال ، ومصنع أبى زعبل المدنى ..

وفشل مخطط العدو الجديد ... فقد ووجه بعملاق ضخم ، تصدى لطائراته المغيرة بجدارة ومهارة .. هو شـــبكة الصواريخ المضـــادة للطائرات ، فركز اهتمامه نحوها ، وحاول اعاقة بنائها .. وظهرت بطولات رائعة ، واستبان الاصرار الكامل لرجال الدفاع الجوى والمهندسين والعمال المدنيين ، الذين اشتركوا فى عملية البناء ، واستشهد الكثير من العسكريين والمدنيين .. ولكنهم واصلوا تنفيذ المهمة ، برغم كل الغارات والقصف المجنون الذى قام به العدو .

وبدأت فترة استنزاف طائرات العدو ، وتمكنت قوات دفاعنا الجوى

من اصابة وتدمير احدى وعشرين طائرة معادية خلال شهر واحد هو شهر يوليو ١٩٧٠ ، مما كان له أكبر الأثر فى قبول العدو بالحاح لمبادرة وزير خارجية أمريكا المستر روجرز بايقاف اطلاق النار يوم الثامن من أغسطس ١٩٧٠ .

ومنذ هذا التاريخ دخلت مصر مرحلة جديدة ... هى مرحلة العمل والتجهيز لمعركة العزة والـــكرامة .. معركة أكتوبر ١٩٧٣ .. حرب رمضان ..

الباب الثالث

فى صبر.. وصمت

التخطيط .. والإعداد

اللاحرب واللاسلم :

● فى اواخر عام ١٩٧٢ كانت مصر قد استنفدت كل الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحريك القضية من مأزق « اللاحرب واللاسلم » ، فقبلنا كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن .. وقبلنا جميع المبادرات الدولية .. وأيدنا مساعى الدول غير المنحازة ، والدول الافريقية ، ومبادرة روجرز الأولى والثانية ، ومبادرة يارنج فى فبراير ١٩٧١ .. بل وتقدم الرئيس السادات بمبادرته الخاصة فى نفس الشهر ، ثم أكدها فى مايو من نفس العام .. وقبلنا الاقتراح الأمريكى بالمحادثات عن قرب .. وعقدنا معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٧١ ..

كل ذلك فعلناه لمعالجة تجميد الموقف فى الشرق الاوسط ، وكل ذلك فعلناه أملا فى تحريك القضية والوصول بها الى حل عادل ، الا أن كل ذلك ذهب هباء دون أن نصل الى نتيجة مقبولة ، بينما انصرفت اسرائيل الى استغلال مرور الوقت لتصعيد شروطها المتعنتة ، وسد كل الطرق أمام العرب حتى تبقى ارادتها هى العليا .

وفي الواقع ، فاننا لم تضيع هذا الوقت سدى ، بل قضيناه ونحن ندعم قوتنا وتعمق من تأثير جوانبها العديدة سياسيا واقتصاديا ومعنويا وعسكريا · ولما تحققت لنا أسباب هذه القوة المنشودة كان طبيعيا أن ندرس استخدام العامل العسكرى لكسر الجمود السياسي للأزمة ، وتهيئة الظروف المناسبة والمناخ الملائم لاستخدام باقى جوانب القوة المتاحة لنا ·

وكان قرار استخدام العامل العسكرى ·· وليد اقتناع القيـــادة السياسية والعسكرية باننا لن نخرج من هذه الحالة الا بالقوة المسلحة ·· كوسيلة أخيرة لاقناع اسرائيل بعدم جدوى مداومة العدوان ، او استمرار احتلال الأراضى العربية بالقوة ، او تجـــاهل الحقوق المشروعة للعرب الفلسطينيين ·

القرار الجرىء

كانت اوجه الاختيار المطروحة امام القيادة العسكرية المصرية والتى ناقشتها وطرحتها للبحث والمقارنة والتفضيل تنحصر فى مجال عمل محددين هما :

- **العودة الى حرب الاستنزاف ·**
- **القيام بجهد عسكرى يفوق مستوى حرب الاستنزاف ·**

وانتهت المناقشات المستفيضة الى أن حرب الاستنزاف قد استنفدت أغراضها خلال الفترة التى مارسناها فيها من قبل ، كما ان اسرائيل لن تقبل بالعودة اليها لعدة عوامل وقيود عســكرية واقتصادية وبشرية معروفة · ولذا فان اية محاولة من جانبنا لفرض حرب الاستنزاف سوف تواجه من اسرائيل — ولا شك — برد فعل أقوى وأبعد مدى ، وكان ذلك يعنى اننا كنا أمام احتمال قيامنا بعمليات صغيرة يقابلها العدو برد فعل كبير ، يزيد كثيرا على قيمتها السياسية والعسكرية ·

وهكذا استبعدت حرب الاستنزاف باشكالها المختلفة ، والتى كانت تشتمل على تراشقات بالمدفعية وغارات بالقوات الجوية واغارات القوات الخاصة والقـوات البرية والقـوات البـحرية ، وغير ذلك من الاعمال المشابهة ·

وبقى أمامنا ان نفكر فى القيام بجهد عسكرى أكبر ، وأن نحدد نوع هذا الجهد ومداه ، بحيث يساوى على الأقل تعرضنا لرد فعـــل كبير من

العدو · وبمعنى آخر فلتكن ضربتنا ضد العدو كبيرة بينما نتأهب فى نفس الوقت ونكون على أتم الاستعداد لصد ضربة العدو المضادة ، التى سوف يوجهها يقينا ، ومهما كانت حدود واتجاهات ضربتنا ··

ولذا تقرر ان تكون ضربتنا ضد العدو شاملة · وكان انشاء القيادة العسكرية لدولة الاتحاد اضافة جديدة للموقف ·· اذا فتحت مجالات لأن تكون هذه الضربة مشتركة من جبهتين ، وانشئت هيئة عمليات للقيـادة العـــامة الاتحادية تعين اللواء بهى الدين محمد نوفل رئيســا لها ، وقام بمهام التنسيق وتنظيم التعاون المشترك ·

واتخذ القرار السياسى باستخدام القوة العسكرية ، كما استعدت القوات المسلحة لشن عمليـــات تعرضية رئيسية ضمن اطار استراتيجية شاملة ومباشرة ، يكون الدور الرئيسى فيها للقوات المسلحة ، بغرض تغيير موازين الموقف السياسى والعســكرى فى الشرق الأوسط ، وتهيئة الظروف المناسبة لاستخدام باقى أوجه القوة المتوفرة للعرب ·

ولم يات هذا القرار السياسى الجرىء نتيجة افكار عشــوائية او ضغوط نفسية ، بل جاء نتيجة معرفة واقعية بان الوقت هو افضل وقت ، وان أغلب — ان لم يكن كل — ابعاد الواقع المحيط بصانع القرار تبدو مناســبة ، بل وملحة ، لتحقيق الهدف المنشود ·· وكانت واقعية هذا الهدف شديدة الارتباط بواقعية الرؤية الشاملة للظروف المحيطة به ، والعوامل التى تسمح بتحقيقه او تعترض سبيله ·

لهذا كله حدد صانع القرار قراره العظيم بما يناسب هذه الظروف جميعا ، فجاء مناسبا تماما ، فلا هو يعلو عليها فيلهو به فراغ اللاواقع ، ولا هو يهبط دونها فيردمه الواقع بركامه ·

ومن خلال نظرته الموضوعية الفاحصة للظروف المحيطة ، وتجاربه العريضة عبر الجولات العربية الاسرائيلية ، وعبر الســـياسة المصرية والعربية ، وعبر صور الأزمة النفسية التى خلفتها هزيمة ١٩٦٧ ، وتحت الاصرار على بلوغ الهدف ، حدد صانع القرار قرار الحرب ، وبين الاطار والاسلوب وفسحة التنفيذ والهدف المنشود ، فجاءت كلها شديدة التناسق مع متطلبات النجاح ·

وحدد الهدف العسكرى ليكون هزيمة تجميع قوات العدو الاسرائيلى فى سيناء والهضبة السورية والاستيلاء على مناطق ذات اهمية استراتيجية

تهيىء الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الأراضي المحتلة بالقوة المسلحة وان تشكل عنصر ضغط لفرض الحل السياسي العادل للمشكلة .

وبناء على هـذا الهدف الواضح كان على القيادة العامة المصرية أن تخطط للقيام **بعملية هجومية استراتيجية مشتركة** ، تنفذ بالتعاون مع القوات المسلحة السورية ، وتقوم فيها **مصر** بالاقتحام المدبر لقناة السويس وتدمير خط بارليف ، والاستيلاء على رءوس كبارى بعمق ١٠ ـ ١٥ كيلو متر على الضفة الشرقية للقناة ، وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة ، وصد وتدمير هجمات وضربات العدو المضادة ، والاستعداد لتنفيذ أى مهام قتالية أخرى تكلف بها فيما بعد . أما **سوريا** فتشن الهجوم وتخترق دفاعات العدو بالجولان وتجزىء تجميعه وتدمر قواته وتصل الى الخط ـ نهر الأردن . الشاطىء الشرقى لبحيرة طبرية .

وبدأت القيادة العامة عملا طويلا شاقا ، فأجرت العديد من التقديرات والدراسات ، ووضعت فى الاعتبار جملة عناصر أساسية لا غنى عنها لبلوغ النجاح ، وتحقيق التخطيط الحاذق والتنسيق الوثيق ، كان أهمها :

١ ـ دقة تحليل نظرية الأمن الاسرائيلي ، وتحديد جوانب القوة والضعف فيهـا .

٢ ـ تقييم الظروف الطبوغرافية والجوية للمعركة القادمة لانتخاب أفضل الأوقات لادارتها من وجهة النظر العربية .

٣ ـ دراسة المزاج النفسي للقيادة العسكرية الاسرائيلية ، والأسلوب المتوقع منها للتصرفات وردود الفعل .

٤ ـ جمع المعلومات الدقيقة عن العدو ، ودراسة نظامه الدفاعي عن قناة السويس ، وتقييم قدراته تقييما واقعيا ، دون تهويل أو تهوين .

٥ ـ انتخاب الأسلوب المناسب لاعداد وتنظيم القوات المسلحة المصرية بما يتلاءم وطبيعة المهام الصعبة التى سوف تواجهها .

٦ ـ التركيز الكامل على وسائل توفير النجاح ، وعلى رأسهـا تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية ، مع حسن استغلال العوامل السياسية والعسكرية المحيطة بالموقف .

العــوامل

كان الهدف الاول امام المخطط العسكرى المصرى هو اهدار نظرية الأمن القومي الاسرائيلي القائمة على اكذوبة «الحدود الآمنة» ، وحتمية الاحتفاظ بالمبادأة «والقدرة على الردع» وضرورة مواجهة العرب فرادى ، وضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته فى كل وقت .

* يرتبط مفهوم « **ضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته فى كل وقت** » بطبيعة نشأة وتطـور اسرائيل فى الشرق الأوسط ، فالنزاع الذى ترتب على تلك النشأة لم يأت نتيجة تفاعلات على قمـة النظام الدولى ، ولكنه ارتبط بها نتيجة طبيعة نشأة وتطور الطـرف الاسرائيلى فيه ، وكونه جسما دخيلا بغيضا ، لا يستطيع منفردا ان يواجه العملاق العربى الذى لاشك سوف يلفظه خارج ارض العرب ..

ومن هنا كان لا مناص امامه منذ البداية ان يرتبط عضويا ـ كأى كائن طفيلى ـ بجسم آخر قوى ، كى يستمد منه أسباب الأمن والحياة الى ان ينتشر فى المنطقة ويتشعب فى حناياها وشعابها ، فيسيطر على اهم اعضائها واطرافها ..

* **ويتبلور مفهوم الحدود الآمنة** فى الفكر العسكرى الاسرائيلى فى ضرورة تأمين المجال البرى والجوى والبحرى لاسرائيل بضم مساحات واسعة من الأراضى والمياه العربية التى تحقق :

(١) الاستناد على مانع طبيعى منيع ، يحرم الدول العربية القدرة على القيام بأى تحرك عسكرى ، وفى نفس الوقت ، يسمح لاسرائيل بحرية العمل الهجومى ضد أى دولة عربية .

(٢) ان يقع هذا المانع بعيدا عن قلب اسرائيل ، بحيث يوفر لها عمقا استراتيجيا يضمن لها المزيد من الأمن ، ويفسح لقواتها مجالات ارحب لحرية العمل والمناورة ، بما يؤمن اسرائيل ويهدد عمق الدول العربية .

(٣) أن يمكن الدفاع عن هذا المانع بأقل قدر من القوات التى تستطيع باستغلال المانع ان توقف هجوم العرب لأطول مدة ممكنة ، حتى تتاح الفرص الكافية لتعبئة القوات الاحتياطية الاسرائيلية ، وتحريكها من العمق صوب اماكنها المجهزة لها مسبقا فى الخطة العامة على جبهتى سيناء والجولان .

(٤) أن يكون المانع من القوة والضخامة بحيث يحقق تأثيرا نفسيا كبيرا على القوات العربية المواجهة ، وأن يولد لديهم شعورا بالعجز واليأس مع توالى الزمن .

ومن الواضح ان مفهوم الحدود الآمنة فى قاموس اسرائيل ينبع اساسا من فكر توسعى عدوانى . اذ كلما زادت أراضى الدولة اتساعا زادت حاجتها الى نقل حدودها الى أرض جديدة على حساب جيرانها ، الأمر الذى لا يمكن أن يقف عند حد معين ، أو يحكمه منطق عاقل كما اكده الجنرال الفرنسى أندريه بوفر الفيلسوف الاستراتيجى الشهير ، ونوه عنه كل من السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ، والمستر جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى .

※ **اما عن مفهوم « القدرة على الردع »** او كما اطلق عليه بعض زعماء وقادة اسرائيل تعبير « اليد العليا » و « الذراع الطويلة » فهو قائم على عدة عناصر يأتى فى مقدمتها :

(١) رفض الانتظار لحين وقوع الضربة الاولى من الجيوش العربية ، ايمانا بفكرة « الضربة المسبقة » ، والتى تفترض توفر القدرات الكفيلة بكشف النوايا العربية مبكرا فى الوقت المناسب ، بواسطة جهاز مخابرات ممتاز ، يتعاون مع اجهزة المخابرات الأجنبية الغربية ، ويعتمد عليها .

(٢) الاعتماد على القوات الجوية المتفوقة ، والتى تمثل اداة الردع الرئيسية ، المزودة بأحدث واقوى الطائرات الامريكية ذات المدى البعيد ، القادرة على تهديد أعمق أعماق الدول العربية .

(٣) تدمير اى هجوم عربى فى كل مراحله بل فى ساعاته الاولى ، بضربات برية مركزة بقوات مدرعة كثيفة ، على درجة عالية من الكفاءة القتالية .

والى جانب هذه المفاهيم الرئيسية لنظرية الأمن الاسرائيلى فقد اهتمت اسرائيل اهتماما بالغا بتأمين مواصلاتها البحرية مع شرق أفريقيا وجنوب وشرق آسيا بصفة كونها مصدرها الرئيسى من المواد الخام ، وخاصة البترول . وتخيلت اسرائيل انه يكفيها لتأمين هذه المواصلات أن تتمسك بمنطقة شرم الشيخ المصرية وترفض التخلى عنها ، مع فرض سيطرتها على الساحل الغربى لخليج العقبة حتى ايلات .

ولاهدار نظرية الأمن الاسرائيلى ، حددت القيادة المصرية عدة اتجاهات رئيسية بنت عليها خطتها ، كان أهمها :

(١) **حرمان العدو من تفوقه الجوى** ، وذلك بانشاء نظام دفاع جوى حديث وقوى يستطيع شل قدرة طيران اسرائيل ، ويعمل على استدراجه الى مناطق قتل بالصواريخ والمدافع ، مع اتخاذ كل الاجراءات اللازمة لضمان قدرة القوات الجوية المصرية على البقاء والعمل طوال الحرب ، بحيث تشكل تهديدا مستمرا للعدو .

(٢) **حرمان العدو من التمتع بمزايا توجيه الضربة الاولى** ، وذلك بمفاجأته ومباغتته تماما ، وعلى جميع المستويات ، وسبقه فى توجيه الضربة الأولى .. وفى نفس الوقت ، وضع المخطط المصرى نصب عينيه أن هناك احتمالا – ولو ضئيلا – فى أن يكتشف العدو نية هجومنا مبكرا .

(٣) **حرمان العدو من القدرة على توجيه ضربات مضادية قوية بقواته المدرعة فى المراحل الاولى للهجوم** ، وذلك بفرض المعركة على العدو قبل اتمام استعداد قواته واستكمال حشدها ، مع استغلال نتائج المفاجأة ، وحالة الارتباك التى سوف تسود قياداته ، وما يترتب على ذلك من اتخاذ قرارات سطحية دافعها العجلة بلا تخطيط مسبق .

وفى الوقت نفسه تقوية الدفاع المضاد للدبابات لقواتنا البرية المهاجمة ، وخاصة فى الأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات من المدافع والصواريخ .

(٤) **اقناع العدو بعدم جدوى وجوده العسكرى فى شرم الشيخ ، وانعدام فائدة تمسكه بها** ، وذلك بقفل الطريق الوحيد لامداد اسرائيل بالبترول من ايران ، بفرض الحصار البحرى على باب المندب والبحر الأحمر ، وكذا اغلاق خليج السويس لايقاف اقتصائها لبترول سيناء .

وكان الهدف الرئيسى من ذلك كله هو اقناع اسرائيل والعالم أجمع أن وجودها فى شرم الشيخ ليس هو الحل المثالى لتأمين الملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر ، وأن الضمان الوحيد لذلك هو تحقيق السلام العادل فى منطقة الشرق الأوسط .

(٥) **حرمان اسرائيل من ميزة الاستناد على موانع طبيعية وصناعية**

قوية ، وذلك بالتخطيط الدقيق والاعداد المسبق والتدريب الشاق على اقتحام قناة السويس بالقـوة وتدمير تحصنات خط بارليف الاسطورية المقامة على ضفتها الشرقية ، وتوفير كل مقومات النجاح لهذا العمل الفذ .

وكانت ركائز النجاح امام هيئة التخطيط المصرية هي ثقة بالله ليس لها حدود ، وثقة بعدالة القضية ، وثقة باصالة المقاتل العربى ، وثقة بصلابة الجبهة العربية ..

***

واحتلت دراسـة الفكر العسكرى الاسرائيلي مكانا هاما فى تقديرات جهاز التخطيط بالقيادة العامة المصرية . وكانت تلك الدراسة العميقة لمفاهيم الفكر العسكرى الاسرائيلي ، ومعتقداته وقوانينه ، وأنماط تصرفاته ، هى حجر الزاوية فى تحديد العوامل المؤثرة على تحقيق المفاجاة ، والمنطلق المناسب لامكان خداع العدو ومباغتته ، وادارة الأعمال التحضيرية والتنفيذية بشكل لم يالفه العدو من قبل .

وكان الغرض من هذه الدراسة هو تحديد الاتجاهات الفكرية العسكرية الاسرائيلية للوصول الى افضل السبل لاستغلالها بما يحقق نجاح العملية الهجومية . نتيجة لهذه الدراسة **برزت المعالم الآتية للفكر العسكرى الاسرائيلي :**

(١) تعانى القيادة الاسرائيلية من ثقة مفرطة بالنفس تجاوزت حد المعقول الى متاهات الغرور الأحمق فى قدرتها على ردع وارهاب العرب ، وبث الخوف فى نفوسهم ، بما يشل قدرتهم على العمل . كما تخيلت هذه القيادة انها قادرة على ترويض العرب واخضاع العقلية العربية ذات الأصالة والتاريخ العريق ـ لمفاهيم معينة .

(٢) ومنذ عام ١٩٦٧ واسرائيل تطلق دعاياتها عن تفوقها على العرب ، وتؤكد بوجود فجوة حضارية كبيرة ، وفارق تكنولوجى ضخم . وتصور العربى كانسان ضعيف القدرة على العمل الجاد ، أو التخطيط المنسق السليم .

وعلى ذلك فان مجرد الزعم بالقدرة على التخطيط لاقتحام مانع مائى مثل قناة السويس ، واختراق خط حصين مثل قلاع بارليف انما هو امر يستحيل على العرب انجازه ، اذ يصعب تحقيقه على اكثر الجيوش تقدما ، وأقواها باسا وأحدثها تسليحا ، فكيف بالجيوش العربية المتخلفة !

(٣) ومن المعتقدات التى ملأت اذهان قادة اسرائيل ضعف قدرة القيادة السياسية المصرية على اتخاذ القرار او ادارة الصراع المحسوب بكفاءة ضمن اطار الموقف الدولى المعاصر والظروف العربية .

(٤) ومن ناحية أخرى كانت اسرائيل تعتقد أن الوحدة العربية مجرد خرافة ، وبالتالى ، فان هجوما شاملا تشترك فيه اكثر من دولة عربية امر بعيد الاحتمال ، ان لم يكن ضربا من الخيال .

ان هذه المعتقدات التى عشعشت فى تلافيف الفكر العسكرى الاسرائيلي قد طمست بصيرته ، وادت بقادة اسرائيل الى استنتاجات خاطئة عن الطبيعـة العربية التى تتمسك بالحـق ولا تفرط فيه ، ولا تساير النفس العربية التى تترسب فى اعماقها مشاعر العزة والكرامة ، والتى ينبض وجدانها بالحياة ويعمر قلبها الايمان ، ويملا صدرها الاصرار على استرداد الحق والأرض مهما طال الزمن أو تعددت الصعاب . فالحق يعلو ولا يعلى عليه .. والعرب خير امة اخرجت للناس .. وسجلهم المشحون بالسؤدد ، الملىء بالفخار ، يمكنه ان يحتمل اقسى النكسات ثم يواصل الحياة الحرة الكريمة .. ويحقق المعجزات .

وقامت القيادة العربية باستغلال هذه المفاهيم البالية التى سيطرت طوال ربع القرن المنصرم على العقلية الاسرائيلية المخدوعة ، وصبتها فى قالب من الجمود عكس آثاره السيئة على التفكير الاستراتيجي والتعبوى للقيادة الاسرائيلية ، التى لم تحاول بصدق ان تقترب من العقلية العربية اقترابا كافيا ، بل غرقت فى الأراجيف والأباطيل التى ذهبت تروجها عن العرب ، حتى صدقت افكها ، فخدعت نفسها بنفسها ، وضلت طريقها .. رغم وجود المعاهد الاسرائيلية التى تدعى لنفسها التخصص فى الدراسات العربية السحيقة والمعاصرة ..

***

وكان العامل الثالث الذى واجه التخطيط واستوجب عقد الدراسات المستفيضة هو تحديد حقيقة قدرات العدو ، ونقط القوة ومكامن الضعف فى نظامه الدفاعى على قناة السويس .

ونتيجة لهذه الدراسة قدرت القيادة العسكرية ان العدو يملك عدة مزايا أساسية اهمها ، استناد نظامه الدفاعى على مانع مائى قوى هو قناة السويس ، وعلى تجهيزات دفاعية حصينة تتحكم فيه وتسيطر على ضفته الشرقية ، فضلا عن احتياطيات عديدة من القوات المدرعة والميكانيكية المنظمة فى انساق متتالية على طول العمق .

اما اهم نقط الضعف في نظامه الدفاعي فكانت طول خطوط مواصلاته ، وطول مواجهة دفاعاته على امتداد القناة ، واضطراره الى الاحتفاظ بقوات عاملة صغيرة نسبيا في سيناء في غير وقت الحرب . ومن ناحية اخرى فان رصيده البشري لم يكن ليسمح له بقبول الخسائر الكبيرة الأمر الذى جعل وقوعها ذا تأثير حاسم ومباشر على تفكيره وتصرفاته ومعنوياته . واخيرا — وكما سبق القول — فهو عدو أصابه الغرور فظن ان تحصيناته على قناة السويس بمثابة مقبرة قد اعدها لجيش مصر ليرقد فيها رقدته الأخيرة ! .

وكان لزاما على القيادة المصرية أن تعمل قدر المستطاع على اضعاف أو تجميد نقط قوة العدو واستغلال نقط ضعفه . وعلى ذلك ، استصوبت أن يتم الهجوم المصرى على طول مواجهة القناة (١٧٥ كم) ، بل ومده الى الجنوب من قناة السويس حتى مسافة ١٣٠ كم على امتداد الساحل الشرقي لخليج السويس ، ودفعه فى عمق سيناء حتى مسافة ٥٠ كم شرقا ، على ان يبدأ كل ذلك فى وقت واحد . فمثل هذا الهجوم الشامل سوف يحقق الآتى :

● يرغم العدو على توزيع ضرباته الجوية الموجهة لقواتنا ، وبذلك يصبح تأثيرها ضعيفا .

● يخدع العدو عن الاتجاه الرئيسي لهجوم قواتنا ، وبالتالى يحرمه من تركيز جهود قواته الجوية ضد قواتنا فى هذا الاتجاه أو ذاك ، فضلا على تأخير وارباك ردود فعله على الأرض ، ويؤجل شن ضرباته المدرعة الى ان يتحقق من اتجاه المجهود الرئيسي لقواتنا ودرجة خطورته عليه .

وكان معنى قرار القيادة المصرية مهاجمة العدو على امتداد مواجهة دفاعاته هو ان تقتحم القوات المصرية قناة السويس عنوة ، وان تهاجم وتدمر قلاع بارليف فيما بين السويس جنوبا وبور سعيد شمالا .

وحينما قررت القيادة المصرية ذلك كانت تعلم تماما ان عبور قناة السويس بجيش كبير ، بل بجيشين فى وقت واحد ، باقصى ما يملكان من اسلحة وعتاد ، وفى وجه مقاومة عنيفة من العدو المتأهب على الضفة الشرقية ، كانت تعلم تماما انها مشكلة ضخمة يصعب حلها ، بل قد تبدو للبعض معضلة بالغة الخطورة ان لم يكن مستحيلة .

فمما اظهره سجل الحروب أن عبور الموانع المائية كان دائما اشق العمليات واعقدها واكثرها فداحة فى الخسائر . وكم من جيوش حاولت

عبور الموانع المائية قديما او حديثا ففشلت واصابتها الكوارث . وقد يزعم قائل أن الموانع المائية قد قلت قيمتها بفضل تطور اسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات البرمائية . **ولكن قناة السويس مانع فريد جد مختلف عن باقى الانهار والمسالك المائية الاخرى ، التى سبق اجتيازها بالجيوش على مدى التاريخ للأسباب التالية :**

١ — يحد القناة شاطىء شديد الانحدار ، مغطى بستائر اسمنتية وحديدية ، تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة ، وهى صفة تتفرد بها قناة السويس عن مختلف قنوات وانهار العالم ، فيما عدا قناة بنما فحسب .

٢ — تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر ، فيختلف منسوب المياه تبعا لارتفاعها وانخفاضها عدة مرات فى اليوم الواحد . ويبلغ فارق المنسوب بين اعلى مد وادنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمترا فى شمال القناة ، بينما يزيد هذا الفارق كلما اتجهنا جنوبا حتى يصل الى المترين قرب مدينة السويس . ولهذه الظاهرة اثرها الكبير على تخطيط العبور ، والأعمال الفنية الخاصة باقامة المعديات وانشاء الكبارى .

٣ — وهناك عامل آخر كان له تأثيره المباشر على تخطيط العبور هو سرعة التيار واتجاهه . اذ تتميز القناة بشدة التيار وسرعته التى تبدأ من ١٨ مترا فى الدقيقة فى القطاع الشمالى ، وتصل الى ٩٠ مترا فى الدقيقة فى القطاع الجنوبى . وفضلا عن ذلك فان اتجاه التيار يتغير دوريا كل ست ساعات من الشمال الى الجنوب وبالعكس .

٤ — ويتراوح عرض القناة بين ١٨٠ ، ٢٢٠ مترا ، اما طولها فيصل الى ١٧٥ كيلو مترا . ويتراوح عمقها بين ١٦ و ١٨ مترا ، وينخفض سطح المياه عن حافة الشاطىء بحوالى مترين ، وبذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات المختلفة ... لا طفوا ولا خوضا ولا سيرا على القاع ...

ومن الخصائص المميزة لقناة السويس انه كان يوجد على ضفتها الشرقية ساتر ترابى من ناتج حفرها ومقاومة تطهيرها ، يتراوح ارتفاعه من ستة الى عشرة امتار ، وقد اوحى هذا الساتر للعدو ان يستغله فى اقامة خط دفاعى محصن على امتداد القناة ، فقام بتعليته حتى وصل فى بعض القطاعات الى ٢٥ مترا ارتفاعا فى المتوسط .

وفى جوف هذا الساتر الترابى الكبير اقام العدو عدة نقط حصينة، بذل فى بنائها جهدا ضخما واموالا وفيرة . واستخلص الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة فى علوم التحصينات والموانع وفنونها . وطبقها على خط بارليف .

وقد اراد العدو ان يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة السويس سدا منيعا يحول بين جيش مصر وارض مصر فى سيناء ، فلم يكتف برفع الساتر الترابى نحو السماء ، بل قام بازاحته غربا حتى لامس حافة القناة تماما ، بزاوية ميل تزيد على ٤٥ درجة ، ليضع امام المقاتل المصرى مزيدا من العقبات ، وان ينمى فى وجدانه شعورا بالعجز واليأس . ثم اقام داخل هذا الساتر وفوق قمته والى الخلف منه عدة خطوط دفاعية محصنة ، تشكل فى مجموعها منطقة دفاعية من اقوى المناطق الدفاعية التى عرفها التاريخ . وقد اطلق اسم « خط بارليف » على الخط الأول منها ، الذى تكلف انشاؤه ٢٣٨ مليون دولار ، أى ما يقرب من نصف تكاليف السد العالى * .

ولا تعتبر هذه المنطقة الدفاعية من الناحية العسكرية دفاعا مجهزا فقط . بل هى منطقة حصينة على امتداد قناة السويس ، من شرق بور فؤاد شمالا حتى راس مسلة على خليج السويس جنوبا ، وبعمق يمتد الى الشرق حوالى ٣٠ ــ ٣٥ كيلو مترا ، حتى منطقة المضايق . وتحتوى هذه المنطقة الحصينة ، والتى تناهز مساحتها ٥٠٠٠ كيلو متر مربع على نظام كامل من التحصينات الهندسية والسواتر الصناعية والموانع القوية وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، ولتخترقها طرق طولية وعرضية للمناورة بالقوات ، كما تنتشر بها المستودعات والمخازن وورش الاصلاح .

وتعمل فى هذه المنطقة قوات العدو المدرعة ومشاته الميكانيكية ومدفعيته ووحدات دفاعه الجوى ، وجميعها مدربة على مهامها تدريبا جيدا بفضل المشاريع والمناورات المتتالية التى عقدتها على امتداد ست سنوات ، وخاصة شن الهجمات المضادة ، واساليب التحرك والفتح لتنفيذها ، واعمال المناورة لصد القوات المهاجمة ، والقيام بالهجمات والضربات المضادة ، فى تعاون وثيق مع القوات الجوية التى تقف على اهبة الاستعداد للتدخل .

(*) ذكرت بعض المصادر الاسرائيلية التى صدرت حديثا انه قد صرف على انشاء هذا الخط حوالى خمسة آلاف مليون ليرة اسرائيلية خلال فترة الثلاثة اشهر الاولى لانشائه . ثم صرف عليه بعد ذلك عدة آلاف من الملايين الأخرى ، وبررت تلك التكاليف بالسرقة والرشاوى والاختلاسات .

وتستند المنطقة الحصينة الى موانع طبيعية قوية تمتد فى جميع الاتجاهات ، فالى الغرب توجد قناة السويس ، والى الشرق يقع خط المضايق الجبلية والى الشمال البحر الأبيض المتوسط ، والى الجنوب هضبة العجمة الجبلية وخليج السويس . وبكل هذه الخصائص والصفات اعتبر خبراء الحرب تحصينات خط بارليف منطقة حصينة فريدة من نوعها ليس لها مثيل من القوة والمناعة من سجل التاريخ الماضى والمعاصر .

ويتكون هيكل الدفاع فى المنطقة الحصينة من عدة خطوط دفاعية، ومناطق مجهزة لتمركز الاحتياطات المدرعة ، ومواقع المدفعية ، وشبكة الطرق الرئيسية والفرعية ، وشبكة الصواريخ المضادة للطائرات طراز (هوك) ، والمدفعية المضادة للطائرات ، والمناطق الادارية ، وخطوط انابيب المياه .

ويتكون الخط الأول وهو « خط بارليف » من ٢٢ موقعا حصينا ، تضم ٣١ نقطة قوية ، تبلغ مساحة كل نقطة منها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع او اكثر وهى عبارة عن منشاة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل الى قمة الساتر .

ويتكون الطابق الواحد من عدة دشم (غرف) من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية والواح الصلب ، ويفصل كل طابق عن الآخر طبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلحة والأتربة والأحجار ويبلغ سمك هذه الطبقة مترين .

وقد جهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك فى جميع الاتجاهات . هذا فضلا عن دشم اخرى مجهزة لأسلحة المدفعية والدبابات . وتتصل جميع هذه التجهيزات ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة ، مبطنة بالواح الصلب وشكائر الرمل .

وقد وفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ١٠٠٠ رطل او يزيد .

ولزيادة مناعة النقط الحصينة ، احاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، والتى بلغ عمقها حوالى ٢٠٠ متر . هذا بالاضافة الى الشراك الخداعية التى تغطى ميول الساتر الترابى وقمته . كما جهز العدو بعض النقط بخزانات الوقود ومواد النفط ، وتخرج منها مواسير الى القناة ليتسرب خلالها الوقود طبقا لنظرية الأوانى المستطرقة ، لتغطية سطح القناة ولاشعالها

حتى تتحول مياهها الى مسطح هائل من اللهب ترتفع ألسنته الحارقة لأكثر من المتر ، وتصل درجة حرارته الى ٧٠٠ درجة مئوية .

واعتمد العدو في اختيار هذه النقط الحصينة ان تغطى الاتجاهات الصالحة لعبور القناة وتقدم القوات الى عمق سيناء وان تتبادل المعاونة فيما بينها بالنيران . وهكذا تخلق هذه النقط بالاضافة للسد الترابى العالى وحاجز اللهب المشتعل سدا آخرا من نيران الاسلحة المختلفة المتوسطة والثقيلة ، حيث جهز العدو مواقع لدباباته فوق الساتر الترابى بفاصل ١٠٠ متر على طول مواجهة القناة .

وحتى يتبين القارىء حقيقة هذه القلاع والحصون التى اشتمل عليها خط بارليف المنيع . وتكتمل فى ذهنه الصورة الواقعية عنها . نسوق له فيما يلى وصفا موجزا لاحد هذه الحصون كمثال لما قامت عليه دفاعاته المنيعة على طول امتداد ضفة القناة الشرقية . كما ندعم الوصف بعدة صور فوتوغرافية ومخططات هندسية لزيادة الايضاح ..

هناك بين سهل الطينة والملاحات شرقا ، ورأس العش وبحيرة المنزلة غربا ، وعلى لسان ضيق من الارض ، قرب علامة الكيلو متر ١٠ جنوب بور فؤاد ، يقع حصن العدو المنيع ، الشهير بموقع الكيلو متر ١٠ ، الذى يشكل أقصى شمال حصون بارليف على ضفة القناة الشرقية .

ويلف الحصن من الشمال والجنوب خمسة عشر نطاقا من الاسلاك الشائكة التى تفصل بينها حقول الغام كثيفة ، أما من الغرب فيوجد ثمانية نطاقات اسلاك شائكة تفصل بينها ايضا حقول الغام . والحصن مزود باجهزة الانذار والشراك الخداعية التى تكشف اى تسلل او محاولة اقتراب منه ليلا او نهارا .

ويرتفع الساتر الترابى حول الحصن الى ١٨ مترا ، ويحيط به من جميع الاتجاهات ، ويقع داخله الكثير من الدشم والملاجىء للأسلحة الصغيرة والرشاشات المتوسطة والثقيلة المبنية فى جسم الساتر الترابى على طول محيط الحصن لتوفر له الدفاع من جميع الاتجاهات .

وتتعاون هذه الدشم مع بعضها فى انتاج النيران المتقاطعة والمائلة، ويصل عددها الى ٢٤ ملجأ ثقيل للافراد والمعدات ، ٢٦ دشمة للرشاشات ، ٤ دشم للأسلحة المضادة للطائرات ، وعدد من مصاطب الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات المجهزة بسواتر لحمايتها من الامام والأجناب .

ويحتوى الساتر الترابى ايضا على اماكن لمبيت وراحة الجنود تتوفر لها الوقاية من كافة النيران الثقيلة عدا القنابل الذرية ، وبها كل اسباب الترفيه والاعاشة والتكديسات التى تكفى المدافعين لأشهر طويلة من الحصار .

ويصل بين جميع الدشم والملاجىء خنادق عميقة تكفل لأفراد الحصن التحرك تحت الأرض بطريقة مختفية .

وكل ملجأ او دشمة يمكنها ان تتحمل القصف الجوى أو البرى الثقيل بفضل ما وفره العدو لها من شكاير رمال وطبقات من قضبان السكك الحديدية ثم طبقات الردم التى يصل سمك الطبقة الواحدة منها الى ٣ أمتار ، ثم سبعة صفوف فوق بعضها من البلاطات الخرسانية ، ثم طبقة أخيرة من الردم السميك ، وفوق كل ذلك سور من السلك الشائك الدائرى ، وصناديق سلك معبأة بالدبش والحجارة للوقاية من اسلحة الضرب المباشر .. وكل ذلك هو نتاج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة ، ومعين لا ينضب من دولارات المعونة والتعويضات والتبرعات .

وهذه الملاجىء والمخابىء مجهزة للوقاية من الأسلحة الكيماوية وغازات الحرب ، وتتوفر بها كل سبل الراحة ووسائل التهوية والترفيه والاضاءة والتدفئة والاتصال التليفونى بالعائلات فى الخلف .

ويخرج من الحصن مواسير تخترق بطن الساتر الترابى لتلامس صفحة الماء ، وتتصل بخزانات وقود خاصة فى الخلف ، يمكن اشعالها فى حالة اقتحام المصريين للقناة ، فتحيل صفحتها الى شعلة من نار لا تنطفىء ، ولا تبقى ولا تذر .

وبالحصن معدات الاسعاف الأولى وطبيب معالج ، وبه اماكن للاستحمام بالمياه الساخنة والباردة ، ودورات مياه ، ومطابخ ، وصالة عرض افلام سينمائية ، ومقصف ومنتدى للاجتماعات والنشاط الاجتماعى . وفى قلبه ملاعب للكرة ولمختلف الألعاب الرياضية . وليس كل ما قدمنا من وصف لحصن الكيلو متر ١٠ من خط بارليف ـ وهو ليس قطعا أقوى الحصون التى يشتمل عليها هذا الخط ـ سوى شرح بالغ الايجاز يقصر كثيرا عن واقعه .. ولعل الصور الفوتوغرافية المرفقة بالكتاب تساعد القارىء على الالمام بالصورة الحقيقية لحصون هذا الخط الأسطورى المنيع ..

وبين الخط الأول على ضفة القناة الذى سبق شرحه ، وخط

المضايق الجبلية ، أنشات القوات الاسرائيلية خطين دفاعيين آخرين هما الخط الثاني والثالث . ويبعد الخط الثاني حوالى ٣٠٠ – ٥٠٠ متر عن الخط الامامي . ويتركز في الاتجاهات الأكثر صلاحية لعبور القناة وتقدم القوات المهاجمة ، وقد انشيء هذا الخط بنفس مواصفات الخط الأول ، وان كان أقل امتدادا واتصالا .. وهو مجهز اساسا لاحتلاله بالقوات المدرعة الموجودة على الأجناب وفي الخلف .

اما الخط الثالث فيمر على مسافة تتراوح بين ٣ – ٥ كيلو مترات من القناة ، على بعض الاتجاهات الهامة ، وعلى اجناب الطرق الرئيسية المؤدية الى العمق .

وبين هذه الخطوط والى الخلف منها حتى خط المضايق ، انشأ العدو مجموعة من التلال والسواتر الصناعية ، وجهزها كى تحتل بالدبابات ليصد بها هجوم القوات المصرية او يستخدمها كخطوط فتح لشن الهجمات المضادة ، ويقع اهمها على بعد ١٠ – ١٢ ، ١٥ – ٢٠ كيلو مترا شرق القناة .

وبالاضافة الى كل ما سبق من خطوط وحصون ونيران ، فقد جهزت القوات الاسرائيلية مناطق تجمع للاحتياطيات المدرعة داخل نطاق المنطقة الحصينة . وتقع مناطق التجمع هذه على اعماق مختلفة تتراوح بين ٥ – ٣٠ كيلو مترا من قناة السويس . وتتمركز في هذه المناطق احتياطيات العدو المدرعة ، والأسلحة المضادة للطائرات ، والصواريخ المضادة للدبابات .

وداخل اطار المنطقة الحصينة قام العدو بتجهيز عدد كبير من مواقع بطاريات مدفعية الميدان المتوسطة وبعيدة المدى ، بلغ مقدارها حوالى ٢٤٠ موقعا مجهزا ، يعمل ٣٠ موقعا منها فى الحالات العادية ، ويعمل جزء من الباقى فى حالات التوتر ، ويعمل الباقى كمواقع تبادلية يتم الانتقال اليها فى حالة تعرض أحد المواقع الأساسية لقصف المدفعية المصرية المؤثر .

ومن ناحية اخرى قام العدو بانشاء شبكة ضخمة من الطرق الطولية والعرضية شرق القناة وحتى مسافة ٣٠ كيلو مترا منها . وذلك لتسهيل حركة قواته فى اى اتجاه ، وللمناورة بها حسب تطور القتال . وبلغ اجمالى أطوال هذه الطرق داخل المنطقة الحصينة حوالى ٧٥٠ كيلو مترا . ومعظمها طرق عرضية تخدم التحركات من محور طولى الى محور آخر .

والى جانب اعتماد اسرائيل على قواتها الجوية لتوفير الدفاع الجوى عن القوات المدافعة فى المنطقة الحصينة ، فانها انشأت شبكة قوية من الصواريخ طراز هوك ، وزودتها بأحدث الأجهزة الالكترونية والرادارات الحديثة ، وذلك لحماية مراكز القيادة والنقط القوية والقلاع وغيرها من الأهداف الهامة .

كانت تلك مجرد عجالة عن منطقة العدو الحصينة وقلاع خط بارليف المنيع ، اما عن عمق سيناء فقد جهزه العدو بمناطق عديدة لتتجمع فيها احتياطياته التعبوية المدرعة ، وخطط ان تتبع كل منها لواء مدرعا مدعما ، فى تأهب تام للقيام بالهجمات المضادة القوية ، وشن الضربات المضادة الحاسمة ، بمجرد شعوره باهتزاز الموقف الدفاعى داخل المنطقة الحصينة ...

وظل الاعتماد الرئيسى للقيادة الاسرائيلية على المنطقة الحصينة ، وقلاع خط بارليف بصفة خاصة ، ولذا لم تأل جهدا أو مالا أو خبرة لتحويله الى مانع يستحيل اقتحامه ...

من ذلك كله نجد ان قناة السويس وخط بارليف لم يكونا مجرد مانع حصين فحسب ، بل مانع فريد ليس له مثيل فى العالم ، وليست هناك خبرة سابقة فى التاريخ العسكرى لعبور مثله . ويحضرنا فى هذا المجال قول الجنرال دافيد اليعازر رئيس اركان الجيش الاسرائيلى عن خط بارليف « انه سيكون مقبرة الجيش المصرى » . فاذا بالجيش المصرى يقتحم هذا الخط ويحيل دفاعاته الأسطورية الى مقبرة لاليعازر(*) واقرانه من صقور اسرائيل الذين عادوا بعد الهزيمة يعترفوا بكفاءة الجندى المصرى فيقول اليعازر عنه : « لقد كانت أكبر مفاجآت هذه الجولة هى روح الجندى المصرى العالية وكفاءته » .

كان على القيادة المصرية ان تفحص عدة مشاكل وان تعالجها مشكلة بعد الأخرى ، حتى تحقق للمقاتل المصرى افضل الظروف لاظهار كفاءته وقدراته الكامنة .. اذ كان عليه ان يعبر القناة فى وجه سد من اللهب والنيران ، وأن يصل سليما هو وسلاحه الى الضفة الشرقية ، ويتسلق الساتر الترابى العالى ، ويقتحم بما فى يده من اسلحة خفيفة خط التحصينات ، ويدمر قلاعه القوية ويصد ضربات العدو المدرعة وقصفات طيرانه ثم يرفع علم مصر خفاقا فوق اعلى الروابى والقمم .

(*) عزل بعد الحرب من منصبه .

ثم كان عليه بعد ذلك ان يتابع تقدمه ويواجه دبابات العدو ويقاتلها ويقضي عليها .. كل ذلك تحت ظروف صعبة ولمدة ساعات حرجة تناهز الست ساعات . لقد كان على الجندي المصري المترجل ان يقاتل بمفرده الى ان تقام المعابر وتصل الدبابات والأسلحة الثقيلة الاخرى الى الضفة الشرقية .. وكان ذلك ضربا من الاعجاز البشري .. ليس له مثيل فى سجل الحرب .

* **فالمشكلة الأولى** هى ان يجد الوسيلة لاخماد النار فوق سطح الماء ، أو يمنع اشتعالها أصلا ، ولتحقيق ذلك تقرر دفع بعض الأفراد لاغلاق مواسير النابالم بالأسمنت ، وعبور مجموعات من الصاعقة للاستيلاء بسرعة على مستودعات المواد الملتهبة . كما تم انتخاب قطاعات العبور بحيث تجتاز قواتنا صفحة القناة فوق التيار ، لتتفادى النيران المشتعلة فوق الماء .

* **والمشكلة الثانية** كانت فتح الممرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية حتى يمكن اقامة المعديات وتركيب الكبارى لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة . وأجرى ما يزيد على ٣٠٠ تجربة ومحاولة مضنية على امتداد عدة سنوات تمت فيها اختبارات كثيرة لفتح هذه الممرات التى لا غنى عنها لنجاح العبور ـ بالمدفعية وبكل أنواع المفرقعات والصواريخ والألغام وقنابل الطائرات ذات الأوزان الثقيلة .. التى فشلت جميعا فى أن تحقق شيئا من المطلوب ..

واهتدى احد الضباط الى فكرة استخدام مدافع المياه . وفى التو واللحظة قابلت الفكرة التشجيع اللائق بها ، ودرست من كافة الزوايا والتفاصيل ، وتقرر استخدام طريقة التجريف بالمياه تحت ضغط كبير بالاعتماد على مضخات المياه القوية ، والتى اطلق عليها اسم « مدافع المياه » ، بعد تعديلها بوساطة المهندسين المصريين . وكان الأمر يتطلب فتح ٨٥ ممرا فى الساتر الترابى ، يحتاج كل منها لازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الرمال والاتربة ، أى ما يساوى ١٢٧٥٠٠ متر مكعب ، تحتاج لجهود نصف مليون رجل / ساعة لرفعها بالطريقة التقليدية ، ولكن مدافع المياه كفلت لنا أن يتم فتحها جميعا خلال ٣ ـ ٥ ساعة .

* **والمشكلة الثالثة** كانت تامين اقتحام المجموعات الأولى من القوات ضد نيران العدو المصوبة برشاشاته ومدفعيته ودباباته ، والتى كان قد ضبط مراميها لتغطى سطح القناة وتحيله الى سد من النيران المتشابكة .

ولهذا الغرض خططت اعمال المدفعية واسلحة الرمى الأخرى لتنفيذ أقوى تمهيد نيرانى شهده الشرق الأوسط على امتداد تاريخه الحافل بالمعارك .

* **والمشكلة الرابعة** كانت ارتفاع الساتر الترابى الذى فاق ارتفاعه العشرين مترا ، والأفراد يحملون كامل أسلحتهم وذخائرهم ومعداتهم . وقد ابتكر الكثير من الأدوات والأجهزة لتسهل صعود هذا الساتر الحاد الزاوية ... كما كان لتصميم الجنود وعنادهم الفضل فى نجاح الجميع فى ارتقاء الساتر ... بالمعدات المبتكرة حينا ، وبالأظافر والأنياب أغلب الأحيان ...

* **أما المشكلة الخامسة** فكانت تتلخص فى توفير القدرة للقوات المترجلة على القتال ضد دبابات العدو وعرباته المدرعة ، التى سيدفعها لشن الهجمات المضادة بعد الدقائق الأولى لاقتحام جنودنا القناة . ولهذا الغرض تم تخطيط عدة اجراءات اهمها :

١ ـ أن يحمل جنود الموجات الأولى أكبر قدر من الأسلحة والذخيرة وأقل قدر من التعيينات والمياه .

٢ ـ أن نبتكر ونصنع عربات صغيرة لنقل مالا يستطيع الجنود حمله ، على أن تجر بالايدى ليتسلقوا بها الساتر الترابى .

٣ ـ أن تزاد نسبة تسليح الجنود بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، مع زيادة نسبة الصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات ، وأن تجهز خطط النيران لمدفعية الميدان المعاونة من الضفة الغربية .

٤ ـ أن تدرب الأطقم على فك المدافع وحملها بالايدى حتى اتمام صعود الساتر الترابى ، ثم يعاد تركيبها بسرعة لتستخدم فى تدمير دبابات العدو المقتربة .

٥ ـ أن تجهز سواتر عالية على الضفة الغربية للقناة لتحتلها الدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات ، لتشترك بالضرب المباشر ـ من الضفة الغربية ـ ضد دبابات العدو التى سوف تهاجم قواتنا فى الضفة الشرقية .

٦ ـ أن تشكل مجموعات اقتناص دبابات لتدفع تحت ستر نيران المدفعية قبل اقتحام القناة بالقوات الرئيسية ، لتوغل داخل مواقع العدو ، وتقيم الكمائن على طرق تقدم دباباته ، وتمنعها من الاقتراب صوب القناة .

ولعل ابرز معالم العبور كانت تتلخص في الآتي :

١ ـ لم يحدث في تاريخ الحروب أن نفذت عملية عبور أو اقتحام لقناة صناعية مجهزة هندسيا ومقام عليها قلاع حصينة كما جهزت قناة السويس وضفتها الشرقية .

٢ ـ كان لزاما أن يتم اقتحام قناة السويس وقلاع خط بارليف بالمواجهة، بخلاف المتبع في مهاجمة المواقع الحصينة بالالتفاف حولها . اذ لم يكن هناك مجال لتفادي خط المياه او خط التحصينات المتصلة او الالتفاف حولها . ويعتبر ذلك اعقد انواع الاقتحام للخطوط الدفاعية الحصينة .

٣ ـ كانت المرحلة الأولى للاقتحام تمثل اخطر مراحل العملية واكثرها حرجا بالنسبة للقوات المهاجمة ، وأسهلها بالنسبة للعدو المدافع . اذ كان على الجندي المترجل المهاجم ان يستمر في قتال دبابات العدو لمدة لا تقل عن ٦ ساعات قبل ان تبدأ الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى في عبور القناة والوصول اليه لترفع عنه عبء مقاتلة دروع العدو منفردا بصدره المكشوف .

التجهيز الهندسي لمسرح العمليات :

لقد احتلت أعمال التامين الهندسي دورا هاما في التحضير للعملية الهجومية ، وتشعبت تلك الأعمال وتعددت أنواعها واستغرقت وقتا طويلا واستنفدت جهدا كبيرا . وكانت أهم تلك الأعمال هي اجراءات التجهيز الهندسي في منطقة الجبهة وفي باقي المناطق العسكرية ، التي بدأت منذ يونية ١٩٦٧ ، واستمرت حتى انطلقت الشرارة الاولى لحرب رمضان الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

لقد تمت أعمال التجهيز الهندسي على عدة مراحل ، مع استغلال طاقات الشركات المدنية للانشاءات ، وشركة استصلاح الاراضي ، وكذا الهيئات التابعة لوزارة الري . وبلغت التكاليف الاجمالية للتجهيز الهندسي في منطقة الجبهة بمفردها ٣٠ مليون جنيه .

وكانت ابرز تلك الأعمال هي انشاء **ساتر ترابي** على الضفة الغربية لقناة السويس لتوفير الوقاية لقواتنا من نيران ومراقبة العدو ، وانشاء

هيئات حاكمة تعلو الساتر الترابي على الضفة الشرقية للقناة بحوالي ٤ ـ ٦ أمتار ، وذلك لاحتلالها بالدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات وتجهيز **شبكة من الطرق والمدقات** لتسهيل مناورة القوات اثناء العبور، وتجهيز **ساحات الاسقاط** لمعدات الكباري .

فقام المهندسون العسكريون بالاشتراك مع شركات القطاع العام وشركة استصلاح الأراضي ، بتعلية الساتر الترابي الأمامي على الضفة الغربية للقناة . وتم في سبيل ذلك تنفيذ أعمال تقدر بحوالي ٥ مليون متر مكعب من الرمال والأتربة .

أما الهيئات الحاكمة (أو مصاطب الدبابات كما اصطلح على تسميتها) ، فقد بلغ حجم الهيئة الواحدة منها ١٨٠ الف متر مكعب من الرمال والأتربة في المتوسط ، وانشىء منها عدة عشرات على طول المواجهة ، بحجم عمل اجمالي زاد على عشرة ملايين متر مكعب من الرمال والأتربة ..

واستمر تنفيذ الأعمال النهائية في تلك الهيئات حتى بدأت المدفعية المصرية التمهيد النيراني بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .. وكان هذا من مقتضيات خطة الخداع ..

ولتسهيل مناورة القوات المصرية اثناء الاقتحام والعبور تم انشاء شبكة متطورة من الطرق والمدقات بلغ طولها في منطقة الجبهة وحدها حوالي الفي كيلو متر ، كما تم اقامة ستائر على اجناب تلك الطرق وفي مواجهتها لاخفاء تحركات قواتنا عليها . وتم أيضا تجهيز عدة عشرات من المخاضات على ترعتي الاسماعيلية والسويس للربط بين شرق كل ترعة وغربها . وذلك بالاضافة الى الكباري التي كان يعيبها تعرضها للقصف الجوي والتدمير بفعل العدو ..

واستعدادا لاقامة الكباري على القناة فقد تم تجهيز ساحات الاسقاط لوحدات الكباري على الضفة الغربية للقناة ، وكذا المنازل اللازمة لاستخدام المعدات ، وذلك على طول المواجهة من السويس الى شمال القنطرة ، على مسافات متساوية ، حتى لا يتمكن العدو من تحديد قطاعات العبور مبكرا فيركز جهوده ضدها بما قد يفسد عملية العبور او يحبطها ..

❋❋❋

ولم تقتصر أعمال التامين الهندسي على تلك الاجراءات التي سبق شرحها فحسب ، بل قامت قوات المهندسين والشركات المدنية من

القطاعين الخاص والعام بأعمال مجيدة ضخمة شملت أراضي الجمهورية كلها . والجدير بالذكر أن اجمالي تكاليف أعمال التجهيز الهندسي لتجهيز مسرح العمليات بلغ عشرات الملايين من الجنيهات .. ولذلك قصة يجب ذكرها من البداية ..

من المعروف ان كل عمل عسكري يتطلب تأمينا هندسيا ، ودائما تفرض ظروف المعركة السياسية والعسكرية على المهندسين مكان العمل، وتحدد لهم الأرض والميدان . ويصبح على المهندس العسكري ان يطوع علمه ومعداته للتجاوب مع الفروض التي أمليت عليه . ولا يملك المهندسون العسكريون حلا وحيدا لمسألة ما ولكنهم يوالون البحث والتقصي عن مفاتيح متعددة لكل موقف . وهو أمر يحتمه سعي العدو الى وضع العراقيل في وجه كل حل . فضلا عن نقص المعلومات الدقيقة في بعض المواقف وخاصة عن الارض التي تتغير طبيعتها من مكان لآخر .

وعندما أتت الجولة الثالثة في صيف يونية ١٩٦٧ بالعدو الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، عثر عندها على ضالته في شكل تلال متراكمة من الاتربة نزحتها الكراكات من قاع القناة وهي تعمل دائبة لتعميق المجرى على امتداد نيف ومائة عام .

وهكذا وجد العدو ــ فضلا على ستائر الصلب والحوائط المجرية السائدة لمجرى القناة ــ اتربة سهلة التشكيل في انتظاره ، فقام بتعلية هذه الأكوام من الأتربة وحولها الى ساتر ترابي يرتفع من نحو ثمانية امتار الى نحو عشرين مترا وأكثر في بعض القطاعات ، ودفعه الى حافة القناة مباشرة بميوله الحادة التي تعجز مركبات القتال عن تسلقها ، وصنع منه ومن الأرض خلفه نقطا قوية تعمل معا في نظام متكامل يعتمد أساسا على دشم للأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات ، وزود الدشم الخرسانية بمزاغل قوية التحصين تسيطر بنيرانها على الشاطيء الغربي للقناة ، وعلى مياه القناة نفسها لمنع اية محاولة لعبورها .

وفي مواجهة ذلك ، كان علينا ان نقيم التحصينات لوقاية الأفراد وقطع السلاح والمعدات ، وان نحفر الخنادق ومرابض نيران المدفعية ، وان ننشيء مواقع للدفاع الجوي ، وان نجهز مراكز القيادة على جميع المستويات حتى يستطيع القادة ان يسيطروا منها على رجالهم واسلحتهم .

ثم كان علينا أن ننشيء نقطا قوية مشكلة من سواتر ترابية ومرابض نيران وملاجيء وغير ذلك من التجهيزات الهندسية التي تستطيع منها

قواتنا ان ترد على نيران العدو بالمثل ، بل وان تبدأه بقصفات رادعة اذا أطلقت نقط ملاحظتنا عن نواياه العدوانية .

ثم كان علينا ان نقيم نظاما من الموانع المضادة للدبابات والمضادة للافراد في تنسيق كامل مع خطة النيران .

كل هذا الجهد تم ونيران العدو وقنابل طائراته تنهمر في محاولات متكررة لتعويق العمل الهندسي الذي استمر برغم ذلك ــ ليلا ونهارا ــ لتحقيق صمود قواتنا في أعقاب يونيو ١٩٦٧ .

ويحق لنا ان نذكر نموذجين يوضحان اسلوب معالجة المهندسين للمواقف المختلفة تبعا لما تفرضه ظروف المعركة .

● **النموذج الأول** ــ والجميع يذكرون ان جزءا من سيناء بقي في قبضة قواتنا بعد يونيو ١٩٦٧ ، وهو منطقة بور فؤاد التي تتصل بمناطق سيطرة العدو بشريطين من الأرض ، أحدهما يصل الى مدينة القنطرة شرق مارا برأس العش والثاني يسير بمحاذاة ساحل سيناء الشمالي .

لقد أعد المهندسون الشريط الاول بمواقع متتالية يعتمد كل منها على سواتر ترابية ومرابض نيران وأحزمة من الموانع . ولكن الثاني كان أكثر قسوة فرجالنا بمدافعهم وأسلحتهم ينتظرهم شتاء تشتد فيه موجات البحر. وحمل المهندسون معداتهم واتجهوا الى البحر حيث قاموا بانشاء المواقع الدفاعية وحواجز الأمواج لحمايتها ، ثم ربطوا بينها بطريق ذي تصميم خاص يكفل له الحماية من امواج البحر . وفي الوقت الذي كانت الحجارة والمواد الاخرى تنقل الى نقط العمل على طول الشريط بجميع الوسائل بحرا وبرا كانت نيران العدو تنهال فوق رءوس الرجال.

● **النموذج الثاني** ــ حيث قام العدو بضرب ترعة الاسماعيلية بالقنابل الثقيلة في فرعها المتجه الى بور سعيد بهدف قطع المياه عن نحو خمسين الفا من الرجال في المدينة الباسلة .. وهناك بين القناة وترعة الاسماعيلية لسان ضيق من الأرض يسهل قطعه بقنابل الطائرات الثقيلة فتتدفق المياه العذبة من الترعة الى مياه القناة المالحة ، والارض كلها مابين القناة وبحيرة المنزلة لسان محدود العرض يسميه الرجال «رقبة الأوزة» . وعلى المهندسين ان يتحركوا بما أعدوه من خطط ومواد ومعدات لايقاف تدفق المياه .. كما تتحرك ضدهم دبابات العدو لتواصل صنع الخراب والدمار ولتمنع الاصلاح ، ولكن المهندسين ــ في كل مرة ــ كانوا سرعان ماينجحون في اعادة الامور الى نصابها .

وبحث المهندسون عن طرق اخرى لامداد المدينة بحاجتها من المياه فمدوا خطوط انابيب طاقتها عدة آلاف من الأمتار المكعبة فى اليوم ، وانشأوا خزانات للمياه داخل المدينة تكفى الاستهلاك عدة أيام .

ولا يكتفى المهندسون بكل ذلك ، بل يقومون بتجهيز صنادل عائمة تحمل المياه من مدينة المنزلة الى بور سعيد عبر البحيرة . وعندما يقصف العدو المجرى الملاحى فى بحيرة المنزلة بالقنابل الموقوتة ، يقوم المهندسون بتطهير المجرى اولا باول .

اتجه العدو بعد ذلك الى ضرب منشآت الصيانة والتحكم فى مناسيب مياه الترعة الحلوة فى ساقها المتجه من القاهرة الى الاسماعيلية ، وفرعيها المتجهين من الاسماعيلية الى كل من السويس وبور سعيد . فقصف هاويس مدينة القنطرة الذى يتحكم فى منسوب المياه المتجه الى بور سعيد لتحقيق هدفين أولهما قطع المياه عن بور سعيد ، وثانيهما تحويلها الى الأرض الواطئة لاغراق مواقعنا ورجالنا حول مدافعهم بالمياه الغزيرة المنصرفة من الترعة . وكان هذا أمرا متوقعا ومحسوبا . وسرعان ما تحكم رجال الرى فى فيض المياه من بوابات الاسماعيلية ، بينما سعى المهندسون لاصلاح نتيجة القصف المتكرر وانشاء السدود المؤقتة .

وقصف العدو سحارة ابو سوير حيث تنساب مياه المصرف اسفل الترعة ، ودارت دوامة رهيبة تشفط مياه الترعة الى المصرف . وقام المهندسون ابتداء ــ وفق تخطيط مسبق ــ بمحاولة سد السحارة ، ولكن الدوامة البشعة التهمت كل ما ألقى فيها من دبش ورمال .

واسرع رجال الرى بخفض مناسيب المياه فى البوابات والأهوسة من شبرا الى الاسماعيلية . بينما سد المهندسون الترعة ذاتها بحجارة كانت معدة لهذه المهمة من قبل حتى تم اصلاح المجرى المائى ومنشآته .

ولم يحقق العدو هدفه فى اغراق الأرض بما عليها من مزروعات وما فوقها من رجال وسلاح . وتشهد بور سعيد الخالدة للمهندسين بان المياه لم تنقطع عنها يوما واحدا .

والى جوار الأعمال الهندسية التى نفذت لتحقيق صمود قواتنا البرية تم تنفيذ اعمال هندسية على نطاق واسع **لتحقيق صمود قواتنا الجوية** ، بل ولمعاونتها فى انزال ضربات ضد العدو .

ولهذا الغرض تم تطوير شبكة المطارات والقواعد الجوية بانشاء نحو عشرين مطارا جديدا ، واعداد الممرات التبادلية فى جميع المطارات والقواعد الجوية . كما تم تجهيز ملاجىء محصنة للطائرات من الخرسانة المسلحة زودت بأبواب الصلب بأسلوب علمى مبتكر ، وتصميم هندسى مصرى بحت يعد مفخرة للمهندسين المصريين ، عسكريين ومدنيين .

واذ تتكلم الأرقام لتنصف اى عمل هندسى ، تتكلم ارقام هذا العمل الذى تم بالجهود المشتركة للمهندسين العسكريين وشركات القطاع المدنى فتقول أن التكلفة فى هذا المجال فقط قد جاوزت مائة مليون من الجنيهات ، وان العمل قد شمل اربعة وعشرين مليونا من الأمتار المكعبة من اعمال الحفر والردم ، وصب المهندسون خرسانة مسلحة وعادية تجاوزت مليونا ونصف متر مكعب ، واستخدموا كمية من الحجارة تجاوزت مليونى متر مكعب ، اى انها وصلت فى مجموعها الى قرب ما يحتويه الهرم الأكبر من أحجار ، واضافوا عليها مليونا ونصف من المواد الأسفلتية ، ولقد بلغ وزن ابواب الدشم الخرسانية نحو خمسة عشر الف طن من الصلب .

وقام المهندسون بتشكيل وحدات هندسية لخدمة كل مطار ، اشتملت على عناصر قادرة على توفير حاجته من الأعمال الهندسية خلال المعركة ، واستعادة كفاءته فى حالة تعرضه للقصف الجوى فى أسرع وقت ممكن . بما فى ذلك عناصر ازالة القنابل الموقوتة وتلك التى لم تنفجر .

وفى اطار توفير التأمين الهندسى للقوات الجوية الذى سار جنبا الى جنب مع كل الأعمال الخاصة بالقوات البرية ، فقد درس المهندسون المشكلتين اللتين تنجمان عن كل قصف جوى .

كانت المشكلة الأولى هى كيفية اصلاح الممرات بعد قصفها بقنابل الطائرات ، فى وقت محدود ، يسترد المطار بعده كفاءته ، ويطلق طائراته نحو السماء ، وتم التنسيق مع وزارة البحث العلمى ، واستغرق الجهد المشترك نحو ستة شهور ، الى أن انتهى الدارسون الى خلطة تستخدم فى رصف المساحات المدمرة من الأسفلت والأسمنت سريع التصلب شديدة التحمل .

ولم يلبث رجالنا ــ فى متابعتهم للبحث والتطور العلمى ــ أن عثروا على ألواح صلب تصلح لهذا الغرض ، وأمكن تصنيعها فى مصانعنا.

وكانت المشكلة الثانية هى ازالة القنابل التى لم تنفجر بعد ارتطامها بالارض ، وتلك التى تحتوى على اجهزة تفجير موقوتة ، بهدف منع رجالنا من اصلاح ما تم تدميره ، وابقاء المطار فى حالة شلل انتظارا لانفجارها ، وتم تشكيل وحدات هندسية كاملة لهذا الغرض صار تزويدها باحدث الأجهزة .

ولتوضيح مدى نجاح تلك الاعمال التحضيرية يجدر بنا ان نسبق الحوادث قليلا فنذكر ان التجهيز الذى تم فى المطارات والقواعد الجوية قد أثبت كفاءته ، اذ صمدت الدشم الخرسانية التى صممها ونفذها المهندسون المصريون لهجمات العدو الجوية بجميع انواع القنابل والصواريخ ، وكان صمودها دليل نجاح مهندسينا وقدرتهم على التصميم والتنفيذ ، فلم تحدث اية اصابة تذكر لطائراتنا وهى داخل الدشم ، كما ان شبكة الممرات التبادلية التى تم انشاؤها بكل مطار وقاعدة جوية فوتت على العدو فرصة اغلاق اى مطار ، او منع طائراتنا من مغادرته او العودة اليه .

اما رجال وحدات ازالة القنابل فقد أثبتوا أنهم من خيرة رجال المهندسين فى البذل والفداء .. لقد نجحوا فى رفع القنابل من الاهداف التى تعرضت للقصف الجوى .. ونظرة على كشف حسابهم تكفى لتبيان انهم قد رفعوا نحو خمسة آلاف قنبلة مضادة للدبابات، وما يزيد على عشرة آلاف قنبلة مضادة للافراد ، واكثر من الف قنبلة ثقيلة من اوزان الألف رطل .. وجميعها من انواع مختلفة ، ومزودة بأحدث ما اكتشفه العلم من شراك خداعية .

* * *

ونعود لنستأنف الحديث عن **اعمال التجهيز الهندسى لقوات الدفاع الجوى وللقوات البحرية ..**

فى نهاية عام ١٩٦٩ صدرت الاوامر بتركيز جميع الجهود والامكانيات لانشاء شبكة مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوى بما يحقق وقاية مناسبة للافراد والمعدات ضد قصف العدو الجوى . وكان للمهندسين العسكريين خبرتهم فى تصميم المنشآت الوقائية بهذه المواقع، والتى استفاد بها اصدقاؤنا فى حلف وارسو كما استفادت بها الدول العربية الشقيقة .

وبدأ العمل بشكل مكثف فى يناير ١٩٧٠ ، تحت قصف جوى

شديد استمر نهارا وليلا ، لخشية العدو من اتمام انشاء مواقع الدفاع الجوى واحتلالها ، والتى تعنى بداية النهاية لتفوق العدو الجوى .

لقد تكاتفت جهود مؤسساتنا الانشائية المدنية مع جهود وحدات المهندسين العسكريين لتنفيذ هذه المهمة . واسهمت نساء مصر وشبابها فى بعض المحافظات فى اعمال الانشاء بجهد كبير وعزيمة لا تلين بما أثبت للملأ ان الارادة المصرية لا تقهر .

واعيد انشاء كثير من المواقع عدة مرات عقب اصابتها بقنابل طائرات العدو ، وازيل من هذه القنابل مئات كانت موقوتة قبل ان تنفجر . ولجأ المهندسون الى العمل ليلا حيث تقل كفاءة العدو فى القصف الجوى ، وتم تنفيذ معظم هذه الاعمال فى ضوء القمر وانوار المصابيح اليدوية الصغيرة .

وقبل ايقاف اطلاق النار فى اغسطس ١٩٧٠ تمت المهمة ، واحتلت الصواريخ مواقعها المحصنة ، واختفت طائرات العدو من سمائنا .

وحيث تتكلم الأرقام نجد ان المهندسين قد اتموا بناء عدة مئات من مواقع وحدات الصواريخ ، وعددا مماثلا من المواقع المموهة ، شمل انشاؤها نحوا من ٥ر١٢ مليون متر مكعب من اعمال الحفر والردم ، ومليون وثلاثة ارباع متر مكعب من الخرسانة المسلحة والعادية ، وتم انشاء آلاف الملاجىء سابقة الصنع ، كما تجاوزت اطوال الطرق الداخلية فى هذه المواقع اربعة آلاف كيلو متر اى مثل المسافة بين القاهرة الى طرابلس ، وانفق المهندسون فى هذه الاعمال نحوا من ثمانين مليونا من الجنيهات فى هذه المهمة .

ولم يخل واجب المهندسين من تجهيز مواقع لرجال بحريتنا وما يتطلبه ذلك من تعامل مع موج البحر ، وتصميمات خاصة تناسب المياه المالحة ، كما شمل ذلك مراكز قيادات ومواقع ونقط الدفاع الساحلى .

اما عن ضفاف القناة ومسالة العبور .

فقد كان على المهندسين ان يعدوا انفسهم للاشتراك فى تنفيذ قرار العبور مهما كانت الصعاب التى تقابلهم . فبدأوا بشبكة للطرق بلغت جملة اطوالها اكثر من الفى كيلو متر ، اى ثلاثين مرة طول القناة نفسها ، لتأمين تقدم قواتنا الى القناة ، ومعها وحدات الكبارى .

وتلا ذلك تجهيز ساحات ومنازل أسقاط مهمات العبور فى مياه القناة بطول المواجهة من السويس جنوبا حتى شمال القنطرة . وكان التجهيز يتم على مسافات متقاربة بما يحرم العدو من تحديد القطاعات الحقيقية المخططة لانشاء المعابر ، كما يوفر فى نفس الوقت لقواتنا الحرية فى مناورتها من اتجاه لآخر حسب الموقف .

ولتأمين عبور القوات فى عملية هجومية شاملة كان لابد من اعداد الحجم الكافى من معدات العبور ومهماته . وتمت دراسات على أعلى مستوى من الفكر الهندسى لتحويل أنواع قديمة من الكبارى العادية التى يستغرق انشاؤها يوما كاملا الى كبارى اقتحام لا تستغرق أكثر من بضع ساعات . وجرى تنفيذ هذه الأعمال الفنية وغيرها محليا فى الورش والمصانع المصرية بما حقق زيادة فى وسائل العبور تعادل نصف الكمية التى وردت من الاتحاد السوفيتى .

اما عبور المشاة فى المرحلة الأولى من العملية لحماية الكبارى وتأمين رءوس الجسور فكانت تستلزم تدبير الفين وخمسمائة قارب ، وقد أمكن للمهندسين توفيرها بتصنيع نصفها محليا .

ولمعاونة المشاة فى تسلق الساتر الترابى لخط بارليف ابتكر المهندسون سلالم من الحبال وزلاقات من الصاج وغيرها انتجت فى ورش المهندسين .

ورغم بساطة هذه المهمات فانها حققت نجاحا كبيرا اذ مكنت قواتنا خلال الفترة من بدء العبور حتى بدء تشغيل الكبارى والمعديات من أن تنقل اعدادا كبيرة من المدافع الخفيفة المضادة للدبابات والرشاشات المتوسطة والرشاشات المضادة للطائرات وصناديق الذخيرة وغيرها من الأسلحة والامدادات اللازمة للقوات فى الساعات الأولى من المعركة .

وقد كانت اعقد المشاكل التى قابلت المهندسين ، هى الوصول الى انسب اسلوب لفتح الممرات فى الساتر الترابى الهائل الذى انشأه العدو على حافة الضفة الشرقية ، وذلك حتى يتمكن رجال الكبارى من انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات ، وحتى تجد مركبات القتال — من عربات ودبابات وجرارات تحمل قطع المدفعية والصواريخ الثقيلة — ميولا راسية تستطيع صعودها الى خلف الساتر الترابى .

وعلى امتداد خمس سنوات أجريت مئات من التجارب على فروع النيل جهزت بحيث تمثل الواقع تماما على القناة ، وقد استخدمت طرق متعددة فى التجارب منها النسف بالمفرقعات ، والقصف بالطيران ،

والرمى بالمدفعية والصواريخ ، الا انها لاسباب مختلفة لم تحقق النتائج المطلوبة .

وفى سبتمبر ١٩٦٩ استخدمت لأول مرة طريقة التجريف بالمياه لفتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام مضخة كبيرة تسمح بضخ خمسمائة متر مكعب من المياه فى الساعة ، ورغم انها نجحت فى فتح ممر فى توقيت مناسب الا انها اعتبرت وسيلة غير ناجحة لثقل وزن المضخة وحاجتها الى مصدر كهرباء لامدادها بالطاقة ، بالاضافة الى مشاكل اخرى لم يكن من اليسير حلها .

وفى أواخر ١٩٧٠ طور مهندسو الجيش الثانى اسلوب التجريف بالمياه باستخدام عدد من المضخات الصغيرة الخفيفة ، التى يمكن حملها بالأفراد وتحميلها على القوارب والتى تعمل بالوقود السائل ، وقد حقق هذا الاسلوب النجاح المنشود ، واعتبر التجريف بالمياه هو الأسلوب الرئيسى الذى يحسن التركيز عليه وتطويره .

وكان التطوير المنشود هو تدبير مضخات مياه خفيفة الوزن تعمل بالوقود ولها قدرة عالية على ضخ المياه . وامكن تدبير نوعين من المضخات يحققان المواصفات المطلوبة : أحدهما يعمل بالوقود العادى ، وقدرته متوسطة ، ويحتاج فتح ممر واحد الى نحو خمسة مضخات ، وثانيهما مضخات تربينية تعمل بالوقود العادى أيضا الا أن قدرتها تفوق قدرة النوع الأول ، وبذلك أمكن اختصار عدد المضخات اللازمة للممر الواحد الى ثلاثة بدلا من خمسة .

وننطرق الى مسائل التدريب على العبور فنجدها تشمل بالنسبة لوحدات المهندسين القائمة بالتنفيذ على مسائل ثلاث ، تدريب وحدات العبور على انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات والناقلات البرمائية ، وتدريب القوات على العبور بالقوارب والكبارى ووسائل العبور الأخرى، وتدريب نحو ثمانين وحدة صغرى من وحدات المهندسين على فتح الممرات فى الساتر الترابى تدريبا مشتركا مع وحدات العبور ، وذلك لتحقيق مستوى عال من الكفاءة فى انشاء المعابر المتكاملة ، سواء كانت معابر كبارى ، أو معابر معديات ، أو معابر ناقلات برمائية .

ولعل أعقد برامج التدريب التى قابلت المهندسين هو انتخاب وتجهيز اجزاء من المجارى المائية تتوفر فيها طبيعة قناة السويس من حيث العرض والعمق وسرعة التيار وتغير منسوب المياه ، ثم تجهيز

شواطئها بالتكسيات والسواتر المشابهة للقناة ، وانشاء سواتر ترابية ونقط قوية تطابق التى انشأها العدو على الضفة الشرقية للقناة .

كذلك كان يلزم توفر المسافات الكافية من حيث مواجهات وأعماق الأرض على كلا الشاطئين بحيث تماثل طبيعتها تلك الموجودة على جانبى القناة ، ثم امكان استخدام الذخائر الحية بجميع أنواع الاسلحة والطائرات مع الحد الى ادنى قدر مستطاع من الخسائر المحتملة فى الأرض المزروعة والممتلكات الأخرى القريبة . وكل هذه العوامل كانت تعتبر حيوية حتى يسير التدريب بصورة واقعية .

وليس من باس من ان نسوق بعض الأرقام حتى تقرب الى الذهن ما تطلبه التدريب على فتح الممرات فى الساتر الترابى من جهد وتكاليف .

ان مجرد اعداد وحدة مهندسين لفتح ممر فى الساتر الترابى كان يستلزم تدريبها مرتين نهارا ومرتين ليلا على أقل تقدير . ولو فرضنا أن كمية الأتربة التى يلزم ازاحتها لفتح الممر فى المتوسط تصل الى الف وخمسمائة متر مكعب . لوجدنا ان الوحدة تجرف ستة آلاف متر مكعب فى مرات التدريب الاربع . ثم لاعادة الساتر الترابى الى ما كان عليه يلزم نقل وتشكيل ستة آلاف متر مماثلة بدلا من تلك التى جرفت . اما اعادة القطاع المائى الى حالته الاولى فيلزم استخدام الكراكات لتطهير المجرى المائى من ستة آلاف متر مكعب جرفت من الممر وتحولت الى وحل فى القاع . اى ان تدريب كل وحدة كان يستلزم تحريك اتربة تصل الى ثمانية عشر الف متر مكعب ، فى حين أن العملية الفعلية لا تتطلب سوى ازاحة جزء من اثنى عشر جزء من هذه الكمية اى الف وخمسمائة متر فقط .

ولاتمام تدريب ثمانين وحدة بهذا الشكل كان يلزم القيام بنقل اتربة تصل فى حجمها الى مليون ونصف مليون متر مكعب ، فى حين أن ما سيتم تجريفه منها فى العمليات الفعلية لن يزيد على مائة وعشرين الف متر . هذا بخلاف اعمال نقل الاتربة التى تمت أثناء اجراء مئات التجارب التى أجريت للوصول الى أنسب أسلوب لهذه العملية ، والتى لا تقل عن نصف مليون متر مكعب اخرى .

هكذا امتدت الأعمال المجيدة التى قامت بها قوات المهندسين العسكريين والشركات المدنية من القطاعين الخاص والعام فشملت اراضى الجمهورية كلها .. استعدادا واسهاما فى المعركة الوشيكة .. حرب رمضان . .

اعداد القوات :

ومن العوامل الهامة التى وضعتها القيادة العامة المصرية فى تقديراتها ان الظروف قد فرضت على القوات المسلحة ان تقضى ست سنوات ونصف وهى تمارس أعمال الدفاع التى تتسم عادة بالجمود ، الأمر الذى قد يصيب اية قوات تتعرض لمثل هذه الظروف بما يسمى « مرض الخنادق » . ولذلك كان لزاما ان يكون هدفنا الاول من اعداد القوات المسلحة للعملية المقبلة هو تخليصها من آثار حرب الخنادق وعقدها ..

ولهذا الغرض وضعت سياسة حكيمة لاعداد القوات المسلحة ، استغرق تنفيذها فترة طويلة ، وركزت على مجموعة من اللزوميات لاعادة الحيوية والايجابية الى القوات ، وتنقية معنوياتها من شوائب الماضى ، ومن ابرز هذه اللزوميات :

١ ـ اقناع جميع القوات ان القتال أمر حتمى لا مفر منه ولا حل دونه مصداقا للآية الكريمة « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

وكانت جولات الرئيس السادات العديدة وزيارات وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المتتالية لتفقد القوات اثرها فى تحقيق هذا الهدف .

وكان الخط الاساسى الذى تضمنته توجيهات الرئيس السادات يدور حول الوضع المتجمد الذى لا مناص من تغييره . وان هذا التغيير يجب أن يتم بايدينا نحن قبل ان يفرض علينا العدو الأمر الواقع بكل ما يعنيه من اجحاف ومهانة ، وان حالة « اللاسلم واللاحرب » غير قابلة للاستمرار الى ما لا نهاية ، فاذا لم نبدأ نحن بالقتال فان العدو سوف يسبقنا يوما اليه ، ليكرس احتلاله لأراضينا ، واغتصابه لحقوقنا المشروعة ..

٢ ـ تدعيم ثقة الرجال فى سلاحهم وتغيير المفهوم القديم الذى يقول بان « الرجل بالسلاح » فالحقيقة هى « ان السلاح بالرجل » .. فالرجل اذا لم يكن واثقا من نفسه فاى سلاح سوف يحميه ؟ واذا وثق من نفسه فكل سلاح سوف ينصره . وقد كان هذا العامل الهام من العوامل الحاسمة فى القتال ، اذ تمكن المقاتل المصرى فعلا ان يجد ذاته وان يواجه بسلاحه أقوى أسلحة العدو فيفتك به وبها .

٣ - ومن نافلة القول ان نذكر ان التخطيط مهما بلغت دقته فان نجاحه يتوقف بالدرجة الأولى على كفاءة التنفيذ . لذلك كان التدريب المضنى على مهام العمليات امرا ضروريا ، كما كان استيعاب السلاح ، ورفع قدرة المقاتلين على السيطرة الكاملة عليه امرا حيويا .

ففى مواجهة هذه المهام العديدة التى كان على هذا المقاتل ان يذللها فان التدريب الشاق كان هو الحل الوحيد لضمان القدرة على تنفيذ اعقد المهام واصعبها بنجاح .. فقطرة العرق فى التدريب **توفر قطرات دم فى الحرب .**

٤ - واذا كنا قد وصلنا بالرجال الى الاقتناع بحتمية القتال وثقة السلاح ومهارة بالتدريب الشاق فقد كان لزاما علينا ان نعمل على كسر حاجز الرهبة ، وتغطية الفارق بين التدريب والواقع ، بأن ترى القوات رأى العين ما سوف تواجهه من اهوال ومشاق .

ولهذا تركز الاهتمام على واقعية التدريب ، واختيار الميادين القريبة الشبه الى اقصى حد بظروف وطبيعة المهمة التى سوف تواجه القوات ، واولاها واهمها مهمة عبور القناة والتغلب على ساتر اللهب فوق المياه ، ومواجهة تحصينات العدو وقلاعه . وتم اختيار مجار مائية مشابهة للقناة اقيمت على ضفتها السواتر المماثلة لسواتر العدو وانشئت عليها النقط القوية المماثلة لنقط العدو .

بل انه فى بعض الحالات نفذ التدريب فى القناة نفسها ، فى منطقة تمتد القناة فيها فى فرعين ، أحدهما ناحيتنا وتحت السيطرة الكاملة لقواتنا .. وذلك عند جزيرة البلاح .

المفاجأة وكيف خططنا لها ؟

كانت المفاجأة واسلوب تحقيقها من اهم الأمور الجوهرية التى شغلت بال القيادة العامة المصرية لفترة طويلة ، واستنفدت منها جهودا مضنية . ولقد نجحت القيادة فى ابتكار الأساليب الايجابية والسلبية التى تحقق هذه المفاجأة سواء على المستوى الاستراتيجي او التعبوى او التكتيكى .. وكان من العوامل الرئيسية التى ساعدت على تحقيق المفاجأة وضع خطة محكمة وشاملة للخداع الاستراتيجي فى

كل من مصر وسوريا ، على مستوى الدولة ككل ، تنظمها وتشترك فيها اجهزة الدولة المختصة ، على ان تتمشى مع خطة الخداع العسكرى لتحقيق الآتى :

١ - خداع العدو عن احتمال استخدام القوات المسلحة فى عمليات هجومية قريبة ..

٢ - الاحتفاظ بالسرية الكاملة لفكرة العمليات الهجومية .

٣ - اخفاء التوقيت المحدد لبدء الحرب .

كما تم توجيه الأجهزة السياسية والاعلامية لتوحيد جهودها وتركيزها لتضليل العدو عن نوايانا الهجومية . وقد تم التنسيق اللازم فى سرية كاملة ، وحددت خطوط العمل .

واعتمدت فكرة الخداع الاستراتيجي على تنسيق جهود وزارات الاعلام والخارجية والحربية قبل بدء العمليات بمدة ٥ - ٦ أشهر ، لتنفيذ مجموعة من الاعمال والقاء بعض التصريحات التى تهدف الى حجب استعدادنا العسكرى للقيام بأى اعمال قتالية قريبة ، مع خداع العدو عن التوقيت الحقيقى لبدء العمليات . وفى نفس الوقت تم التنسيق كاملا مع سوريا ..

وتحدد هدف الخداع الاستراتيجي من وجهة النظر العسكرية ليكون خداع العدو عن نية شن عملية هجومية حاليا وستر توقيتاتها واتجاه الضربات الرئيسية وحجم القوات المشتركة فيها .. ويتم ذلك بالايحاء للعدو بأن قواتنا تواصل استكمال استعداداتها الدفاعية ورفع كفاءتها القتالية وتنفيذ تدريبها ومناوراتها العادية ..

اجراءات الخداع العسكرى :

تضمنت الخطة الكثير من اجراءات الخداع التى استمر تنفيذها عدة شهور ومن هذه الاجراءات :

١ - متابعة تمام الاستعداد لاستكمال مطالب العملية الدفاعية وتجهيز الخطوط الدفاعية فى العمق استعدادا لصد أى هجوم مفاجئ للعدو .

٢ - تحريك قوات فى اتجاهات مختلفة وثانوية واجراء تحركات

عرضية داخل الجبهة ، وعكسية من والى الجبهة ، تحت ستار التدريب ، **مع التغيير المستمر فى حجم واوضاع القوات البرية** . واماكن تمركز القطع البحرية فى الموانى والمراسى المختلفة داخل وخارج الجمهورية .

٣ ـ استغرق تجميع القوات للهجوم فترة من ٣ الى ٤ أشهر ، بدفع الوحدات فى عناصر صغيرة ، وتكديس الاحتياجات تباعا فى الجبهة . كما دفعت القوات الرئيسية من العمق الى الجبهة قبل ثلاثة أسابيع من بدء الهجوم ، تحت ستر القيام بأعمال هندسية لاجراء مناورة كبرى مشتركة ، وبدأ القتال فعلا اثناء هذه المناورة .

٤ ـ وضعت خطة خاصة لتحريك معدات العبور من الخلف الى الجبهة ، وهى تعتبر أخطر الشواهد على نية الهجوم خاصة مع حجمها الكبير . وقد تضمنت الخطة تحركات كثيرة لهذه الوحدات من الخلف للامام ، ومن الامام للخلف ، بالاضافة للتحركات العرضية كنوع من التدريب على التحرك .

٥ ـ تضمنت الخطة اجراء تجارب استدعاء افراد الاحتياط على فترات منتظمة ، بحيث تقع أضخمها فى الفترات المحددة لتنفيذ الهجوم . بل انه تم تسريح ٢٠ الف جندى قبل بدء العمليات بمدة ٤٨ ساعة .

٦ ـ وحددت الخطة الخداعية الخطوط الرئيسية للتحرك الاعلامى والسياسى الخداعى ، ونفذ كثير من الاعمال والاجراءات الاعلامية والسياسية لخدمة الخطة الموضوعة ، وقد حققت كلها نجاحا كبيرا .

ويكفى القول ان مخطط الخداع الاستراتيجى ـ التعبوى قد حقق نجاحا ساحقا ، ادى الى وصول اجهزة المخابرات العالمية ، وعلى راسها وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، وكذا المخابرات الاسرائيلية الى استنتاجات خاطئة ، وبالتالى فوجىء العالم اجمع بالهجوم المصرى السورى المباغت .

لقد حاول المتحدثون العسكريون الاسرائيليون تعليل ما حدث بقولهم « **انهم قد راوا ولكنهم لم يفهموا** » . كما برروا الفشل بأن اسرائيل كانت تعلم ولكنها تركت مصر توجه الضربة الأولى . وهذه الاقوال مردود عليها ، فقبول الضربة الأولى يتعارض تماما مع جوهر

الاستراتيجية الاسرائيلية ، القائمة على ضرورة السبق فى توجيه الضربة الاولى كتدبير وقائى لا غنى عنه لاحباط التحضيرات العربية .

ومن ناحية اخرى فان ما حدث داخل اسرائيل وامريكا بعد الحرب من تحقيقات انتهت الى ادانة بعض كبار المسئولين عن اجهزة المخابرات الاسرائيلية والامريكية خير دليل على نجاح الخطة المصرية والسورية فى خداع اسرائيل واجهزة المخابرات العالمية الضالعة معها .

اختيار انسب التوقيتات لتنفيذ العملية الهجومية :

من اهم العوامل الرئيسية فى تحقيق المفاجاة الاستراتيجية اختيار انسب التوقيتات اللائمة لتنفيذ العملية الهجومية وضمان نجاحها . وقد تضمنت هذه العوامل اختيار الآتى:

١ ـ انسب شهور السنة .

٢ ـ انسب ايام الشهر .

٣ ـ انسب وقت لبدء الهجوم او ساعة «س» اى ساعة الصفر .

ولهذا الغرض اجريت دراسات مستفيضة لتحديد هذه التوقيتات ، نظرا لما تمثله من اهمية كبرى ليس فقط فى تحقيق المفاجاة ولكن كذلك لتوفير واختيار انسب ظروف الارصاد الجوية والاحوال الجومائية والهيدروجرافية التى تساعد اعمال العبور وتؤمن اعمال القتال البحرى والجوى . ومن ناحية اخرى كان ضروريا اختيار افضل التوقيتات التى تناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد .

اولا : اختيار انسب شهور السنة

هدفت الدراسة الى اختيار شهر من السنة يتوفر فيه الآتى :

- ظروف جوية مناسبة لقواتنا واقل مناسبة للعدو .
- امكان تحقيق المفاجاة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية .
- امكان الاستفادة من الظروف السياسية الداخلية والخارجية ، والمناسبات والاعياد التى تؤثر على الموقف العسكرى للعدو .

- أن تكون قواتنا قد استكملت رفع كفاءتها واستعدادها الكامل لتنفيذ المهام المخططة فى العملية الهجومية ، واتمت التجهيزات الهندسية فى الجبهة .
- اعتدال الطقس ومراعاة احوال الجو فى الجبهتين المصرية والسورية ، حيث يبدأ موسم تساقط الثلج فى الجبهة السورية فى شهر نوفمبر او ديسمبر وتختل الاحوال الهيدروجرافية فى القناة فى نهاية فصل الخريف .
- أن يتميز بليل طويل حتى يمكن استغلال ساعاته فى اتمام عبور القوات .

وقد توفرت كل هذه الشروط فى شهر اكتوبر حيث :

- تستعد اسرائيل لاجراء انتخابات الكنيست فى ٢٨ منه .
- يزدحم شهر اكتوبر بالاعياد الاسرائيلية والدينية ، وهى عيد الغفران ، وعيد المظال ، وعيد التوراة .
- ويأتى شهر رمضان المبارك خلال هذا الشهر ، بما له من تأثير معنوى على قواتنا ؛ فضلا عما يمكن تحقيقه من مفاجأة استراتيجية بشن الهجوم فى شهر الصيام ، الأمر الذى لا يتوقعه العدو .
- وليل اكتوبر طويل يصل الظلام فيه الى حوالى ١٢ ساعة .
- والطقس صالح فى الجبهتين لتنفيذ عمليات حربية واسعة .
- وهو افضل أشهر السنة بالنسبة للاحوال الجومائية المناسبة للعمليات البحرية .

ثانيا : اختيار انسب ايام الشهر

كما هدفت الدراسة الى اختيار احد الايام الذى يتوفر فيه الآتى:

- ان يكون عطلة رسمية او عيد او عطلة نهاية الاسبوع بالنسبة للعدو .
- ان يكون فرق المنسوب بين المد والجزر اقل ما يمكن لتوفير ظروف افضل لاقامة المعابر والكبارى على القناة .

- ان يتميز بضوء القمر الساطع ، خاصة فى نصفه الاول ، حتى يساعد على اقامة المعديات والكبارى ليلا ، ثم يبدأ عبور القوات فى الظلام خلال النصف الثانى من الليل . وهذا يتطلب الا تقل مدة الاضاءة القمرية عن ٥ ـ ٦ ساعات قبل أن يغرب القمر ويأفل ضوءه .

وقد توفرت كل هذه الشروط فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ حيث :

- تتوقف الحياة فى اسرائيل فى هذا اليوم ، فضلا عن كونه يوم سبت وعطلة نهاية الاسبوع .
- يوافق يوم ١٠ رمضان حيث القمر مناسب ومضيء من غروب الشمس حتى منتصف الليل .
- يعتبر فرق منسوب مياه القناة فى هذا اليوم مناسبا حيث سيتزايد بعد ذلك مع اكتمال القمر بدرا .

ثالثا : اختيار ساعة (س) ـ وقت بدء الهجوم .

واخيرا هدفت الدراسة الى اختيار الوقت المناسب الذى يوفر عددا محدودا من ساعات النهار يحقق الآتى :

- أن تتمكن القوات السورية من تنفيذ مهمتها الحيوية الاولى ، التى تتضمن اجتياز خندق مضاد للدبابات حفره العدو على طول امتداد الجبهة ، ثم تستولى على خط هام من المرتفعات، وذلك فى ضوء النهار .
- أن يتوفر للقوات الجوية السورية والمصرية الوقت الكافى لتوجيه ضربة جوية مركزة فى ضوء النهار، وان تتاح لها فرصة تكرارها قبل آخر ضوء اذا تطلب الموقف ذلك .

وفى نفس الوقت لا توفر للعدو الفرصة الكافية من ضوء النهار لتركيز قواته الجوية والرد على ضربتنا الجوية قبل آخر ضوء اليوم الاول للعمليات . وبذلك نحرم العدو من رد الفعل المؤثر قبل صباح اليوم الثانى ، اذ كانت هذه الفترة ضرورية لتنفيذ اعمال العبور الرئيسية دون تدخل جوى معاكس من العدو .

- ان تتوفر نهارا القدرة الجيدة لمراقبة وتصحيح نيران المدفعية اثناء التمهيد النيرانى للهجوم، واثناء قيام قواتنا بصد هجمات العدو المضادة المتوقعة فى الساعات الأولى التى تلى العبور .

- ان يمكن اسقاط معدات العبور الثقيلة فى مياه قناة السويس بمجرد هبوط الظلام ، على ان يبدأ تركيبها فى ضوء القمر ، بحيث يبدأ العبور عليها بعد غروب القمر فى منتصف الليل .

- ان تكون اشعة الشمس فى اعين العدو اثناء عبور قواتنا فى ضوء النهار ، بما يقلل من كفاءته فى المراقبة والتصويب .

وبناء على كل ما سبق تم اختيار ساعة «س» لتكون قبل آخر ضوء بمدة ٣½ ساعة ، حتى يتم خلالها انجاز الاعمال الرئيسية التالية :

- توجيه الضربة الجوية المشتركة بالقوات المصرية والسورية بقوة حوالى ٣٠٠ طائرة .
- تنفيذ التمهيد النيرانى بالمدفعية خلال اربع قصفات مركزة بحوالى ٢٠٠٠ مدفع ولمدة حوالى ساعة .
- تحريك الكبارى من مناطق تجمعها الخلفية الى الضفة الغربية للقناة ، وبدء اسقاطها فى المياه .
- فتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام مضخات المياه بوحدات المهندسين .
- ابرار قوات الصاعقة فى عمق العدو قبل آخر ضوء مباشرة .

لقد كانت الدراسات التى اجريت لتحديد هذه التوقيتات على درجة عالية من الدقة والمهارة حتى انها حققت كافة أهدافها دون استثناء . وعلى راس هذه الأهداف تحقيق المفاجأة الاستراتيجية على العدو ، وما يترتب عليها من احداث لاحقة . وخير ما نعبر به عن قيمة هذا العمل هو ما ذكره القائد العام للقوات المسلحة المصرية فى مجال تعليقه على عوامل تحديد يوم الهجوم وساعته اذ قال :

« لقد كان تحديد يوم (ى) عملا علميا على مستوى رفيع .. ان هذا العمل سوف ياخذ حقه من التقدير ، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين » .

سرية التخطيط والتجهيز للعملية :

مع بداية مرحلة التخطيط للعملية الهجومية « بدر » تم تحديد الأسلوب الذى يتبع فى هذه المرحلة بما يكفل سريتها المطلقة واختير أسلوب « التخطيط المتتالى » بحيث يسير العمل من مستوى الى مستوى ادنى تدريجيا ، ووفقا لجدول زمنى محدد . كما اقتصر التخطيط فى كل مستوى على مجموعة معينة ومحدودة من ضباط القيادة . ومنع تداول وثائق الخطط لغير هذه المجموعة .

ومن ناحية أخرى تم تلقين مهام العمليات لبعض المستويات على زعم انها مشروعات تكتيكية وضعت خصيصا لهذا الغرض لكى تجرى بمعرفة قيادات وقادة هذه المستويات . كما وضع نظام خاص لتداول وثائق خطة العمليات على جميع المستويات ، ومن المستوى الاعلى الى المستوى الأقل ، مع تحديد الوظائف المسموح لها بتداول هذه الوثائق .

وكانت النتيجة البارزة التى جمعت محصلة النتائج التى حققتها مفاجأة العدو هى احداث تغيير جذرى وفورى فى ميزان القوى العسكرى بالمنطقة ، وخلق موقف استراتيجى جديد خلال الساعات الأولى من القتال . وبالاضافة الى ذلك فقد حققت المفاجأة النتائج التالية :

١ ـ شل وارباك القيادات العسكرية الاسرائيلية على جميع المستويات ، ومنعها من العمل السريع أو التصرف السليم أو رد الفعل الفورى الذى تشتهر به ، وقد استمرت هذه الحالة عدة أيام .

٢ ـ حرمان العدو من تعبئة قواته المسلحة وموارده البشرية والاقتصادية وحشدها فى الوقت المناسب والمكان الملائم قبل بدء الهجوم .

٣ ـ تنفيذ مهام العمليات المعقدة وعلى رأسها اقتحام قناة السويس وتدمير قلاع بارليف فى ظروف أكثر سهولة ..

٤ ـ الاقلال الى حد كبير من الخسائر التى تتعرض لها القوات المصرية ، مع تكبيد القوات الاسرائيلية أفدح الخسائر فى القوى البشرية وفى الأسلحة والمعدات ..

الخطوط الرئيسية لفكرة العملية

وعلى ضوء هذه العوامل العديدة رسمت الخطوط الرئيسية لفكرة العملية الهجومية الاستراتيجية ، ووضع نصب العين عامل أساسى حاكم هو حقيقة قدرات العدو ، وقدرات القوات المسلحة المصرية ·

وعلى هذا الأساس روعى الآتى بالنسبة للعدو :

١ ـ أن يتم تحقيق الهدف من خلال تدمير الجزء الأكبر من القوات المسلحة للعدو فى البر والجو والبحر ··

٢ ـ اضعاف قدرة العدو الجوى وشل فاعلية قواته الجوية على العمل السريع الحاسم ، وحرمان قواته البرية من التمتع كعهدها السابق بسلاح المعاونة الرئيسى والعنصر الهام فى أعمال الحسم ، ونعنى به قوات اسرائيل الجوية ··

٣ ـ شل قيادات العدو وارباكها لفترة زمنية مناسبة ، وعرقلة اجراءات التعبئة السريعة أو الحشد الفعال ··

٤ ـ اعاقة تحركات العدو وحرمانه من القدرة على المناورة السهلة أو العمل من خطوط داخلية ضد أكثر من جبهة عربية واحدة فى وقت واحد أو بالتتالى السريع كما حدث فى الجولتين الأولى والثالثة ·

٥ ـ اسكات مصادر نيران العدو منذ اللحظات الاولى للقتال ، وافساد خططه الدفاعية القائمة على سرعة الحركة والمرونة الفائقة للقوات والنيران ·

وبالنسبة للجبهة المصرية فقد روعى الآتى :

١ ـ أن تستعد للعمل تحت ظروف تفوق العدو الجوى ، وتحت ستر غطاء دفاعنا الجوى فى وقت واحد ·

٢ ـ أن تكون مهمتها الاولى بعد العبور هى تدمير قوات العدو على مراحل ، وخاصة الدبابات ·

٣ ـ أن تعمل على امتصاص ردود الفعل المعادية ، وقدرات العدو الهجومية بأعمال دفاعية وايجابية نشطة ·

٤ ـ أن تتأهب لتطوير الهجوم فى اتجاه الشرق ، على ضوء ما تسفر عنه المعارك فى رءوس الكبارى ·

٥ ـ أن تشن الهجوم على طول المواجهة ، وفى عمق سيناء وجنوبها ، وأن يتم كل ذلك فى وقت واحد ·

على أســاس هذه الخطوط العريضة وضعت العملية الاستراتيجية الهجومية المشتركة وسميت بالاسم الرمزى « **بدر** » واستكملت الخطة جوانبها واصبحت جاهزة للتنفيذ رهن الاشارة وصدور القرار الجرئ، من قائدنا الاعلى ببدء القتال ، سيرا على درب النضال فى سبيل تحرير الأرض وتحقيق النصر ·

التنسيق مع الجبهة السورية

كان مجلس رئاسة الجمهوريات العربية قد قرر فى العاشر من يناير سنة ١٩٧٣ تعيين الفريق اول احمد اسماعيل قائدا عاما للقوات المسلحة الاتحادية · وعلى اثر ذلك اوكل الى هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية دراسة الموقف العسكرى على الجبهتين السورية والمصرية ، واستعراض طرق الحل المفتوحة أمام الاستراتيجية العربية · ووضع أسلوب السيطرة الاتحادية على الجبهات العربية ·

وقرب نهاية الشهر كانت هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية قد أتمت حصر قوات الدعم من دول الخط الثانى التى سوف تحشد فى المسرح لخدمة المعركة المرتقبة جنبا الى جنب مع أشقائها قوات دول المواجهة ·

وفى العاشر من مارس ١٩٧٣ أتم قائد عام القوات المسلحة الاتحادية دراســة التخطيــط للضربة الجوية المشتركة لاضعاف القوات الجوية الاسرائيلية وشل شبكة السيطرة والحرب الالكترونية المضادة فى بداية المرحلة الافتتاحية للعملية الهجومية العربية المقبلة ·

وفى الحادى والعشرين من مارس عقد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية دراسة مستفيضة مع هيئة عملياته ، تناول فيها دقائق يوم ى وساعة س كما ناقش احتمالات رد فعل العدو ، واستعرض الاطار العام لتنظيم التعاون الاستراتيجى بين الجبهات العربية القائمة بالهجوم ، وأسلوب الخداع السياسى والاستراتيجى لمفاجأة العدو ومباغتته فى العملية الهجومية المرتقبة ·

وفى أول ابريل تم تنظيم التعاون على الجبهة السورية واعتمد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية أسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين وطرق تبادل المعلومات بينهما، كما درس الطرق المختلفة لسحب احتياطيات

العدو الاستراتيجية من جبهة الى اخرى بما يكفل تهيئة الظروف المناسبة لهزيمة العدو على مراحل مسبقة التخطيط ، وحرمانه من ميزة العمل على خطوط داخلية ضد الجبهات العربية الواحدة بعد الأخرى كما اعتاد فى أغلب جولاته العدوانية السابقة ·

وفى صباح الثاني من مايو اجتمعت القيادتين الاستراتيجيتين المصرية والسورية للاتفاق بصفة مبدئية على توقيتات يوم ى وسعت س مع مراعاة جميع العوامل المؤثرة بالنسبة لمصر وسوريا · وفى المساء جرى التخطيط العام للضربة الجوية السورية المصرية المركزة ضد اسرائيل، فحددت اهدافها وشكلها واسلوب السيطرة عليها ، وتم حصر امكانيات مصر وسوريا التى يمكن تخصيصها لشن هذه الضربة التى كان الجميع على يقين من تأثيرها البالغ على كل ما سوف يتلوها من اعمال قتال ·

وفى الثاني والعشرين من مايو اصدر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية توجيهاته بالفكرة العامة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لكل من الجبهتين السورية والمصرية ، وحدد لكل جبهة الاجراءات والأعمال المنوطة بها ، والمدة الزمنية المفروضة لانجازها ·

وفى صباح السابع من يونية قام الفريق اول احمد اسماعيل بتحديد الهدف الاستراتيجى العسكرى للعملية الهجومية للقيادتين السورية والمصرية ، واستعرض التشكيل التعبوى لهما وكذا الاحتياطى العام للجبهتين ·

وفى نفس اليوم السابع من يونية قام اللواء بهى الدين نوفل بتنظيم التعاون بين الجبهتين المصرية والسورية ·

وفى أغسطس ١٩٧٣ تم بثغر الاسكندرية واحد من أهم مؤتمرات التخطيط والتنسيق واطولها ، اذ اجتمع القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية برؤساء أركان القوات المسلحة السورية والمصرية وقادة الأفرع الرئيسية ورؤساء هيئات العمليات المصرية والسورية والاتحادية لمناقشة مختلف العوامل المؤثرة على تحديد درجة استعداد القوات المسلحة للعملية الهجومية ويوم بدء الهجوم بالنسبة للجبهتين ، وفحص حالة البحر والمد والجزر ، والجو والطقس وطول الليل والنهار ، والقمر ، ومستوى تدريب القوات وكفاءتها القتالية · كما استعرض الأوضاع الداخلية فى اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وفحص المناخ الدولى من زاوية تأثيره على سير القتال المرتقب ·

وتم الاتفاق على انسب توقيت للعملية الهجومية بالنسبة لجميع

هذه العوامل هو شهر سبتمبر او اكتوبر ١٩٧٣ . مع اعتبار ان التوقيت الثاني هو الافضل . ثم امر الفريق أول احمد اسماعيل أن يترك البت النهائى فيه للقيادة السياسية ·

وفى اجتماع تال مع هيئات العمليات اتفق على أنسب يوم لبدء الهجوم هو يوم ١٠ رمضان المبارك . الموافق ٦ اكتوبر (تشرين أول) · وفى مساء ٦ سبتمبر أصدر الفريق اول أحمد اسماعيل توجيهات القيادة العامة الاتحادية باستعداد القوات المسلحة السورية والمصرية لشن العملية الهجومية (بدر) فى ظرف خمسة أيام اعتبارا من أول ضوء ١ اكتوبر ١٩٧٣ (تشرين أول) ·

وفى أول اكتوبر (تشرين أول) قرر الفريق اول احمد اسماعيل توجيهاته الاتحادية بتنفيذ الضربة الجوية المشتركة السورية المصرية سعت ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر ، وكذا الامر ببدأ تنفيذ العملية بدر ·

وفى الثالث من اكتوبر توجه الفريق أول أحمد اسماعيل الى دمشق وبصحبته اللواء بهى الدين نوفل حيث اجتمع بزميله وزير الدفاع السورى اللواء مصطفى طلاس وقيادته وتم الاتفاق على اللمسات النهائية للعملية الهجومية « بدر » على الجبهتين المصرية والسورية طبقا للخطط الموضوعة والتوقيتات المحددة ·

وختم الفريق اول احمد اسماعيل المؤتمر المصيرى بتاكيده ان المعركة الوشيكة سوف تكون قاسية وطويلة . وان العرب سوف يضربون بكل قوتهم وفى كل مكان وفى العمق · وان الكل يدرك خطورة القرار الجرىء ومنتهى الامل ان ننجز عملا ناجحا وان نقبل المخاطر المحسوبة ··

وفى الظهيرة استقبل الرئيس حافظ الأسد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية واعتمد له العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لتبدأ الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، ثم قفل الفريق أول أحمد اسماعيل عائدا الى القاهرة ليضع اللمسات الاخيرة لمعركة المصير ··

اللمسات الأخيرة

● **اتمت القوات المسلحة لجمهورية مصر العربية الفتح التعبوى طبقا لخطة دقيقة ، نفذت خلال فترة زمنية طويلة ، وكان هدفها احداث تغيير في أوضاع وتجميع قوات الجيوش الميدانية تدريجيا وبأسلوب ينطلى على العدو ، دون ان يثير شكوكه بما يدور على الجبهة المصرية .. وكان ذلك أحد العوامل الرئيسية لخداع العدو الخداع الكامل بالنسبة للعملية الهجومية الوشيكة .**

كما استهدفت أعمال الفتح التعبوى اتخاذ باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ـ ونعنى بها القوات البحرية والقوات الجوية وقوات الدفاع الجوى ـ الاوضاع المناسبة لتنفيذ مهامها المخططة ضمن اطار العملية الهجومية الاستراتيجية .

ولم تقتصر أعمال المرحلة التحضيرية على اجراء الفتح التعبوى للقوات المسلحة فحسب ، بل شملت أيضا ـ وبطبيعة الأمر ـ مختلف الاجراءات التنظيمية للعملية المقبلة ، بدءا باتخاذ القرار الاستراتيجى ، وحتى تخصيص المهام لكل فرد ، فضلا على مختلف الأعمال التحضيرية والتنفيذية من تكديس وتشوين المعدات والذخائر والامدادات ، وتجهيز مسرح العمليات ، وتدريب واعداد القوات والقيادات ..

وانتهت تلك الأعمال وقد اتخذت القوات أوضاعها الملائمة لشن الهجوم ، واتقن كل فرد مهامه في العملية المقبلة ، وتدرب عليها وملأ الشوق جوانبه لخوض المعركة وأداء الواجب .. وفي نفس الوقت ، وبنفس الخطا السريعة الهادفة ، وطبقا لمخطط محكم ، سار اعداد الدولة والشعب للحرب المقبلة .. للجولة الرابعة في الصراع العربي الاسرائيلي .. لمعركة المصير ..

وفي الحقيقة ، فان الاعداد للحرب والتحضير لها كان قد بدأ منذ رفض الشعب المصري .. بل الامة العربية كلها الهزيمة بانتفاضة ٩ ، ١٠ يونية ١٩٦٧ ، وعند ما أعلن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر **« ان ما اخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة »** ..

وعند ما قرر برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ **« ان لا صوت يعلو على صوت المعركة »** .. وعند ما سلم الشعب المصري الشعلة الى الرئيس محمد انور السادات ليقود النضال الشريف على طريق زميله في الكفاح نحو النصر .. وعندما تولى الرئيس السادات رئاسة وزارة المواجهة الشاملة .. استعدادا لتحمل قدره في الكفاح .. وعندما أعلن في مجلس الشعب **« ان التمني بلا ارادة نوع من احلام اليقظة »** .. كانت هذه جميعا سمات اصرار أكيد على خوض جولة أخرى .. والاعداد لها بكل ما تملك مصر من قدرات .

ولذا صار من غير المستساغ ، بل من غير الممكن ، ان نتكلم هنا بالتفصيل عن مراحل واجراءات اعداد الدولة والشعب والقوات المسلحة للحرب .. فهي اجراءات استغرقت سنوات عدة ، وكلفت الشعب المصري آلاف الملايين من الجنيهات .. دفعها راضيا .. اسهاما في نصيبه من الكفاح الحتمي ، أملا في تذوق حلاوة النصر ..

وسوف نقصر الحديث هنا على سرد أهم الاجراءات التي نفذت في ختام المرحلة التحضيرية قبيل المعركة :

* رفعت درجة استعداد القوات المسلحة المصرية الى الحالة الكاملة اعتبارا من سعت ٠٨٠٠ يوم ١ أكتوبر ١٩٧٣ ، وتم احتلال جميع مراكز القيادة والسيطرة على مختلف المستويات .. وقد أعلن حينذاك أن تلك الاجراءات قد فرضت لأغراض التدريب ، ولتنفيذ مشروع استراتيجي تعبوي ..

وقد استمرت القوات البرية في تنفيذ اجراءات التحضير للعملية الهجومية ، واعادة التجميع والفتح التعبوي تحت

ستار التدريب ، ورفع كفاءة التجهيز الهندسي لمسرح العمليات تحت ستار تحسين الدفاعات .

* واستمرت القوات الجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوي في تنفيذ مهامها العادية (الروتينية) لحماية سماء ومياه الجمهورية . وكانت أبرز تلك الأعمال فتح المدمرات والغواصات في المناطق المحددة لها ، واتخاذها الأوضاع الأخيرة .

* ورغم ذلك كله فلقد استمر نشاط العدو على مستواه السابق ، وان انحصر اساسا في المستوى العسكري فقط .. اما المستوى السياسي والاعلامي فقد تزايدت حدة تهديدات العدو الكلامية وتصريحاته المتشددة ، التي تهدف الى التأثير النفسي والمعنوي على الشعب المصري ، وتثبيت صورة القوات الاسرائيلية « الرادعة » في أذهان الرأي العام العالمي بصفة عامة ، والاسرائيلي على وجه الخصوص .

وعلى الجانب المصري استمرت عجلة الاستعداد في التزايد ، فتم تحديد الساعة ٠٦٠٠ يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ لتكون وقت تمام استعداد القوات المسلحة المصرية للعمل .. وأصدرت القيادة العامة تعليماتها التي تحدد التوقيتات الرئيسية لبداية العملية الهجومية ، وأرسلتها الى القيادات والرؤساء المختصين طبقا للخطة الزمنية المحددة ، التي راعت المحافظة على سرية النوايا .. كما أصدرت القيادة العامة تعليماتها بعدم السماح بدخول السفن التجارية المصرية والأجنبية الى موانى ومراسي خليج السويس ، وتخفيض عدد السفن المدنية الموجودة هناك .. وذلك للمحافظة على أرواح البحارة المدنيين من أي أعمال غادرة قد يقوم العدو بها ..

ويجدر بنا أن نسبق الأحداث لنذكر أن العدو عند ما لم يتمكن من الانتقام لخسائره في القطع البحرية الحديثة ، وخاصة في لنشات الصواريخ « سعر » التي ملأ الدنيا ضجيجا بشأنها ، عمد الى تركيز نشاطه البحري والجوي لاغراق عدد من قوارب الصيد المدنية الصغيرة التي تصادف وجودها في البحر الأحمر .

لقد بدأت آلة الحرب في الدوران سعت ٠٦٠٠ يوم ٥ أكتوبر واصبح من المستحيل ايقافها .

ومنذ الصباح الباكر ليوم ٦ أكتوبر المجيد .. تزايدت سرعة دوران آلة الحرب والاستعداد العسكري .. فقد قامت قوات المهندسين العسكريين بفتح الثغرات في موانعنا على الضفة الغربية على طول المواجهة لتسهيل

تقدم قواتنا لاقتحام قناة السويس ، كما قامت بقفل مآخذ المياه لترعة السويس والاسماعيلية ، لتسهيل عبور الدبابات والحاملات والعربات الترعة الحلوة عبر المخاضات والمعابر من عمق قواتنا الى الضفة الغربية لقناة السويس ..

وأتمت جميع القوات تحركاتها واتخذت أوضاعها .. واحتلت الصواريخ ارض - أرض التكتيكية والتعبوية مواقعها .. وعادت الدوريات التى تسللت فى هدوء لتلقى نظريات استكشاف أخيرة على النقط الحصينة وما وراءها من «خط بارلف» ، كما عادت الجماعات الخاصة التى دفعت لاحباط تحضيرات العدو لاشعال سطح القناة بالوقود الملتهب ، وذلك بعد أن قصت الخراطيم وسدت المواسير بالأسمنت ، واغلقت المحابس والصنابير ..

وقد يثير العجب أن هذه العملية قد تمت بنجاح تام ، فلم يفلح العدو فى اشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، واستولت قواتنا على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها ، مما دفع العدو الى انكار وجود هذه التجهيزات الشيطانية أصلا ، رغم وقوع أحد مهندسى صيانتها أسيرا فى يد مصر ، وافشائه كل أسرار النابالم وكيفية اشعاله لصفحة القناة بسعير من النيران .

وعلى مستوى الدولة سارت أيضا الاستعدادات للحرب بوتيرة متزايدة فى السرعة ، فرفعت درجة استعداد الدفاع المدنى الى « الحالة ج » ، أى الى حالة الاستعداد الكاملة سعت ١٣٤٠ ، قبل بدء العملية الهجومية بخمس وعشرين دقيقة فحسب . وللمحافظة على سرية النوايا اعلنت القيادة العامة أن هذا اجراء وقائى ضد أعمال محتملة للعدو .. وأخيرا صدرت الأوامر بايقاف حركة الطيران المدنى والمساعدات الملاحية ..

وفى مركز قيادة القوات المسلحة المصرية وضعت آخر اللمسات استعدادا لبدء العمليات ، فرفعت خرائط ووثائق المشروع التدريبى الاستراتيجى التعبوى ، وفتحت الخزائن المغلقة ونشرت الخرائط والوثائق الحقيقية ، وتم ضبط جميع الساعات الى أقرب ثانية .. كما ضبطت كذلك مع كل القيادات المشتركة فى العملية ضمانا للدقة المتناهية فى التنسيق .. حتى أن الضبط المبدئى للساعة الرئيسية تم مع اشارات ضبط الوقت من الاذاعة المصرية سعت ١٢٠٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ضمانا للتنسيق الدقيق مع الجبهة السورية .

ووصل الرئيس محمد أنور السادات رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة الى مركز قيادة العمليات ، واتخذ مكانه على رأس هيئة القيادة العامة فى القاعة الرئيسية ، وجلس عن يمينه الفريق أول أحمد اسماعيل ، وعن يساره الفريق سعد الشاذلى ، وعن قرب منه اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ، وأشارت عقارب الساعة الى تمام الساعة ١٣٣٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وامسك التاريخ قلمه ليسطر أروع الأحداث ..

❋ ❋ ❋

وكان المشهد رهيبا ومثيرا الى أبعد الحدود ..

❋ ❋ ❋

وفى معسكر العدو كان المشهد جد غريب .. اذ اجتمعت الحكومة الاسرائيلية ظهر الجمعة ٥ أكتوبر ، ودارت المناقشات واحتدم الجدل .. ثم انفض الجمع وقد جزمت السيدة مائير بأن لا خطر للحرب ، ولا احتمال لهجوم عربى وشيك ، وانصرف كل الى سبيله ليحتفل بعيد الغفران ، **رغم أنه على الجانب العربى وقع حدثان كان كافيان لكشف نوايا الهجوم العربى الوشيك لو صادفا ما يستحقانه من دراسة وتمحيص من أجهزة المخابرات الاسرائيلية ..**

أما الحدث الأول فهو بدء رحيل عائلات بعض المدنيين الأجانب من مصر وسوريا على وجه الاستعجال ، وأما الحدث الثانى فكان اصدار وزارة الطيران المدنى أمرا بايقاف حركة الطيران المدنى فى سماء مصر وايقاف مساعدات الملاحة الجوية المدنية ظهر يوم ٥ أكتوبر ، وان تداركت القيادة العامة ذلك باصدار الأمر الفورى باستئناف حركة الطيران المدنى بشكلها المعتاد .

وفى فجر ٦ أكتوبر دارت الشكوك فى صدر الجنرال دافيد اليعازر .. فالشواهد تجمع على اتمام الحشد العربى على الجبهتين المصرية والسورية .. وكان أن اجتمعت الوزارة مرة أخرى .. وعند ما انفض الجمع ظهر السبت ٦ أكتوبر كان القرار أن تتكفل السيدة مائير بالاتصالات السياسية لتخفيف حدة التوتر ، فاتصلت بوزير خارجيتها الذى تصادف وجوده بأمريكا ، وأمرته بابلاغ وزير خارجية الولايات المتحدة تأكيد اسرائيل انه اذا كان العرب يخشون هجوما اسرائيليا وشيك الوقوع فان اسرائيل لا تعتزم الهجوم ..

وتمت المحادثة التليفونية بين ايبان وكيسنجر فى الساعة الواحدة وعشر دقائق ظهرا حسب توقيت القاهرة ..

وفى نفس الوقت نصحت السيدة مائير وزير الدفاع بالتفكير فى توجيه ضربة اجهاض ضد القوات المصرية .. فقد كان المتوقع أن تهجم مصر فى آخر ضوء نفس اليوم .. وكأنما عاد الزمن ست سنوات الى الوراء ، الى ٢٧ مايو ١٩٦٧ ، عند ما انتهجت اسرائيل نفس أسلوب التخدير لكسب الوقت لتوجيه ضربة ٥ يونية الغادرة ..

ثم أمرت السيدة مائير الجنرال ديان برفع درجة استعداد القوات المسلحة الى اقصى حالاتها مع البدء فى التعبئة القومية ..

***

اما عند جبهة القناة كان المشهد بالغ العجب .. ففى الضفة الغربية كانت جماعات من جنود مصر يجلسون على حافة القناة فى استرخاء وتكاسل ، البعض يمص أعواد القصب ، والبعض يمص رحيق البرتقال ، وهناك من يسبح فى القناة ، ومن يصطاد سمكا .. والشركات المدنية جد نشطة بمعداتها الميكانيكية فى تعلية الساتر الترابى على الضفة الغربية .. والجميع فى متعة وخلو بال ، وقد تركوا أسلحتهم وخوذاتهم فى الخنادق الخلفية امعانا فى خداع العدو بينما كان الجيشان الميدانيان فى اقصى درجات الاستعداد للوثوب الى الشرق ..

وعلى الضفة الشرقية ، راح بعض جنود اسرائيل يلعبون الكرة ، والبعض الآخر يجهزون ولائم العيد ، والمراقبون الاسرائيليون قد خلعوا خوذاتهم ، وجلسوا فى أبراج المراقبة يلعنون ظروف الخدمة فى هذا المكان ويتثاءبون من رتابة الحال وركود الموقف سنوات اثر سنوات ..

* * *

وكان هذا هو المشهد فى الثوانى السابقة على بدء حرب رمضان .. ثم دارت المعركة ..

الباب الرابع

المعركــة

الحـــرب .. للســـلام

(من الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر الى الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٧٣)

● **كانت عقارب الساعة تشير الى الثانية وخمس دقائق من بعـد ظهر ٦ اكتـوبر ١٩٧٣ عندما عبـرت طائرات سوريا ومصر خطوط المواجهة مع اسرائيـل ، واتجهت نحـو أهدافهـا المحددة في الخطة المشتركة ، ثم هدرت مدافع العرب على طول الجبهتين الشمالية والجنوبية في أقوى تمهيد نيراني شهده الشرق الأوسط .**

فعلى الجبهة المصرية انطلقت مائتان وخمسون طائرة مصرية تشق عنان السماء ، في طريقها المرسوم الى عمق سيناء ، حيث تقع أهدافها المنتخبة بحذق ومهارة ، لتنفيذ الضربة الجوية المركزة التى كان عليها تحطيم ثلاثة مطارات وقواعد جوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية ، بالاضافة الى عدد آخر من محطات الرادار ، وموقعى مدفعية بعيـــدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وحصون العدو شرق بور فؤاد .

وفى نفس اللحظة هدرت نيران اكثر من ألفى مدفع على طول الجبهة، بين مدفعية ميدان ، ومدفعية متوســطة وثقيلة ، ومدفعيــات وهاونات تشكيلات ووحدات المشاة والمدرعات ولواء صواريخ تكتيكية متوسطة المدى أرض / أرض ..

وبينما استمر الألفا مدفع ونيف تصب حممها على خط بارليف ونقطه الحصينة ، بدقة وكثافة لم يسبق لها مثيل ، ولمدة ٥٣ دقيقة كاملة ، راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر المحكم التصويب على دشم العدو وأهدافه المنظورة ، التى نجح المراقبون فى كشف خباياها رغم ما بذله العدو من جهد ومال لاخفائها وتمويهها عن المراقبة الأرضية والجوية ٠٠

وتحت ستر هذه النيران القاتلة ، التى ناهز وزنها الاجمالى ثلاثة آلاف طن على امتداد فترة التمهيد النيرانى للعبور المجيد ، أخذت جماعات من الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات تعبر مياه قناة السويس ، لتبث الألغام والشراك فى مصـــاطب دبابات العدو ، وتقيم الكمائن على طرق اقتراب المدرعات الى القناة ، لتشل حركتها ، وتمنعها من التدخل فى عملية الاقتحام الوشيكة ٠٠

لقد كانت الساعة الثانية وخمس دقائق هى ساعة البدء التى حددها الفريق أول أحمد اسماعيل القـــائد العام للقيادة الاتحـــادية المصرية والسورية ٠ كما كانت هى الساعة التى طال انتظار العرب لهـــا ٠٠ ليثأروا لنكسات سابقة ، ويستردوا حقوقا مسلوبة ٠٠ كانت هى الساعة التى أراد العرب أن يبدأوا فيها الجولة الرابعة مع اسرائيل ٠٠

وسرعان ما تتابعت الأحداث الجسام ٠٠ فى وتيرة عالية ٠٠ ثم استمر تتابعها ثلاثة وعشرين يوما حافلا بأخطر الأمور ٠٠ ايام كلها مشحونة بالقتال الضـــارى العنيف ٠٠ الذى تحطمت خلاله أســاطير ، وتهاوت نظريات ، وسقطت عقائد ، وتوارت استراتيجيات ، وانكشـــف الزيف للمزاعم الصهيونية الباهتة ، وافتضحت الدعاوى الاسرائيلية الرخيصة ، التى طالما نفخت بهـــا أبواق الدعاية الاسرائيلية على امتداد ربع القرن المنصرم ، عن العرب ٠٠ وتخلفهم الحضـــارى المزعوم ٠٠ والفجـــوة التكنولوجية التى تمسك بتلابيبهم ٠٠ وعن نظريات الغزو والتوســـع الاسرائيلى ٠٠ وأمن اسرائيل والحدود الآمنة ٠٠ والجيش الذى لا يقهر ٠٠ والذراع الطويل وحصانة خط بارليف الرهيب ٠ ٠وكل تلك الأكاذيب والافتراءات التى نقلتها أجهزة الاعلام الصهيونية عن تل أبيب ، ثم راحت تروج لها بامكانياتها الواسعة فى مشارق الأرض ومغاربها ٠٠ حتى صدقها الكثيرون ٠٠ وقديما قيل « يستمر الرجل يكذب حتى يصدقه من حوله ٠٠ ثم يكذب حتى يصدق نفسه ٠٠ وهنا تقع الطامة » ، وقد وقعت باسرائيل فزلزلت بنيانها المنفوش ٠

لقد صدقت اسرائيل أكاذيبها ، حتى خرج عليها يوم ٢٤ أكتوبر

رئيس دولتها ابراهام كاتزير يوقظها من أحلام الخيال ، ويكشف لشعبها المخدوع طرفا من الحقائق الأليمة فيقول ٠٠

« لقد كنا نعيش فيما بين عام ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فى نشـــوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش فى عالم من الخيـــال لا صلة له بالواقع ٠ وهذه الحالة النفسية هى المسئولة عن الاخطـاء التى حدثت قبل حـرب أكتوبر ٠ وفى الأيام الأولى للحرب ، لأنها كانت قد تفشت فى كل المجالات العســكرية والسياسية والاجتماعية ، واحدثت فيها مواطن ضعف خطيرة، يجب على الاسرائيليين جميعا أن يتحملوا مسئوليتها ، وعلينا أن نتعلم بعد هذه الحرب الفظيعة أن نكون أكثر تواضعا وأقل نزوعا الى المادية ، كما يتحتم علينا أن نبذل كل طاقتنـــا لازالة الفجوة الاجتماعية ، والتغلب على المادية التى احدقت بنـــا » ٠٠

وقبل أن يتكلم ابراهام كاتزير ، وبعد أن تكلم ، كانت الحقائق تفرض نفسها على المسرح ٠٠ فيتناقلها العـــالم أجمع بين الدهشـــة والانبهار ٠٠

❋ **فعن أكذوبة التخلف الحضـــارى العربى** التى افترتها اسرائيل بعـد جولة ١٩٦٧ ٠٠ خرجت جريدة الفيجـــارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر تقول « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة تشتبك فى حرب طويلة الأمد مع اسرائيـــل التى تكافح اليوم لكى تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليـــه حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » ٠

❋ **وعن الفجوة التكنولوجية** التى زعمت اسرائيل انها سوف تحرم العرب من اللحاق بها حتى منتصف القرن الواحد والعشرين على أقل تقدير، قالت مجلة نيوزويك الأمريكية يوم ٢١ أكتوبر ٠٠ « ان ثقة اسرائيل فى تفوقها التكنولوجى على العرب قد سقطت » ٠

كما قالت مجلة الأبزرفر البريطانية قبل ذلك بيوم واحد ٠٠ « يبدو الآن أن مصر قد لحقت باسرائيل بل وسبقتها تكنولوجيا » ٠

ثم قالت مجلة تايم الأمريكية يوم ٥ نوفمبر ٠٠ « ان التكنولوجيـــا المصرية قد جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال يذهب **فى ذمة التاريخ** » ٠

* **وعن سياسة اسرائيل التوسعية** ٠٠ قال اليهودى ناتان ليفنجستون الأستاذ بجامعة كوينز كولج فى جريدة التايمز اللندنية يوم ١٣ أكتوبر ٠٠ « أن عدوان اسرائيل وسياستها التوسعية التى تحاول فرضها عن طريق الحرب واقامة المستوطنات هى التى تسهم الى حد كبير فى استمرار النزاع فى الشرق الأوسط » ٠

وقالت جريدة النجم الأحمر السوفيتية فى نفس اليوم ٠٠ « ان تل أبيب قد بدأت تدفع ثمنا غاليا لسياسة الغزو العدوانية التى تعتنقها » ٠

* **وعن نظرية الأمن القومى الاسرائيلى** ، نقلت وكالة رويتر عن تل أبيب يوم ٢١ أكتوبر افتتاحية العدد الأسبوعى للجيروسالم بوست التى تحمل تساؤلا يراود الاسرائيليين الذين عجزوا عن طرحه لعدم شعورهم بالأمن وهو ٠٠ « ما الذى حدث ؟ وأين يكمن الخطأ ؟ » ٠

أما جريدة لومانيتيه الفرنسية فتؤكد فى عددها الصادر يوم ١٧ أكتوبر ٠٠ « ان الأحداث الخطيرة التى تجرى الآن فى الشرق الأوسط توجه ضربة قاتلة لنظرية الحدود الآمنة كما يفهمها حكم تل أبيب » ٠

وقبل ذلك صرحت جريدة الديلى تلجراف اللندنية يوم ١٥ أكتوبر بان « أسطورة الأمن الاسرائيلى قد تحطمت تماما ، ويجب على اسرائيل بعد الآن أن تتخلى عن فكرة أن أمنها يمكن أن يتحق بمجرد احتلال قطعة من الأرض دون أى برنامج سياسى » ٠

* **وعن أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر** ، قال اريك سيلفر مراسل الجارديان البريطانية فى القدس ٠٠ « كانت الصدمة الحقيقية لحرب يوم الغفران هى أن الجيش الاسرائيلى قد بدا فى مظهره على نحو لا يختلف عن سائر الأنشطة فى اسرائيل ، لقد كان الجيش بعيدا عن الاتقان فى تصرفاته ، وكان يرتجل ، وقد دهمته الأمور وهو فى اغفاءة تنم عن تكاسل ورضا » ٠

أما جورج ليزلى رئيس المنظمة اليهودية فى ستراسبورج فيقول يوم ٢٩ أكتوبر فى نفس المعنى ٠٠ « لقد أسفرت الجولة الرابعة عن كارثة كاملة بالنسبة لاسرائيل ، فنتائج المعارك والانعكاسات التى بدأت تظهر عنها فى اسرائيل تؤكد أهمية الانتصارات التى حققتها القوات العربية فى المعركة ، تلك الانتصارات التى أنهت الشعور بالتفوق الاسرائيلى وجيشها الذى لا يقهر ، وأكدت كفاءة المقاتل العربى وتصميمه وفاعلية السلاح الذى فى يده » ٠

* **وعن ذراع اسرائيل الطويل وقواتها الجوية الرادعة** ، يقول توماس تشيتهام مراسل وكالة اليونيتدبرس من تل أبيب يوم ١٦ أكتوبر ٠٠ « ان الطيران الاسرائيلى لم يتمكن من تحقيق النجاح الذى كانت عامة الشعب الاسرائيلى تتوقعه له قبل الحرب ٠ لقد وضح من خلال سير العمليات أن التأكيدات الرسمية التى كانت تتحدث عن قدرة القوات الجوية الاسرائيلية على القيام بعمل سريع ضد العرب فى حالة تجدد القتال كانت مزاعم غير دقيقة » ٠

أما جان فرنسوا لى موف فيقول يوم ٢٧ أكتوبر ٠٠ « لقد شد انتباه الخبراء الغربيين الذين درسوا سير الصراع العربى الاسرائيلى وفنون الحرب التى استخدمها المتصارعون أنه بينما انتصر الاسرائيليون عام ١٩٦٧ بفضل تفوقهم الجوى الكامل ، اذ بنشاطهم الجوى يضمحل هذه المرة فى القتال والقصف بفضل تسلح العرب بالصواريخ سام ٠ ويرى بعض الخبراء العسكريين أن مبدأ التفوق الجوى الذى اعترف به خبراء الاستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية قد يعاد النظر فيه على ضوء أحداث الجولة الرابعة ، بينما لا يتردد البعض الآخر فى تأكيد أن هذا المبدأ قد انهار تماما » ٠

* **وعن مخابرات اسرائيل** التى « لا تفوتها شاردة ولا واردة » فلعل ما حدث ذو دلالة خاصة وهو أن تستهل لجنة تقصى الحقائق عملها فى البحث عن أسباب الهزيمة العسكرية فى جيش اسرائيل يوم ٢٧ من نوفمبر برئاسة القاضى شمعون اجراناث رئيس المحكمة العليا الاسرائيلية ، فتبدأ بالتحقيق مع الجنرال الياهو زعيرا رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية ، الذى سبق توجيه الكثير من النقد والاتهامات الى جهازه لاساءته تقدير الموقف على الجبهتين المصرية والسورية ، مما جعل اسرائيل تفاجأ بالحرب ، وكادت هذه المفاجأة أن تعرضها لكارثة محققة ٠ هذه المفاجأة التى وصفها الجنرال حاييم بارليف فى الصنداى تايمز يوم ٩ من ديسمبر بقوله ٠٠ « لقد هاجمونا ونحن فى غفلة » ٠

ثم لا يقف الأمر عند أجهزة مخابرات اسرائيل بل يتعداها الى مخابرات الولايات المتحدة الأمريكية نفسها التى أكدت مجلة يو اس نيوزاند ورلد ريبورت ٠ « ان هناك دلائل تشير الى أن وزارة الدفاع الامريكية غير راضية عن تقارير المخابرات التى تلقتها عن الاجراءات الحاسمة حول الحرب فى الشرق الأوسط ، والدليل على ذلك أن ثلاثة من كبار الضباط

في وكالة المخابرات الامريكية قد اقيلوا من مناصبهم بصورة مفاجئة في نهاية شهر اكتوبر ١٩٧٣ » .

* **وعن خط بارليف المنيع** يقول الناقد العسكرى باولو بترونى فى مجلة أنابيلا الاسبوعية الايطالية الصادرة فى ٣٠ من اكتوبر .. « ان خط بارليف الذى شيدته اسرائيل على غرار خط ماجينو قد تحطم تحت ضربات القوات المصرية ، تماما كما سقط خط ماجينو منذ ٣٤ عاما .. لقد فر الجنود الاسرائيليون من هذا الخط بعد أن كانوا يجلسون فى خنادقه وهم يلتقطون أنفسهم وقد علت القذارة أبدانهم وشحبت وجوههم .. لقد فرت فلولهم من الجحيم الذى أطلقه عليهم الهجوم المصرى المفاجىء » .

* **وعن شرعية العمل العربى العسكرى** صرح انتونى ناتنج الوزير البريطانى السابق لجريدة التايمز يوم ١٣ من اكتوبر يقول .. « هل يمكن أن يوصف بالعدوان رجل يذود عن أرضه ضد جيش احتلال طالبته أعلى سلطة دولية مرارا وتكرارا بالانسحاب ؟

وهل يصل الافتراء بالبعض الى درجة الزعم بان مثل هذه المحاولة الباسلة لاسترداد الأرض تشكل تهديدا على وجود المحتل فيها ؟ .

ان اللعب بالالفاظ والحقائق بهذه الطريقة الرخيصة يشكل وضعا مشينا » .

وفى نفس المعنى تساءل ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا يوم ٩ من اكتوبر... هل تعنى محاولة عودة أناس الى ديارهم ــ بالضرورة ــ عدوانا مفاجئا ؟ » .

* **وعن اعجاز العبور** قال الرئيس محمد أنور السادات ... « ان القوات المسلحة قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى » ...

اما توماس تشيتهام مراسل وكالة ى. ب. أ فى تل ابيب فيقول يوم ١٢ من اكتوبر ... « لقد واجهت اسرائيل كارثة مثل بيرل هاربور تماما ، وسوف تأتى بعدها فضيحة ووترجيت أخرى ، فمن الواضح أن اسرائيل على ابواب فضيحة . لقد عبرت القوات المصرية السورية خطوط وقف اطلاق النار فجأة يوم السبت ٦ اكتوبر . وقد أمسكت هذه العملية بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل » .

وفى نفس المعنى يقول هارولد ستيف مراسل الديلى تلجراف

بالقاهرة يوم ٢٩ من أكتوبر « لقد غيرت الساعات الست الأولى من يوم ٦ أكتوبر ، عندما عبر الجيش المصرى قناة السويس واقتحم خط بارليف، غيرت مجرى التاريخ بالنسبة لمصر ، وبالنسبة للشرق الأوسط كله » .

* **وعن الشرف والكرامة العربية** فقد ناشدت جريدة الصنداى اكسبريس اللندنية يوم ١٤ من أكتوبر الرئيس السادات بوقف القتال .. « بعد ان سلم الشرف العربى ، وأصبح الرجل الذى يمكنه وقف النار صباح اليوم هو الرئيس السادات » .

وكتب فى نفس المعنى أديبنا الكبير الأستاذ توفيق الحكيم فى جريدة الاهرام القاهرية يوم ٩ من اكتوبر قائلا « عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سيناء . ومهما تكن نتيجة المعارك فان الأهم الوثبة .. فيها المعنى ان مصر هى دائما مصر .. تحسبها الدنيا قد نامت ولكن روحها لا تنام . واذا هجعت قليلا فان لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام .. سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر » .

ثم خرجت صحيفة المجاهد الجزائرية يوم ٢٣ من اكتوبر بافتتاحية تقول فيها .. « ان الأمة العربية كلها تحس اليوم بفخر عظيم وشكر عميق لجيوش مصر وسوريا التى حققت للعرب أول انتصار لا رجوع فيه ، ومهما تكن النتائج النهائية للمعركة فسوف تبقى حقيقة انها أنهت مهانة ١٩٦٧ ، وجددت الكرامة العربية » .

* **وعن السبب الحقيقى وراء رضوخ اسرائيل لقرار ايقاف النيران** قالت نيوزويك الأمريكية فى عددها الصادر يوم ٢٩ أكتوبر .. « من العوامل التى دفعت اسرائيل الى قبول وقف اطلاق النار أنها كانت تترنح وتتلظ تحت وقع خسائرها المروعة » .

* **وعن كشف الأرباح والخسائر** للجولة العربية الاسرائيلية الرابعة أذاعت وكالة . ى . ت يوم ١١ من نوفمبر « ان المصادر العسكرية الأمريكية قد أكدت ان الميزان الاستراتيجى فى الشرق الاوسط قد مال بعد حرب أكتوبر ٧٣ لصالح العرب » .

اما مجلة نيوزويك الأمريكية فقالت فى عددها الصادر نفس اليوم ــ « ان الحرب الأخيرة قد كلفت اسرائيل غاليا ، ولولا وقف النار لوجدت تلك الدولة الصغيرة نفسها وقد اقتصرت فى معيشتها على الكفاف . ان الحزام مشدود الآن على البطون فى اسرائيل الى أقصى درجة ممكنة » .

وكتب جريدة يوركشاير بوست يوم ١٥ من أكتوبر تقول .. « ان

هناك أمرا واحدا مؤكدا تماما الآن ، وهو أن العرب أصبحوا فى الوقت الحاضر فى مركز تفاوض أقوى بكثير مما كانوا عليه من أسبوع مضى ، وان اسرائيل قد أصبحت فى مركز أسوأ بكثير مما كان العرب أو أى أحد يعتقده ممكنا قبل بداية الحرب » ٠

ومن البنتاجون صرحت وكالة ى٠ب يوم ٢٩ من أكتوبر بأن توقعات المسئولين العسكريين الأمريكيين تقدر الخسائر الأولية لاسرائيل فى حرب أكتوبر بحوالى ١٠٠٠ دبابة و ٢٠٠ طائرة وما بين ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ قتيل وجريح ٠

ومن تل أبيب اذاعت وكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٩ من أكتوبر ٠٠٠ « ان الشعور بالألم يسود شوارع اسرائيل حيث الوجوه مقطبة وجامدة ، ولم يحدث من قبل أن تركت حرب مثل هذا الشعور بالحسرة والمرارة فى اسرائيل ٠ انه لم يعد يتردد فى اسرائيل اليوم سوى سيرة الموت هنا وهناك » ٠

***

مراحل النضال

هكذا ، وعلى امتداد ثلاثة وعشرين يوما من القتال الضارى النشط ، فيما بين الساعة الثانية وخمس دقائق يوم ٦ أكتوبر ، عندما انطلقت طائرات العرب تشق عنان السماء ، وهدرت مدافع العرب تدك حصون اسرائيل ، وحتى الساعة ١٢٣٠ ظهر يوم ٢٨ من أكتوبر عندما توقفت نيران الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل ، انقسم القتال طبقا لحجمه وطبيعته الى خمس مراحل متميزة هى :

المرحلة الأولى ولمدة ثمانية ايام فيما بين ٦ ، ١٣ أكتوبر :

وتم خلالها اقتحام قناة السويس ، واحتلال خط بارليف الحصين وقلاعه القوية ، والاستيلاء على رءوس الكبارى للألوية ثم الفرق ثم الجيوش الميدانية وتعزيزها ٠

وبدأت هذه المرحلة بتوجيه الضربة الجوية المفاجئة المركزة العربية ، وبالتمهيد النيرانى الكثيف على كل من جبهتى القتال ، بدرجة عالية من التنسيق نوهت عنها الدوائر العسكرية الأمريكية يوم ١٠ من أكتوبر ،

ونقلتها عنها وكالة الأنباء الفرنسية الى جميع أرجاء المعمورة بقولها ٠٠ « لقد نسقت مصر وسوريا جهدهما العسكرى بصورة رائعة لم يسبق لها مثيل من قبل ، كما أنهما **استوعبتا** جميع دروس الجولات السابقة » ٠

كما أكدت الجارديان البريطانية فى نفس اليوم ٠٠ « ان الجيش المصرى والسورى قد برهنا أنهما أفضل تدريبا وأحسن تشكيلا واستعدادا وأشد جلدا وأفضل عتادا عما سبق » ٠

وعندما أشارت عقارب الساعة الى الثانية والثلث كانت الأمواج الأولى من طائراتنا تعبر القناة عائدة من مهامها الناجحة ، بعد أن قصفت أهدافها فى عمق سيناء حتى حطمتها ٠

وفى نفس اللحظة امتلأ المكان بصيحات ثمانية آلاف من المقاتلين البواسل ٠ هم مهجة مصر وفلذة كبدها ٠ يهللون بأعذب الكلمات وأسماها ٠٠ الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ وامتلأت صفحة الماء بقوارب المطاط ٠٠ واندفعت موجات الاقتحام الأولى والعيون تحدق من المقل شوقا الى الرمال الذهبية الحبيبة ٠ التى أمض القلوب لوعة الحنين اليها ٠ وعندما وصل الرجال الى الضفة الشرقية ٠٠ كانت اللحظة ، وكان الحدث اللذان طال انتظارهما ٠٠

وانطلق الجنود البواسل يصعدون ساترا ترابيا مليئا بكل ما تفتق عنه ذهن الصهاينة الجهنمى من شراك ومفجرات والغام ، ثم تحولوا الى قلاع خط بارليف يهدمونها بأسلحتهم تارة ، وبسواعدهم تارة أخرى وبأنيابهم وأظافرهم أكثر الوقت ٠٠

واستمرت صيحتهم تملأ الأسماع ٠٠ الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ والفيض لا ينقطع من الأمواج اللاحقة ، تقتحم وتنضم اليهم على أغلى ثرى فى أشرف مهمة ٠ حتى تم لهم الاستيلاء على رءوس كبارى الألوية ثم الفرق المشاة ، الى أن وحدوها جميعا فى رأس كوبريين لجيشين ميدانيين ٠

المرحلة الثانية ولمدة يوم واحد هو يوم ١٤ أكتوبر :

وتم فيها تطوير الهجوم شرقا نحو مضايق سيناء الغربية بهدف تخفيف ضغط قوات العدو البرية والجوية على الجبهة السورية الشقيقة ، وجذب جهد العدو الرئيسى نحو سيناء ٠ ٠وبمجرد أن أيقنت القيادة الاتحادية من تحقيق ذلك ، وبعد أن حول العدو مجهوده الجوى صوب مصر ،

وبدا فى تحريك احتياطياته المدرعة الى سيناء ، رأت انه من الحكمة والحذق أن تشدد قبضتها على رءوس الكبارى المكتسبة عبر القناة ، وان تواصل دعمها حتى تجعل منها الصخرة المنيعة التى تتحطم عليها كل أمواج العدو المهاجمة ، بالغا ما بلغت قوتها وكثافتها ، على أن يؤجل تطوير الهجوم شرقا لمرحلة تالية طبقا للخطة الموضوعية مسبقا .

المرحلة الثالثة ولمدة ثلاثة أيام فيما بين ١٥ ، ١٧ اكتوبر :

وتم خلالها صد وتدمير جميع هجمات العدو وضرباته المضادة التى ركزها ضد رءوس الكبارى شرق القناة ، وبصفة خاصة على الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى ، فى محاولة مستميتة لتصفية رأس كوبرى هذه الفرقة الباسلة ، ثم الجيش الثانى بالتالى ، توطئة لاعادة الاستيلاء على شريحة من الضفة الشرقية شمال البحيرات المرة لستر عبور بعض مفارزه المدرعة الى الضفة الغربية لتدمير ما يمكن تدميره من مواقع صواريخ الدفاع الجوى . الى جانب ما يمكن أن تحققه مثل هذه العملية التليفزيونية كما سماها الجنرال الفرنسى اندريه بوفر من كسب اعلامى ترفع به الروح المعنوية المنهارة فى اسرائيل ، وتحجب بعض آثار الأعمال الحربية المجيدة التى حققتها القوات العربية المسلحة على جبهتى مصر وسوريا فى المرحلتين السابقتين ، والتى كانت قد هبطت بمعنويات شعب اسرائيل الى الحضيض .

المرحلة الرابعة ولمدة خمسة أيام فيما بين ١٨ ، ٢٢ اكتوبر :

وتم خلالها ادارة أعمال القتال النشطة على الضفة الغربية لقناة السويس فى القطاعين الأوسط والجنوبى بين الطرفين المتصارعين ، حيث راح العدو يدفع بمزيد من القوات الى الغرب ، ويحاول بكل السبل توسيع رقعته غرب القناة ، ثم الاستيلاء على احدى مدن القناة الرئيسية (الاسماعيلية أو السويس) بأى ثمن ، ومهما بلغت الخسائر ..

واشتبكت القوات المصرية فى قتال ضار مع العدو شرق وغرب القناة ، وقصفته بالطائرات والصواريخ والمدفعية ، وهاجمته بالمدرعات والمشاة والقوات الخاصة والدفاع الشعبى ، لحصره وتثبيته ، توطئة لاتمام تدميره ، بينما استمرت تتمسك بقوة واصرار برءوس الكبارى المقامة على الضفة الشرقية ..

ثم جاء قرار وقف اطلاق النار الذى أصدره مجلس الأمن يوم ٢٢ اكتوبر بمبادأة وضمان الدولتين الكبريين (الولايات المتحدة والاتحاد

السوفيتى) ، وتأييد المجتمع الدولى بأكمله .. واعلنت الأطراف المتحاربة عن قبوله بحيث تسرى أحكامه على القوات فى المسرح فى تمام الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

المرحلة الخامسة ولمدة ستة أيام فيما بين ٢٣ ، ٢٨ اكتوبر :

قبلت اسرائيل القرار وهى تضمر العدوان .. وكان وقف النار هو التأمين المنشود لما تعتزم شنه من عدوان جديد ، والانتشار فى حمى قرار وقف اطلاق النار ، على حد تحليل الجنرال أندريه بوفر لأحداث هذه المرحلة فى ندوته التى عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية العليا صباح يوم الخميس ١٥ من نوفمبر ١٩٧٣ .

نعم .. استغلت اسرائيل القرار لتأمين مغامرتها الجديدة حتى تجعل من موقفها الميئوس منه غرب القناة وضعا محتملا وقابلا للاستمرار ..

ولهذا راحت قواتها تضغط بجنون نحو مدينة الاسماعيلية ، فلما فشلت .. تحولت عنها الى السويس .. وتزايدت خسائرها بصورة رهيبة .. الى أن أعلنت عن قبولها ايقاف النار صباح ٢٥ من أكتوبر . وان استمرت فى القتال حتى فصل مراقبو الامم المتحدة بين جنودها وجنود مصر ظهر يوم ٢٨ من أكتوبر ١٩٧٣ .

***

لقد كانت الجولة الرابعة هى المرة الأولى التى مارس فيها العرب العمل التعرضى وانتزعوا المبادأة من اسرائيل ، بعد صبر طال أمده وتجاوزت سنواته ربع قرن .

وبفضل التخطيط الحاذق والحشد المكتوم والفتح الماهر وشجاعة الرجال تهاوت نظريات وقامت نظريات ، وسقطت عقائد وارتفعت عقائد ، واحتجبت استراتيجيات وبرزت استراتيجيات .

ولم تعد صنعة الحرب قبل السادس من أكتوبر تماثل صنعتها بعده ، اذ صرح الجنرال ارمين زيمرمان المفتش الأعلى لجيش المانيا الاتحادية يوم أول نوفمبر « بأن القوات المسلحة الألمانية تقوم بتحليل الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة حتى تطبق الدروس المستفادة منها لتزيد من فاعلية قواتها المسلحة ، وأن ثمة ٣٥٠ ضابطا من قادة الجيش الألمانى خرجوا من هذا التحليل بدروس هامة » .

اما مراسل مجلة الأوبزرفاتور الفرنسية فيقول .. « ان الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل قد أثبتت أنها أحد الأحداث الخمسة او الستة الهامة فى التاريخ الحديث ، ويمكن أن نضعها على قدم المساواة فى أهميتها السياسية والفلسفية الى جانب الفتوحات الاسلامية الكبرى فى العصور الوسطى ، ومع النهضة التى حققها خلفاء بنى أمية ، ومع دحر الصليبيين والنهضة العربية والمصرية ، وتأميم قناة السويس . وهى قطعا ليست مجرد نصر عسكرى ، ولكنها خطوة حاسمة قد تضع حدا فاصلا لأفول نجم العرب الذى استمر خمسة قرون » .

تحطيم الأسطورة

المرحلة الأولى للعملية الهجومية الاستراتيجية «بدر» اقتحام قناة السويس والاستيلاء على رءوس الكبارى وتعزيزها ..

٦ – ١٣ اكتوبر ١٩٧٣

أروع الأيام

● بدأ القتال سعت ١٤٠٥ بعبور طائراتنا الخطوط الأمامية للعدو شرق القناة والبدء فى تنفيذ الضربة الجوية المفاجئة المركزة بقوة ٢٥٠ طائرة ضد أهداف العدو فى سيناء ، والتى تضمنت ثلاثة مطارات وقاعدة جوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة وإعاقة الكترونية وبعض محطات الرادار ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وحصون بارليف شرق بور فؤاد . وقد نجحت هذه الضربة الجوية تماما وكانت خسائرنا فيها محدودة للغاية .

وفى نفس الوقت فتحت المدفعية المصرية نيرانها على طول جبهة قناة السويس ، وبلغ اجمالى قطع المدفعية المشتركة فى التمهيد النيرانى

اكثر من الفى مدفع وهاون ، بالاضافة الى لواء صواريخ تكتيكية ارض / ارض .

واستمرت المدفعية تصب حممها لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ، ونقطه القوية ، وتجمعات دبابات العدو ، وقيادته ، هذا بينما راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر على دشم العدو واهدافه المنظورة .

وتحت ستر هذه النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات قناة السويس ، لتبث الالغام فى مصاطب دبابات العدو ، وتشل حركتها بالكمائن ، حتى تمنعها من التدخل فى اقتحام قواتنا لقناة السويس .

وفى الساعة ١٤٢٠ بدات الموجات الاولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد فى اقتحام قناة السويس ، مستخدمة حوالى الف قارب اقتحام مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ثمانية آلاف جندى اقدامهم على الضفة الشرقية وهم يهللون بملء حناجرهم .. الله اكبر .. الله اكبر .. وبداوا فى تسلق الساتر الترابى المرتفع ، واقتحام دفاعات العدو الحصينة ، وهم يحملون اسلحتهم الشخصية ، والاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ..

وسرعان ما رفرفت اعلام مصر فوق سيناء الحبيبة ، فارتفع اول البنود فى الساعة ١٤٣٠ فى نطاق هجوم الجيش الثالث الميدانى ، ثم فى الساعة ١٤٣٧ فى نطاق هجوم الجيش الثانى الميدانى ، فكان ذلك دفعة معنوية هائلة للقوات اللاحقة ان تسرع بالعبور . وفى نفس الوقت كانت الكتائب البرمائية تعبر البحيرات المرة من الجنوب ، وبحيرة التمساح عند الاسماعيلية .

وقامت القوات بحصار نقاط العدو القوية ومراكز مقاومته وقلاعه الحصينة ، وبدات مهاجمتها وتدمير تحصيناتها ، وسقطت اولى حصون العدو ـ القلعة رقم ١ ، فى منطقة القنطرة شرق ـ فى الساعة ١٤٤٦ . واستمرت القلاع تتهاوى بعدها .. وصدت قواتنا ودمرت هجمات العدو المضادة المحلية .. وحتى الساعة ١٥١٠ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد اسقطت للعدو اربع طائرات فى الجبهة .

وتحت ستر قوات المشاة ونيران المدفعية تقدمت وحدات المهندسين العسكريين ، وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الساتر الترابى وذلك باستخدام مضخات المياه القوية (مدافع المياه) ، واتمت فتح اول

ممر منها فى زمن قياسى لم يتجاوز الساعة ، ثم استكملت فتح باقى الممرات على طول المواجهة فى الساعة ١٥٢٥ . وفى اثناء ذلك كانت وحدات اخرى من المهندسين تقوم باسقاط معدات (براطيم) المعديات والكبارى وتقيمها فوق مياه القناة ..

ونجحت قواتنا فى اقامة عدد كبير من المعديات ، كما انشات ١٠ كبارى ثقيلة و ١٠ كبارى مشاة . وبدأ تدفق الدبابات والمعدات الثقيلة من الارض المصرية فى الغرب الى الارض المصرية فى الشرق .. وسار العمل دقيقا باكثر مما توقعه احد .. واثبتت الخطة كفاءتها ، وكانت المهام تنفذ بجسارة واقتدار . وحتى الساعة ١٥٢٩ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد اسقطت للعدو سبع طائرات بين فانتوم وسكاى هوك ..

وفى الساعة ١٥٥٠ استانفت اذاعة اسرائيل ارسالها بعد صمت طويل منذ الصباح الباكر مراعاة لطقوس عيد الغفران ، واصدرت نداء سافرا لقواتها الاحتياطية للتوجه فورا الى مراكز التعبئة والحشد . وفى الساعة ١٦٠٠ شعرت القيادة الجوية الاسرائيلية فى ام مرجم بان قصف الطائرات والصواريخ المصرية للمنطقة قد اخل بالسيطرة من مركز القيادة فى هذه المنطقة ، فقررت نقل السيطرة على القوات الجوية الى العريش .

وفى الشمال ـ على ساحل البحر الابيض المتوسط ـ قام جزء من قوات قطاع بور سعيد بهجوم مخادع على قلعة العدو الحصينة الموجودة شرق بور فؤاد ، وذلك لجذب اهتمام العدو بعيدا عن القوات التى تقتحم القناة فى اصعب اماكنها بالمواجهة . ولما كان الطريق الساحلى يؤدى مباشرة الى مركز قيادة العدو الموجود فى منطقة رمانة ، فقد كان من المنتظر أن يوجه العدو جزءا محسوسا من احتياطياته المدرعة لايقاف هجوم اى قوات مصرية على هذا الطريق الساحلى ، وكذا توجيه جزء كبير من مجهوده الجوى هناك ..

ولقد صحت توقعات القيادة المصرية هذه ، اذ دفع العدو احتياطياته المدرعة الموجودة فى رمانة لنجدة تلك القلعة الحصينة ، ووجه مجهوده الجوى هناك .. وبذا تمكن ذلك الهجوم المخادع من تحقيق اهدافه ..

وظلت القوات المكلفة بقطع الطريق الساحلى شرق القلعة الحصينة متمسكة بمواقعها لتمنع اقتراب اى قوات للعدو وذلك لمدة يومين ، بالرغم من صغر حجمها ، اذ لم تزد قوتها عن فصيلة من الصاعقة ..

وعادت بعد ذلك لتنضم الى قوات قطاع بور سعيد ، ومعها أسراها وغنائمها ، متسللة خلال قوات العدو ..

وفى نفس الوقت كانت وسائل دفاعنا الجوى قد حطمت للعدو ١١ طائرة فى الجبهة المصرية ، وبعد ٤٠ دقيقة ارتفع هذا العدد الى ١٣ طائرة مما ازعج كثيرا قائد القوات الجوية ، الجنرال بنيامين بيليد ، فامر طياريه فى الساعة ١٧٠٠ بتحاشى الاقتراب من القناة لاقل من ١٥ كيلو متر شرقا ، وذلك باشارة لاسلكية مفتوحة التقطتها أجهزتنا الخاصة . وعندما عاودت طائرات العدو نشاطها بعد ذلك كانت صواريخنا تقف لها بالمرصاد .

وقبل آخر ضوء السادس من اكتوبر كانت عشرات من طائرات الهليكوبتر المصرية تعبر قناة وخليج السويس وهى تحمل مجموعات من قوات الصاعقة ، صوب أهدافها المخصصة لها على طول المواجهة ، وعلى أعماق مختلفة وصلت الى ٣٠ ــ ٤٠ كيلو مترا .. وتم ابرار تلك القوات بنجاح، وبدأت فى تنفيذ مهامها المحددة فانزلت بالعدو خسائر جسيمة . وحرمت مدرعاته من حرية الحركة ..

وفى الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيرا فى يد قواتنا فى منطقة جسر الحرش شمال الاسماعيلية .. وفى الساعة ١٨٢٩ اخطرت رئاسة الأركان العامة الاسرائيلية قيادتها المرموسة بالقنطرة عن انقطاع الاتصال مع قيادة جبهة سيناء الوسيطة ، وكلفتها أن تحل محلها فى قيادة جميع قوات اسرائيل على الجبهة المصرية ، الى حين أن تستعيد قيادة سيناء سيطرتها على هذه القوات ، بعد اصلاح وتعويض ما حطمته الطائرات والصواريخ المصرية من اجهزة ومعدات اشارة وسيطرة فى غاراتها المركزة عليها .

وفى اقل من ست ساعات .. وبالدقة فى الساعة ١٩٣٠ انهت الفرق الخمس المشاة وقوات قطاع بور سعيد اقتحام قناة السويس على مواجهة ١٧٠ كيلو مترا ، بقوة ٨٠ الف جندى من أعز أبناء مصر ، وذلك باستخدام قوارب الاقتحام المطاط ، ووسائل العبور والاقتحام الأخرى ، فى ١٢ موجة متتالية .. وأتمت الاستيلاء على ١٥ نقطة قوية للعدو ، واكملت حصار باقى النقط القوية ، كما تمكنت قواتنا من الاستيلاء على رءوس الكبارى بعمق حتى ٢ ــ ٤ كيلو مترات .

وهكذا دمرت قواتنا المسلحة فى اقل من ست ساعات خط بارليف الدفاعى وحطمت حصونه التى استمر العدو يتغنى بها كل السنوات

الماضية ، وغسلت عار الهزيمة فى حرب الأيام الستة ، التى لم تكن القوات المسلحة سببها بل ضحيتها ، وحطمت اسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر .. واظهرت زيف نظرية الأمن الاسرائيلى .. واعادت الامور الى مجرياتها الصحيحة ، والمقاييس الى احجامها الطبيعية فى منطقة الشرق الأوسط ..

لقد كان لعبور القادة مع القوات الى الضفة الشرقية اكبر الفضل فى تحقيق النجاح اذ عبر جميع قادة الكتائب المشاة القناة الى الضفة الشرقية بعد ١٥ دقيقة من بدء الاقتحام اى حوالى الساعة ١٤٣٥ ، كما عبر قادة الألوية ومعهم قادة المدفعية المناظرين لهم فى الساعة ١٥٠٥ ، اما قادة الفرق المشاة وقادة مدفعياتها فقد عبروا بعد مضى ساعة ونصف من بدء الاقتحام اى فى الساعة ١٥٥٠ ، وبذا اكتملت عناصر السيطرة على قتال ونيران الفرق المشاة والمدفعية التى تساندها ..

وفى الساعة ٢١١٥ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد اسقطت للعدو ٢٧ طائرة على جبهة مصر ، كما قصفت قاذفاتنا منطقة شرم الشيخ بالصواريخ فى الساعة ٢٢١٠ فاحدثت بها خسائر كبيرة ، وانقطع الاتصال بينها وبين وحداتها الفرعية .

وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت آبار ومنشآت البترول فى ابى زنيمة وسدر وفيران شعلة من النيران بفضل قوات الصاعقة المصرية ، التى قامت أيضا بمهاجمة مواقع العدو على طول الساحل الشرقى لخليج السويس ، واقامت الكمائن على الطرق ، ومنعت تحركات العدو ، وانزلت به خسائر جسيمة .

وقبل ان يبزغ فجر اليوم التالى كانت قواتنا قد عززت مواقعها شرق القناة باعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والاسلحة الثقيلة . ونجحت قواتنا خلال السابع من اكتوبر فى تعميق رءوس الكبارى حتى ٨ كيلو مترات شرقا فى المتوسط . كما قامت قوات الجيشين الثانى والثالث الميدانيين ــ بمعاونة القوات الجوية ــ بصد الهجمات المضادة لاحتياطيات العدو المحلية والقريبة والتكتيكية والتعبوية ، التى اطلقها العدو خلال ليلة ٦/٧ وطيلة نهار ٧ اكتوبر من اتجاهات عدة ، وبقوات مختلفة ، بلغ اجمالها ثلاثة الوية مدرعة ، بالاضافة الى عناصر الألوية المشاة التى كانت تتمركز شرق القناة مباشرة .

وفى الساعة ٠٨١٠ من صباح السابع من اكتوبر ابلغت قيادة قوات ميتلا ان الدبابات المصرية تحاصرها من كل جانب . ولذلك قصة يحسن

روايتها .. اذ اندفعت اقسام صغيرة من الفرزة البرمائية التى عبرت البحيرات المرة – اندفعت دباباتها لتبث الذعر فى مواقع العدو ولتخل سيطرة العدو على قواته . فانطلقت سرية ميكانيكية برمائية ومعها بعض الدبابات الفردية صوب مضيق ميتلا ، بينما اتجهت سرية اخرى صوب مضيق الجدى ..

وتابعت السريتان تقدمهما ، وقامت الاولى بمهاجمة قيادة القطاع الجنوبى المتمركزة عند مدخل مضيق ميتلا وذلك فى الساعة ٠٨١ من صباح السابع من اكتوبر ، ثم واصلت هجومها ضد اهداف العدو الخلفية . فباغتت موقعا للرادار فى منطقة ممر ميتلا وكبدت العدو خسائر لا يستهان بها قبل أن تعود لتنضم الى قواتنا الرئيسية فى رؤوس الكبارى ..

اما السرية الاخرى فقد تابعت هجومها فى اتجاه مضيق الجدى ، وهاجمت بعض المواقع الصغيرة للعدو ، وتجنبت الدخول معه فى معارك طويلة ، اذ كانت تهدف الى الوصول الى مطار تمادا لتباغته .. ونجحت فعلا فى الوصول اليه فى الساعة ١٠١٠ من صباح الثامن من اكتوبر ، وهاجمته فأحدثت به خسائر جسيمة مما اضطر العدو الى توجيه طيرانه للبحث عن تلك القوة الصغيرة الجريئة التى اندفعت بعيدا فى اعماقه لاكثر من ٨٠ كيلو مترا ..

الا ان هذه السرية تمكنت من الافلات بعد تنفيذ مهمتها وعادت للانضمام الى قواتها الرئيسية .. ولم تكتف بذلك بل قامت بمهاجمة موقع رادار للعدو اثناء عودتها ..

لقد كان لاعمال تلك القوات الصغيرة اكبر الاثر فى ارباك سيطرة العدو واخلال تحركاته .. بل وانهيار قياداته فى بعض الأوقات ، اذ تصور العدو ان الدبابات المصرية لن تتوقف قبل أن تصل الى الحدود ، رغم ان هذا لم يكن واردا فى مهمتها ..

وقبل ان ينتصف ليل ٧ /٨ اكتوبر كانت الفرقة ١٨ المشاة قد حررت مدينة القنطرة شرق ، واتمت احتلال جميع قلاع العدو وحصونه فى نطاق هجومها ، وعددها سبع قلاع ونقط قوية .

وقبل بزوغ الفجر اصدرت قيادة جبهة سيناء الاسرائيلية امرا الى جميع جنودها بالقلاع والحصون فى راس مسلة وشرق الشط وجنوب البحيرات وجنوب التمساح بترك قلاعهم وحصونهم ومحاولة الانضمام الى القوات الاسرائيلية عند المضايق ، وسمحت لهم فى حالة تعذر ذلك ان يستسلموا بسلاحهم لجنود مصر .

الرجل الذى تحطم :

وفى الساعة ١٠٩٠ من صباح الثامن من اكتوبر انقطع الاتصال بين تل أبيب ومطارى تمادة والمليز بسبب القصف الجوى المركز لطائراتنا المقاتلة القاذفة . وتقول جريدة هاعولام هازيه الاسرائيلية فى عرضها لاحداث هذا اليوم الحافل « أن الجنرال موشى ديان قد انهار فى اليوم الثانى من حرب اكتوبر عندما حطمت القوات المصرية جميع الهجمات الاسرائيلية فى سيناء . ووصلت القوات السورية الى مسافة لا تتجاوز خمسة دقائق من وادى الاردن واوقعت خسائر جسيمة فى الدبابات والطائرات الاسرائيلية كل هذه الأحداث حولت ديان الى رجل محطم » .

وطوال نهار الثامن من اكتوبر استمر عبور الدبابات والاسلحة الثقيلة فى نطاق الجيش الثالث بالرغم من تركيز العدو مجهوده الجوى لتدمير الكبارى هناك .. كما استمر عبور المدفعية والاحتياطيات فى نطاق الجيش الثانى . كما استمر عبور عناصر الأسلحة المقاتلة والخدمات والتشكيلات المهاجمة ، وانضمت الى وحداتها تباعا ..

ونجحت قوات الجيشين فى صد جميع الهجمات المضادة المعادية التى شنها العدو باحتياطياته المتقدمة من العمق ، وكبدتها خسائر كبيرة وبخاصة فى الدبابات والأفراد . واستمرت فى تطهير النقط القوية للعدو وقلاعه الحصينة . وبنهاية الثامن من اكتوبر تمكنت الفرق المشاة الخمس من انشاء رءوس الكبارى المقررة بعمق ٨ – ١٠ كيلو مترات .

تحقيق المهمة المباشرة

وخلال التاسع من اكتوبر اتمت القوات المسلحة تحقيق المهمة المباشرة (الأولية) بنجاح ، حيث قامت تشكيلات نسق اول الجيشين (الفرق المشاة الخمس) بتوسيع وتعزيز رءوس الكبارى المحددة لها ، كما نجحت فى صد وتدمير هجمات العدو المضادة المركزة ، التى بلغ اجمالى القوات التى اشتركت فيها ثلاثة الوية مدرعة وثلاث كتائب دبابات ، بالاضافة الى القوات المرتدة من الهجمات السابقة ، واوقعت قواتنا بالعدو خسائر فادحة .

واستمرت القوات فى تطهير واتمام الاستيلاء على بعض النقط القوية والقلاع ، التى ابدت بعض المقاومات الفردية .

وقامت قوات الفرقة ١٨ المشاة بقيادة العميد اركان الحرب فؤاد

عزيز غالى باتمام القضاء على بقايا العدو فى مدينة القنطرة شرق ـ أولى مدن سيناء ـ وأعلنت تحرير المدينة ، ورفعت اعلام مصر عليها .

ونجحت قوات الفرقة ٢ المشاة بقيادة العميد اركان الحرب حسن أبو سعده ، وبالتعاون مع قوات الفرقة ١٨ المشاة ، والاحتياطى المضاد للدبابات للجيش الثانى ، الذى دفعه العميد أركان الحرب محمد عبد الحليم ابو غزالة قائد مدفعية الجيش الثانى فى هذا الاتجاه ـ بناء على اوامر اللواء محمد سعد الدين مامون قائد الجيش الثانى ـ نجحت تلك القوات فى صد ضربة مضادة قوية للعدو شنها بلواءين مدرعين وكتيبة دبابات ، ودمرت قواتنا جزءا كبيرا من هذه القوات المعادية ، وأسرت اعدادا اخرى منها .

وخلال تلك الهجمات قامت قوات الفرقة الثانية المشاة بتدمير لواء مدرع كامل للعدو ، هو اللواء ١٩٠ المدرع ، واسرت قائده . وذلك فى الساعة ١٠٠٠ يوم التاسع من اكتوبر .

وقامت قوات الجيش الثالث بصد هجمات العدو المضادة والتى شنها بقوة لواء مدرع وكتيبتى دبابات ، بالاضافة الى العناصر المرتدة من الهجمات السابقة ، وتكبد العدو خسائر فادحة ، مما ادى الى فشل كل هجماته المضادة .

ودفع الجيش الثالث مفرزة قوية فى اتجاه الجنوب ، استولت على نقطة العدو القوية الموجودة فى منطقة عيون موسى ، وعلى بطاريتى مدافع ١٥٥ مم سليمتين ، حيث لم يتمكن العدو من نسف المدافع لشدة وطأة الهجوم المصرى ..

وجدير بالذكر أن هذه المدافع قد ثبتها العدو فى قواعد خرسانية داخل دشم قوية التحصين ، وطالما استخدمها خلال حرب الاستنزاف ضد الاهداف المدنية فى مدينة السويس ، وخاصة ضد مستودعات البترول جنوبها ـ كما أن الجدير بالذكر أيضا أن القوات المصرية بعد ان استولت على هذه المدافع قامت بنسفها لتعذر سحبها من مواقعها ، ولعدم امكان استخدامها الا فى اتجاه مدينة السويس .

وبنهاية التاسع من اكتوبر تم توحيد رءوس كبارى الفرق لتشكل كل فرقتين راس كوبرى واحد على مستوى الجيش بعمق ١٠ ـ ١٢ كيلومترا كالآتى :

* **راس كوبرى الجيش الثالث** .. من الفرقة ١٩ المشاة بقيادة

العميد اركان الحرب يوسف عفيفى ، والفرقة ٧ المشاة بقيادة العميد اركان الحرب احمد بدوى .

* **راس كوبرى الجيش الثانى** .. من الفرقة ١٦ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب عبد رب النبى حافظ ، والفرقة ٢ المشاة . اما الفرقة ١٨ المشاة فقد قامت بتعزيز الخط المحدد لها على الاتجاه الشمالى المستقل امام مدينة القنطرة .

كما قامت الفرق المشاة الخمس بدفع مفارز متقدمة (مجموعات امامية) مدعمة ، للسيطرة على طرق الاقتراب الى رءوس الكبارى ، وكانت اكثرها نجاحا تلك المفرزة المتقدمة التى دفعت من فرقة العميد اركان الحرب فؤاد عزيز غالى ، والتى استولت على بعض معدات العدو سليمة (دبابات سنتريون وم ٦٠) ، بعد أن فر العدو وخلفها وراءه .

* * *

وبهذا يمكن القول بان الانساق الاولى للجيشين الثانى والثالث الميدانيين قد اتمت تحقيق المهمة المرسومة لها فى التوقيت المحدد ، وذلك رغم المصاعب والعراقيل التى واجهتها .

لقد كان اقتحام قناة السويس واختراق خط بارليف والاستيلاء على رءوس الكبارى والتمسك بها مثلا باهرا لمعركة الأسلحة المشتركة الحديثة ، حيث قام كل سلاح باداء دوره المحدد طبقا لخطة منسقة تضمن توحيد الجهود لتحقيق النصر المنشود .

وعلى هذا الدرب قامت مختلف الاسلحة المقاتلة والقوات المتخصصة باعمال مشكورة سوف تظل تدرس لأعوام طويلة فى مختلف المعاهد والمدارس العسكرية العالمية .. ولايمكن هنا ـ فى هذا الكتاب المختصر ـ ان نوفيها جميعا حقها من الشرح ، فذلك يتطلب مجلدات ومجلدات .. ولكن نكتفى بالقاء بعض الضوء على ماقامت به بعض عناصرها فى اقتحام وتأمين قناة السويس ، واختراق خط بارليف ، والاستيلاء على مواقعه الحصينة وتدميرها .

• **فعن المدفعية المصرية :**

اتمت القوات المصرية الاستعداد لاطلاق النيران طبقا للخطة فى الصباح الباكر ليوم ٦ اكتوبر ، بعد ان دخلت آخر عناصر الصواريخ

التكتيكية ارض/ارض الى مواقعها ، وتأهبت الصواريخ التعبوية لتوجيه ضرباتها الموجهة الى العدو .

وقدم مدير المدفعية اللواء محمد سعيد الماحي تمام استعداد المدفعية والصواريخ ارض/ارض الى القائد العام في مركز القيادة الرئيسي ...

واصدر القائد العام الاسم الرمزي لبدء التمهيد النيراني .. قام مدير المدفعية بالضرب على جميع وسائل المواصلات التليفونية واللاسلكية وكرر كل قادة المدفعية على مختلف المستويات الامر في التو واللحظة حتى وصل خلال ثوان معدودة الى جميع مواقع المدفعية على طول مواجهة قناة السويس ... واشتعلت بذلك حرب رمضان ببدء تنفيذ التمهيد النيراني للمدفعية والصواريخ في لحظة واحدة على الجبهة الجنوبية في مصر ، وعلى الجبهة الشمالية في سوريا ، وذلك في الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ اكتوبر .

وكسر الصمت الرهيب .. وتوالت البلاغات عن بدء التمهيد النيراني وتأثير النيران على العدو .. وتحول الشاطيء الشرقي للقناة الى جحيم مشتعل ، وفوجيء العدو تماما بأقوى تمهيد نيراني تم تنفيذه في الشرق الاوسط طوال تاريخه .. حتى انه لم يتمكن من سحب مراقبيه من فوق الابراج العالية الموجودة بالنقط القوية والحصون .

وسقطت على مواقع العدو وقلاعه بالضفة الشرقية للقناة في الدقيقة الاولى من التمهيد النيراني ١٠ر٥٠٠ دانة مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانة في كل ثانية ..

وتوالت البلاغات عن مدى تأثير النيران ، والخسائر التي احدثتها بالعدو ، وعن نجاح المدفعية في فتح جميع الثغرات المخططة في موانع الاسلاك الشائكة والالغام ، على الميل الامامي للساتر الترابي ، وحول النقط القوية والحصون والقلاع المعادية ..

وفي ساعة الصفر تماما (الساعة ١٤٢٠) بدأت الموجة الاولى لقواتنا في عبور القناة ، ومعها اسلحتها الخفيفة .. ورافق المشاة في اقتحامها ضباط ملاحظة المدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات .. وفي نفس اللحظة كانت صواريخنا التكتيكية تشق عنان السماء بأمر مركزي من مديري المدفعية لتصيب اهدافها في عمق سيناء وتحيلها الى دمار .. **وكانت تلك اول ضربة بالصواريخ التكتيكية في تاريخ الشرق الاوسط .**

ونجحت الموجة الاولى في اقتحام القناة والاستيلاء على الساتر الترابي شرقها ، ورفعت الاعلام المصرية عالية خفاقة . واستمرت المدفعية تدك تحصينات خط بارليف ، وتضرب احتياطيات العدو القريبة ، وتسكت مدفعيته تماما ..

لقد نفذ التمهيد النيراني كما خطط له بالضبط .. وكانت نتائجه اكثر مما كنا نأمل ، اذ اوقع بالعدو خسائر جسيمة في الارواح والمعدات، ودمر جميع تحصيناته الميدانية . وهدم قلاعه وحصونه القوية بخط بارليف ، وخاصة مداخلها ومخارجها ، واستحالت بذلك النقط القوية الى مقابر لمن فيها ... ونجحت المدفعية في اسكات مدفعية العدو وشل حركة جميع احتياطياته القريبة . الى درجة انه لم يتمكن احتياطي واحد منها ان يتم التحرك لمنع عبور قواتنا ، كما لم تتمكن دبابة معادية واحدة من صعود الساتر الترابي واحتلال المصاطب المجهزة به لتوقف عبور قواتنا . وبالمثل لم يتمكن مدفع واحد من الضرب على قواتنا الا بعد فوات ساعة من بدء العبور .

وتابعت المدفعية اطلاق نيرانها الكثيفة القوية على النقط الحصينة والقلاع المعادية حتى وصلت القوات المخصصة لاقتحامها الى مسافة حوالى ٢٠٠ متر منها . حيث قامت قواتنا المشاة والصاعقة باقتحامها وتدميرها او حصارها .

واستمرت نيران المدفعية تزحف امام القوات الاخرى التي تابعت توسيع رؤوس الكباري ، وذلك بفضل ضباط ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع الموجات الاولى لقواتنا ، وكذا جماعات ملاحظة المدفعية التي كانت تعمل خلف خطوط العدو . والتي انتشرت مع بداية المعركة على طول مواجهة وعمق العدو ، لادارة نيران المدفعية على ابعد مدى ممكن. وبذلك امكن لنيران المدفعية ان تصل الى العدو في اعماقه ، بعد ان كان يظن انه في مأمن منها لبعد المسافة .

اما عن مراكز قيادة العدو في سيناء فقد كان حسابها مع الصواريخ التكتيكية ، اذ وجهت في لحظة واحدة ضربات صاروخية ضد جميع مراكز القيادة والسيطرة الرئيسية للعدو على المحور الشمالي والمحور الاوسط والمحور الجنوبي ، وكذا ضد مركز الاعاقة والشوشرة الرئيسي الموجود فوق جبل ام خشيب ... وادت تلك الضربات الى ارباك سيطرة العدو ، مما أجبر قيادة العدو على نقل السيطرة بعيدا الى العمق في العريش ..

وهكذا انتهت المرحلة الاولى من أعمال المدفعية ، لتبدأ قوات المهندسين فى فتح الثغرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية .. وتوالت البلاغات عن تقدم بعض احتياطيات العدو المدرعة من العمق القريب والبعيد .. ونجحت بعض اعداد فردية من دبابات العدو فى احتلال السواتر الترابية الموجودة فى العمق خلف خط بارليف ، توطئة لايقاف تقدم قواتنا المترجلة .. حيث لم تكن المعديات او الكبارى قد بدأت العمل بعد ، وبالتالى لم تكن الدبابات أو الأسلحة الثقيلة قد عبرت الى الضفة الشرقية .

كان على المشاة ان تقاتل الدبابات المعادية بمفردها لبضع ساعات حتى تصل اليها دباباتها وأسلحتها الثقيلة .. **وهنا حل دور رجال المدفعية المضادة للدبابات الذين عبروا مع المشاة فى اللحظات الأولى لاقتحام القناة .**

وكانت الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات احدى المفاجآت الكبرى التى اعدتها المدفعية لتحطم مدرعات العدو .. ولم تكن تلك الصواريخ هى المفاجأة الوحيدة بل كان الرجال خلفها بمهارتهم وتدريبهم العالى وروحهم المعنوية وتصميمهم وثباتهم اكثر من مفاجأة ..

واستعدت اطقم الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات لاصطياد دبابات العدو .. وبدأ ضباط ملاحظة المدفعية فى تركيز وحشد نيران المدفعية على السواتر التى احتلتها دبابات العدو ... مما اجبرها على الخروج هربا من هذه النيران لتتلقفها الصواريخ المضادة للدبابات وتحيلها من دبابة ، هى احدث ما أخرجته ترسانة الولايات المتحدة الى كومة من الحديد المحترق . اما تلك الدبابات التى نجت من هذا المصير فقد تركتها أطقمها سليمة وفرت بعيدا الى الخلف ..

وحاولت بعض دبابات العدو القيام بالهجمات المضادة المحلية فى الساعات الأولى لعبور قواتنا ، ولم يكن مصيرها بأفضل من سابقتها .. وحتى آخر ضوء يوم السادس من أكتوبر **تم تدمير كل دبابات العدو** التى كانت متمركزة بالقرب من القناة او فى العمق القريب .. ولم يكن العدو قد قام بهجوم مضاد رئيسى منسق حتى ذلك الوقت ..

ونشطت بطاريات العدو بعد انتقالها الى العمق . ولكن المدفعية المصرية اسكتتها على الفور اسكاتا مؤثرا ..

وخلال ٦/٧ اكتوبر تم عبور جميع كتائب الصواريخ المضادة

للدبابات المركبة على عربات مدرعة ، وذلك فى القطاع الشمالى من القناة .. اما فى القطاع الجنوبى فقد تأخر تركيب الكبارى والمعديات ١٨ ساعة نتيجة عوامل عدة، اهمها سرعة التيار فى القناة ، والفارق الكبير فى ارتفاع سطح المياه بفعل المد والجزر .. وكذا اختلاف طبيعة الساتر الترابى المتكون من تربة طفلية تحولت بفعل مضخات المياه الى طين سائل لزج ، اعاق تحرك المعدات لفترة طويلة .. الامر الذى دعا الى سرعة دعم الجيش الثالث بعناصر من الصواريخ المضادة للدبابات من احتياطى القيادة العامة لتعويضه ولو جزئيا عن تأخر عبور اسلحته الثقيلة .

وعلى طول المواجهة تم عبور جميع مراكز ملاحظة المدفعية مع قادة المشاة المناظرين ، بما فى ذلك مراكز ملاحظة قادة مدفعية الألوية والفرق والجيوش .. وتم انتقال جميع كتائب المدفعية الى غرب القناة مباشرة ... واحتلت بعض الدبابات والأسلحة الثقيلة المضادة للدبابات السواتر العالية على الضفة الغربية لقناة السويس ، فى الأماكن المشرفة على الضفة الشرقية ، للمعاونة فى صد هجمات العدو المضادة .

وطوال ليلة ٦/٧ وعلى امتداد السابع من أكتوبر قام العدو بأكثر من ١٠ هجمات مضادة قوية على جميع رءوس الكبارى ، سواء فى الجيش الثانى أو الجيش الثالث ، وأمكن لقواتنا صدها جميعا ، وكبدت العدو خسائر كبيرة فى دباباته وافراده . وكانت المدفعية تبدأ فى التعامل مع الالوية المدرعة المعادية بمجرد دخولها فى مرمى اسلحتها ، وحشدت نيرانها على ارتال دبابات العدو فاربكت تشكيلاتها وانزلت بها خسائر كبيرة ..

وحاول العدو اتباع تكتيك جديد ، فراح يندفع بمدرعاته ومجنزراته بأقصى سرعة ليتوغل داخل اوضاع قواتنا فيقلل من وقت تعرضه لنيران مدفعيتنا ، الا ان مشاتنا تلقفتها بنيران مدافعها الخفيفة المضادة للدبابات والقواذف اليدوية والقنابل اليدوية فأحالتها هشيما تذروه الرياح ..

ولم يكن حظ الهجمات المضادة التى شنها العدو ليلا على رءوس كبارى الجيش الثالث بأسعد حالا من هجماته على الجيش الثانى ،بالرغم من تأخر تركيب معديات وكبارى الجيش الثالث كما سبق ذكره ، وتأخر عبور دباباته وأسلحته الثقيلة المضادة للدبابات حتى أول ضوء يوم ٧ اكتوبر .

ولكن العدو خسر اعدادا كبيرة من الدبابات والعربات المجنزرة

امام مواجهة الجيش وعلى اجنابه بفضل الصواريخ المضادة للدبابات ، ورجال المشاة المسلحين بالقواذف الخفيفة المضادة للدبابات . وبفضل القنابل اليدوية المضادة للدبابات . وكانت اروع وقفات الجنود المشاة فى مواجهة أحدث ما أخرجته ترسانة الحرب من معدات مدرعة .. **كانت الغلبة للرجل ضد الدبابة .**

ولم يحرز العدو اى نجاح على طول المواجهة من القنطرة شمالا الى جنوب السويس جنوبا ، ومنى بخسائر ضخمة فى دباباته لم يكن يتوقعها .. وقامت قواتنا بتوسيع رءوس الكبارى ، وسقط خط بارليف الأسطورى بمعظم نقطه القوية وقلاعه وحصونه .

وخلال يومى ٨ ، ٩ اكتوبر كرر العدو هجماته المضادة ضد رءوس كبارى الفرق ، ولكنها فشلت جميعا . ووجهت المدفعية عدة ضربات صاروخية ضد مراكز قيادة وسيطرة العدو ، وضد مطار المليز الذى اصيب بخسائر كبيرة ..

لقد كان لحسن تخطيط وادارة اعمال المدفعية فضل كبير فى اسكات بطاريات العدو ، الأمر الذى حرمه من استخدام مدفعيته بحشد او تأثير .. واستولت قواتنا على عدة مدافع للعدو ، بل وبطاريات كاملة تركها جنوده وفروا هاربين .. واستخدمتها قواتنا ضده فى التو واللحظة ..

وبذلك اصبحت مدفعية العدو لاتشكل خطورة كبيرة على قواتنا ، ولحقت مدفعيته بمصير دباباته . وكانت تلك بعض اعمال المدفعية المجيدة فى الأيام الأولى لاقتحام القناة .

• وعن قوات الصاعقة :

فما ان اندلعت الشرارة الأولى لحرب رمضان حتى كانت جماعات من الصاعقة تعبر بقواربها المطاط مياه القناة على طول امتدادها من بورسعيد شمالا الى السويس جنوبا ، لتشكل طلائع الزحف الهائل . وكان لها شرف رفع أول مجموعة من الاعلام فوق روابى سيناء الحبيبة ، لتنطلق بعدها موجات متتالية من المشاة والمدفعية ، والمدفعية المضادة للدبابات ..

وعلى الحد الأمامى كان رجال الصاعقة اول من قهر الساتر الترابى العالى ، فتسلقوه بالحبال ، وبالأظافر والأنياب ، واستولوا على المصاطب

التى اعدها العدو لدباباته وقاموا ببث الالغام فيها ، ثم اندفعت جماعات منهم الى الشرق ، حيث اقاموا الكمائن لاقتناص دبابات العدو التى حاولت الاقتراب من الساتر الترابى .. وقاموا بمفردهم باقتحام بعض مواقع العدو الحصينة ، كما اشتركوا مع رجال المشاة فى مهاجمة باقى حصون العدو وقلاعه القوية .

وانقض رجال الصاعقة والمشاة على مواقع العدو الحصينة فى هجمات مكثفة ، فحطموا اسطورة الجيش الذى لايقهر . ودار القتال الضارى الشرس داخل القلاع والحصون ، واشتبك الخصوم بالسلاح الابيض ، وبالايدى . **وكانت الغلبة لجند مصر ..** الذين كانت الرغبة الجارفة فى رفع عار ١٩٦٧ تدفعهم بكل وجدانهم الى تحطيم العدو الصلف المغرور ..

وقبل آخر ضوء كانت اعداد كبيرة من طائرات الهليكوبتر قد افرغت حمولتها من رجال الصاعقة فى عمق سيناء شمالا وجنوبا ، بين جبالها ووهادها .. وبعد ساعات قليلة من انطلاق الشرارة الأولى كان رجال الصاعقة ينقضون على اهدافهم فى عمق العدو ، وينجزون مهامهم المحددة .

وفى نفس الوقت كانت جماعات منهم تزحف على مياه البحرين الاحمر والمتوسط ، لتصل الى اهدافها على سواحل سيناء .. لقد فوجىء العدو بهذا الحجم الكبير من قوات الصاعقة تظهر فجأة ، وفى كل مكان من سيناء ، وطوال ايام المعركة .

ففى الشمال قاتل رجال الصاعقة فى مواجهة الجيشين الثانى والثالث فى عمق سيناء ، قتالا مستميتا على الطرق والمضايق ، ضد مدرعات العدو التى حاولت الاقتراب لاجهاض عملية عبور قواتنا وانشاء رءوس الكبارى ، فواجهوا دبابات العدو بأسلحتهم الخفيفة المضادة للدبابات وقنابلهم اليدوية ، **بل والقوا بانفسهم فى طريق تقدم العدو ، وعلى ظهورهم الالغام المضادة للدبابات كى تنفجر فوق اجسامهم مدرعات العدو** . وتركوا على رمال سيناء بصمة شريفة تشهد بأن هذه البقعة او تلك قد استشهد فوقها فدائى شهم من رجال الصاعقة ، قدم حياته فداء زميله حتى ينجح العبور ويتحقق الأمل المنشود ..

وفى عمق سيناء استمرت قوات الصاعقة فى التمسك بالمضايق الجبلية والممرات ، فمنعت قوات العدو من المناورة الا بخسائر جسيمة .. ونستبق الحوادث قليلا لنذكر كيف أن وحدة من الصاعقة ظلت

تتمسك بمضيق سدر من يوم ٦ الى يوم ٢٢ اكتوبر ، فحرمت بذلك العدو من اجتياز هذا المضيق لمدة ١٦ يوما ، حتى جاءها الأمر بالارتداد، فعادت لتنضم الى باقى قوات الجيش الثالث .

اما فى جنوب سيناء فقد اقام رجال الصاعقة قواعدهم فى وديانها، واستمروا ينطلقون فى اغاراتهم على اهداف العدو فى مناطق ابو رديس وبلاعيم وابو زنيمة والطور .. فبثوا الذعر فى قلوب العدو ، واجبروه على دفع قوات كبيرة من المدرعات والمشاة الميكانيكية لحماية أعدائه بهذه المنطقة ·· ونجحت بذلك قوات الصاعقة فى جذب وحصر جزء كبير من قوات العدو فى جنوب سيناء ، مما خفف الضغط على قواتنا فى الشمال اثناء انشاء رءوس الكبارى ·

وعندما تقرر حرمان العدو من بترول سيناء شارك رجال الصاعقة فى نسف وتدمير منشآت ومستودعات البترول فى مناطق ابو رديس وشيراتيم وابو زنيمة وسدر ··· واستمرت قوات الصاعقة فى بث الذعر فى صفوف العدو ، ومهاجمة اهدافه الحيوية فى جنوب سيناء حتى توقف اطلاق النار ·· **بل ظلت بعضها تنفذ مهامها حتى عادت فى ابريل ١٩٧٤ ·**

*** اما عن المهندسين العسكريين :**

فامرهم لا يوفيه حقه الا كتاب كامل عن ذلك الانجاز الذى يشبه الاعجاز · فما كان مستطاعا اقتحام القناة وانشاء رءوس الكبارى شرقها دون الاعمال البطولية التى قام بها رجال المهندسين العسكريين .. ولكن ضيق المساحة يجعلنا نقصر الأمر على القاء بعض الضوء على اروع تلك الاعمال .

ففى الساعة ١٤٢٠ من السادس من اكتوبر ٧٣ عبرت الموجة الأولى من القوات المهاجمة قناة السويس ، ومعها عناصر من المهندسين العسكريين لتأمين مرور المترجلين فى حقول الألغام المعادية ، ثم عادت القوارب لتنقل الموجات التالية ..

ثم تلا ذلك مباشرة عبور عناصر أخرى لتحديد محاور الثغرات فى الساتر الترابى ، وتجهيز الأرصفة للمعديات والكبارى .. وعبرت بعد ذلك مجموعات فتح الممرات من المهندسين ومعها مضخات المياه القوية ..

وجدير بالذكر انه خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الاولى كان حجم قوات المهندسين العسكريين التى عبرت القناة ، والتى راحت تعمل

فوق سطح الساتر الترابى وفوق صفحة القناة ، قد تجاوز الخمسة عشر الف مقاتل من المهندسين العسكريين من مختلف التخصصات .

وفى الموجة الثانية عبرت ثمانون وحدة هندسية فى قواربهم الخشبية المحملة بالأفراد والمضخات والخراطيم وخلافها من مهمات فتح الممرات فى الساتر الترابى .

ووصلت القوارب الى الضفة الشرقية ، واتخذت اماكنها ، وتم تثبيتها . وركبت الخراطيم فى المضخات وتم فردها وركبت فى النهايات الأخرى البشابير ، وأصبح كل فرد جاهزا للعمل · ودارت المضخات باوامر من القيادة ، فاندفعت المياه من البشابير كالسيوف تشق خط بارليف . وبدأت الأتربة تنهار وتحول الرجال خلال دقائق الى لون اسود بفعل الطين المتطاير فى جميع الاتجاهات ، بينما كانت جميع انواع أسلحة قواتنا وقوات العدو تهدر بعنف من حولهم · ومضى الرجال فى تصميم مصرى أصيل ينفذون مهمتهم بثقة وايمان .

وبعد ساعات قليلة بدأت البلاغات تتوالى عن انتهاء المضخات من ازالة الساتر ، وبدأت عملية تثبيت أرضيات الممرات التى تحولت الى وحل لأعماق كبيرة تجاوزت المتر فى بعض المناطق . وقد استخدمت فى تنفيذ هذه المهمة مواد مختلفة طبقا لطبيعة التربة ، من أخشاب وقضبان وحجارة وشكاير مملوءة بالرمل والواح من الصلب وشباك معدنية وغير ذلك من المواد .

وكانت عملية تثبيت الممرات ضرورية حتى تتمكن آلات الجرف من الخروج من المعديات الى الممرات لتقوم بازاحة الطبقة الموحلة من الارض وتصل الى القشرة الجافة التى يمكن للدبابات والمركبات ان تسير عليها دون تعثر .

ومنذ اللحظة الاولى للعبور بدأت أرتال وحدات العبور تتقدم على الطرق المحددة لها من قبل ، وفى التوقيتات المخططة ايضا ، حيث كان ذلك يتوقف على عوامل ثلاثة هى مسافة التحرك من منطقة التمركز الى القناة ، والزمن اللازم لاسقاط مهمات الكوبرى وتجميعه فى الماء ، والزمن اللازم لفتح الممر فى الساتر الترابى . مئات من العربات المحملة بمهمات الكبارى واللنشات تتحرك على عشرات الطرق فى مجموعات صغيرة ، وبفواصل زمنية محسوبة بدقة طبقا لاتساع ساحة الاسقاط المحددة لكل وحدة .

ويبدو تشبيه هذه العملية بأنها مثل خلية النحل تشبيها ينقص

من قدر ماحوته من نظام محكم من حيث المسافات والتوقيتات لكل قطعة ومعبرة ووحدة ، فالعربات تتحرك فى جميع الاتجاهات .. من الخلف للامام تتحرك العربات وهى محملة ، ومن الامام للخلف تعود العربات وهى فارغة ، والى اليمين واليسار تحركات تطلبتها المناورة بوحدات العبور من اتجاه لآخر ، وفى مياه القناة تحركات مماثلة تتم نهارا ، وعندما هبط الظلام سارت الاعمال ليلا بنفس النظام الدقيق، اذ كان كل فرد يعرف مهمته ، ويعرف اتجاهه ومكان عمله .

تم كل ذلك رغم محاولات العدو منع انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات ، ومنع فتح الممرات فى الساتر الترابى ، بالقصف المستمر من الارض والجو على مناطق تمركز وحدات العبور ، وطرق تحركها ، ومناطق الاسقاط والممرات . وفى النهاية اكتمل العمل العظيم ، واتم المهندسون انشاء الكبارى والمعديات فى الجيش الثانى فى فترة من ست الى تسع ساعات مثلما كان مخططا تماما .

اما فى قطاع الجيش الثالث فقد اصطدمت عملية فتح الممرات فى الساتر الترابى وانشاء الكبارى بجميع العوامل المعوقة من قصف مركز من طائرات ومدفعية العدو ، ومن صلابة تربة الساتر الترابى التى جعلت عملية تجريف المياه شاقة ، ولتحول ارضية الممرات الى وحل تجاوز عمقه المتر ، مما تطلب وسائل اضافية لتثبيت التربة ، نقلت من مناطق التشوين فى الخلف ، ومن تغيرات فى مناسيب مياه القناة بفعل المد والجزر ، حيث كان القمر فى العاشر من رمضان وكلما ارتفع القمر زاد اثر المد والجزر .. والبحر الاحمر والجزء الملاصق له من القناة اكثر القطاعات تاثرا به .. وأخيرا فان سرعة التيار العالية وتغير اتجاهه مع طول زمن التركيب كان عاملا معوقا ذا قيمة سالبة خطيرة . حقيقة ان معظم هذه العوامل المعوقة كانت متوقعة الا ان تكاتفها جميعا فى نفس الوقت ادى الى انشاء الكبارى فى نطاق الجيش الثالث فى نحو ست عشرة ساعة ، بخسارة زمنية قدرها سبع ساعات عن التخطيط الموضوع .

وتم انشاء عشرة كبارى ثقيلة وعشرة كبارى مشاة ، وعدد كبير من المعديات ، مما اتاح لدباباتنا ومعداتنا واسلحتنا الثقيلة أن تعبر صفحة القناة وتصل الى رءوس الكبارى فى الوقت المناسب .

وقامت الشرطة العسكرية وافراد مراقبة المرور بجهد مشكور فى ارشاد الجميع الى محاورهم ، حتى ينضموا بسرعة الى وحداتهم التى كانت مشتبكة عندئذ بعنف على الحد الأمامى داخل رءوس الكبارى ، ورغم ان كل ذلك تم فى الظلام الا انه سار بطريقة مثالية ترتب عليها

وصول الاسلحة والمعدات الثقيلة الى اماكنها المخططة فى الوقت المناسب لتقلب موازين القوى فى صالحنا .

وقام العدو بتركيز هجماته الجوية ونيران مدفعيته على الكبارى لاحباط عبور قواتنا ... وامتصت المعابر الهيكلية معظم هذه الضربات .. وكان لفدائية أفراد وحدات الكبارى جميعا من الجندى الى قائد المعبر الفضل فى سرعة استعادة كفاءة المعابر بعد اصابتها ، وفى ازمنة قياسية ، وتحت نيران العدو ..

وجدير بالذكر أن معظم الكبارى اصيبت واعيد اصلاحها اكثر من خمس مرات .. وقد ضرب العميد أركان الحرب احمد حمدى نائب مدير المهندسين العسكريين وقائد أحد الوية الكبارى المثل الأعلى فى التضحية والفداء ، اذ استشهد وهو يشارك افراد احد الكبارى فى اصلاحه ..

لقد كان للمناورة بالمعابر ، والمناورة بالقوات للعبور عليها بسلاسة وتدفق ، الفضل الاكبر فى سرعة عبور القوات بالاحجام الضخمة فى الليالى الأولى للعملية الهجومية .. ويقول هوارد كالاوى وزير الجيش الامريكى لوكالة الاسوشيتد برس يوم ١٨ اكتوبر فى هذا الشان ... «ان العبور الذى قامت به القوات المصرية فى قناة السويس فى مواجهة القوة الجوية الاسرائيلية المتفوقة هو بمثابة علامة مميزة فى الحرب الحديثة ستغير من الاستراتيجية العسكرية» .

ولم يقتصر دور المهندسين العسكريين على انشاء المعديات والكبارى، بل قاموا ببذل مجهود كبير فى الاستيلاء على رءوس الكبارى وتعزيزها ، وذلك بالتعاون مع باقى الأسلحة المشتركة فى صد هجمات دبابات العدو ، برص الألغام فى مواجهة مدرعات العدو لحصر مناورتها وايقاف تحركاتها ... كما عبرت الى رءوس الكبارى مئات القطع من المعدات الهندسية المتنوعة لتعاون القوات فى تجهيز مواقعها بحفر خنادق ومواقع الدبابات والمدفعية ، وانشاء السواتر ، وغيرها من الأعمال الأخرى .

ويكفى أن نذكر ان قوات المهندسين العسكريين قد رصت حوالى مليون لغم مضاد للدبابات خلال حرب رمضان ...

كان للتعاون التام والتنسيق الوثيق بين جميع الاسلحة المقاتلة والقوات المتخصصة الفضل الأكبر فى اقتحام قناة السويس ، وتحطيم خط بارليف بقلاعه وحصونه ونقطه القوية ، والاستيلاء على رءوس الكبارى وتوسيعها ، ثم توحيدها بنهاية يوم ٩ اكتوبر ..

تامين رءوس الكبارى وتعزيز المعابر

الوقفة التعبوية

بعد ان اتمت الانساق الاولى للجيش الميدانية تحقيق المهام المباشرة المخصصة لها شرق القناة توقفت القوات لمدة ٤ أيام (١٠ – ١٢ اكتوبر) حيث تحولت لتعزيز الخط المستولى عليه . وتامين رءوس كبارى الجيوش ، وتعزيز المعابر على قناة السويس ..

وقامت تشكيلات الجيوش الميدانية خلال هذه الوقفة بصد العشرات من الهجمات المضادة للعدو ، التى وجهها – بعد أن افاق من غشيته . واسترد بعض وعيه – ضد رءوس الكبارى بقوات تراوحت بين عدة سرايا الى عدة الوية مدرعة ومشاة ميكانيكية ، ركزها ضد اجناب رءوس الكبارى . محاولا تطويقها والوصول الى المعابر لتدميرها . لايقاف تدفق القوات المصرية الى الشرق ، أو عزل قواتنا التى أتمت العبور ، عن قواعدها فى الغرب .

وقام العدو فى نفس الوقت بالقصف الجوى المتتالى للقوات والمعابر بأعداد كبيرة من الطائرات وبصفة شبه مستمرة ، محاولا ايقاع اكبر خسائر بها لتليينها توطئة للقضاء عليها ، ، كما قام بعدة محاولات لمهاجمة بعض القواعد الجوية والمطارات بهدف احداث خسائر بالقوات الجوية المصرية على مراحل ، ما دام لا يستطيع تحقيق السيطرة الجوية بالضربة الجوية المركزة على غرار ما فعله بنجاح كبير صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

ولقد امكن للعدو بذل كل تلك الجهود بفضل الامدادات الجديدة من الأسلحة الأمريكية المتطورة التى انهالت عليه من ترسانات الولايات المتحدة ، وتم تفريغها فى مطار العريش رأسا بواسطة اطقم امريكية متخصصة ، أعتبارا من ١٠ اكتوبر والأيام التالية . تلك الامدادات التى وصفها جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى يوم ٥ نوفمبر بانها ..

« قد استنفدت بشكل خطير المخزون الأمريكى من الاسلحة والمعدات بالقدر الذى سوف يرغم حكومة نيكسون على طلب زيادة ميزانية الدفاع لعام ١٩٧٤ » ..

ونتيجة لمحاولات القيادة الاسرائيلية المتكررة تصفية رءوس الكبارى أو تثبيتها ، وبفضل استبسال المقاتل المصرى ، تكبدت اسرائيل خسائر كبيرة فى الطائرات والدبابات والأسلحة والمعدات والأفراد ، كان من الممكن أن تكون فادحة بالنسبة لها لولا اسراع امريكا بنجدتها وتعويض خسائرها بالجسر الجوى المشهور . وقد أمكن لقواتنا اسر عدد من دبابات العدو ومعداته واسلحته سليمة ، وحدث هذا لأول مرة فى تاريخ العسكرية الصهيونية ..

لقد كان لهذه الوقفة التعبوية اهداف عدة تخدم الخطة الهجومية المصرية لتحرير سيناء ، ومن اهمها :

- ضمان ثبات وتعزيز رءوس الكبارى المستولى عليها حتى ولو تحملت القوات بعض الخسائر ، حيث انه من المفضل انزال اكبر الخسائر بالعدو من حالة الثبات مع توفر أعمال التجهيز الهندسى لقواتنا ، عن انزالها وقواتنا البرية فى العراء بلا سواتر أو تجهيزات هندسية تقيها خطر الهجمات الجوية المعادية ... هذا فضلا عن أن رءوس الكبارى ، التى تم تعزيزها أصبحت تشكل قاعدة قوية يمكن أن تستند اليها القوات عندما تقوم بتطوير الهجوم شرقا .
- تحقيق الدفاع الجوى عن القوات فى رءوس الكبارى ، واسقاط أكبر عدد ممكن من طائرات العدو التى سيوجهها قطعا ضدها هناك ، مع توفير القدرة على تحقيق الحماية لقواتنا اثناء اعمالها القتالية بالانتقال المتتالى لعناصر الدفاع الجوى بالصواريخ خلف القوات .
- ضمان تحقيق الاتزان الاستراتيجى فى المسرح ، بفضل وجود الانساق التالية للجيوش الميدانية . واحتياطيات القيادة العامة غرب قناة السويس .
- اعادة تنظيم وتجميع القوات فى مناطق رءوس الكبارى . واستكمال

الامداد الادارى والفنى بالاحتياجات استعدادا لتطوير الهجوم شرقا .

واخيرا فقد كان من الواضح ان عاملى السرعة والوقت قد لا يكونان هما العاملين المؤثرين على التخطيط فى مثل عمليتنا الهجومية هذه مع اقتحام المانع المائى .. ولكن المحصلة النهائية للمراحل المختلفة لديناميكا تلك العملية تشير غالبا الى ان القوات ـ نتيجة التخطيط المتزن وبفضل الأعمال القتالية المتتالية ـ يمكنها انجاز اعمال ذات نتائج ممتازة تماما .

ولم تكن الوقفة التعبوية فترة سكون ، ولكنها كانت فترة نشاط كبير يهدف الى صد هجمات العدو المضادة المتوقعة من أفضل الأوضاع الممكنة . وجدير بنا ان نتذكر انه خلال هذه الفترة امكن لقواتنا أن تدمر للعدو ما يناهز الخمسمائة دبابة ، فضلا عن الآلاف من الأفراد ، ولم يكن هذا بالأمر الهين ... كما تم الاستيلاء تماما على كل حصون العدو وقلاع خط بارليف ، واستسلم آخر موقع له وهو النقطة القوية فى لسان بور توفيق واسر ٣٧ فردا به منهم خمسة ضباط وذلك فى الساعة ١٢٤٥ يوم ١٣ أكتوبر .

وبذلت **قواتنا الجوية** خلال المرحلة الأولى للعملية الهجومية نشاطا كبيرا ، اذ قدمت المعاونة لباقى افرع القوات المسلحة ، ونفذت ٢٧٦٥ طلعة / طائرة فى المهام التالية :

١- توجيه الضربة الجوية المفاجئة سعت ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ضد مطارات العدو ووسائل دفاعه الجوى ومراكز قيادته ومصادر نيرانه البعيدة .

٢- اضعاف مجهود العدو الجوى باستمرار مهاجمة المطارات ، ومواقع الصواريخ ومحطات الرادار ، ومراكز القيادة والشوشرة .

٣- معاونة الجيوش الميدانية أثناء تنفيذها مهامها التعبوية ، وذلك بقصف الأهداف البرية التى تعترض طريق تقدمها ...

٤- انزال الخسائر باحتياطيات العدو المتقدمة للقيام بالهجمات المضادة ..

٥- حماية الأهداف الحيوية مثل المعابر ، والمطارات ، والقواعد الجوية ، بالمقاتلات وبالتعاون مع قوات الدفاع الجوى . وقد تمكنت

قواتنا الجوية خلال تلك المرحلة من اسقاط ٢٢ طائرة للعدو فى اشتباكات جوية عنيفة ...

• ابرار قوات الصاعقة ومجموعات الاستطلاع خلف خطوط العدو ، على طرق الاقتراب الرئيسية نحو القناة ، وعلى امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس .

• تنفيذ الاستطلاع الجوى لصالح القوات المسلحة .

درعنا الواقى

اما قوات الدفاع الجوى فقد قامت بتوفير الحماية المستمرة للقوات البرية شرق وغرب القناة طوال فترة قتالها . كما قامت بتوفير الحماية والوقاية للقواعد الجوية مما ادى الى فشل العدو فى تحقيق هدفه ، سواء بتدمير طائراتنا على الأرض ، أو تعطيل مطاراتنا وقواعدنا الجوية كما حدث عام ١٩٦٧ .

ولقد شكلت قوات الدفاع الجوى بحق المظلة النيرانية والدرع الواقى من هجمات العدو الجوية ضد قواتنا واهدافنا ، تلك الهجمات التى بلغ اجمالها خلال هذه المرحلة ٢٥٠٠ طلعة / طائرة ضد الجبهة المصرية فقط ، ركز ٧٠٪ منها ضد القوات البرية ، ٦٪ ضد المطارات والقواعد الجوية ، ١٥٪ ضد تجمع الصواريخ المستقل فى بور سعيد .

وتمكنت قوات الدفاع الجوى خلال نفس المرحلة من اسقاط ١٠٢ طائرة معادية ، وذلك خلاف ما تم اصابته وسقط بعيدا اثناء عودته الى مطاراته فى عمق سيناء أو قلب اسرائيل ..

« وامتلأ وجدان الطيارين الاسرائيليين بشعور غريب ، اذ وجدوا أنفسهم لأول مرة فى موقف الدفاع ، وعندما كانوا يقتربون من قناة السويس كانت تستقبلهم نيران الدفاع الجوى الذى ملأت صواريخه السماء . واطلق المصريون سيلا منهمر من الصواريخ أرض/جو فكانت الطائرات الاسرائيلية اينما تحركت فى السماء تقابلها هذه القضبان البيضاء القاتلة التى كانت تجرى وراءها ، كما امتلأت السماء بالشظايا من كل

لون وحجم ، التى كانت تطلقها المدفعية المصرية المضادة للطائرات * ..

لقد ظهر جليا خلال هذه الفترة بدء تدفق الامدادات الأمريكية الحديثة من الطائرات الفانتوم ومعدات التداخل الالكترونى وصواريخ شرايك المعدلة (ضد الرادارات) والقنابل التليفزيونية (ضد وسائل الدفاع الجوى الأرضية) ، الأمر الذى أدى الى حدوث طفرة مفاجئة فى قدرات العدو الجوى وخاصة فى حجم وشدة ودقة الطلعات الجوية اعتبارا من ١٠ أكتوبر . كما ازداد تأثير وكثافة التداخل الالكترونى على جميع أنواع أجهزتنا .

وكانت الطلعات المعادية على الجبهتين المصرية والسورية قد انخفضت من ١١٠٠ طلعة يوميا الى ٧٩٠ طلعة يوم ٩ . ثم زادت الى ١١٦٤ طلعة يوم ١٠ ، ثم ١١٣٨ طلعة يوم ١٢ ..

ورصدت قوات الدفاع الجوى قيام طائرة استطلاع أمريكية يوم ١٣ أكتوبر بعمل طلعة استطلاع جوى على ارتفاع شاهق بمنطقة الجبهة والعمق الاستراتيجى للجمهورية ، وأعلن عنها فى نفس اليوم . وقد ترتب على هذا الاستطلاع تحديد مواقع الدفاع الجوى وأوضاع القوات، واكتشاف تحضيراتنا لتطوير الهجوم ..

واستهلت **القوات البحرية** نشاطها القتالى مع بدء العمليات الحربية ، فقامت بتنفيذ المهام الموكلة اليها ، والتى تضمنت الآتى :

- معاونة أعمال قتال الجيوش الميدانية فى منطقة البحر الأحمر ، مع الاستعداد لصد أعمال العدو المتوقعة ..
- تدمير قطع العدو البحرية فى عرض البحر ..
- تسديد الضربات ضد موانى ومراسى العدو ، وأهدافه الساحلية فى سيناء ..
- التعرض لخطوط مواصلات العدو البحرية ..
- تأمين النطاق التعبوى بالبحرين الأبيض والأحمر ، وتنظيم الدفاع عن القواعد ونقط تمركز البحرية ..

وقد اشتركت القوات البحرية فى التمهيد النيرانى بالمدفعية

(*) - (اسحق بوديت - المراسل العسكرى لجريدة يدعوت احرونوت - حديث مع طيار اسرائيلى عاد لتوه من جبهة القناة - ١٠ أكتوبر ١٩٧٣) .

الساحلية والصواريخ فى قطاع بور سعيد ، وقصفت تجمعات العدو بمنطقة رمانة وشرق بور فؤاد ورأس برون على ساحل البحر الأبيض، وشرم الشيخ ورأس سدر ورأس محمد ورأس مسلة على ساحل خليج السويس والبحر الأحمر . كما اشتركت سرايا المدفعية الساحلية فى شمال وجنوب القناة بتقديم المعاونة بالنيران للجيوش الميدانية، وكانت انجازاتها رائعة ..

وقامت القوات البحرية بمهاجمة مراسى العدو فى بلاعيم بالضفادع البشرية ، وتعطيل الحفار الموجود بها ، واستكمال تلغيم مدخل خليج السويس . كما أغارت الصاعقة البحرية على منطقة أبو دربة بالخليج .

وقامت التشكيلات البحرية والغواصات بتنفيذ طلعات الاقتناص واعتراض خطوط مواصلات العدو البحرية ؛ وأغرقت سفينة تجارية شمال بورسودان .. كما اشتبكت مع أهداف العدو البحرية شرق بورسعيد وأغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل أن تكون سفينة انزال جنود) ، وقامت بصد هجمات تشكيل بحرى معاد من ٣ أهداف بحرية ومجموعة قوارب وطائرات هليكوبتر ، وذلك بواسطة مدفعيتنا الساحلية اليقظة فى رأس السادات .

واشتبكت عناصر الدفاع الساحلى فى كل من عزبة البرج شمال الدلتا وجزيرة شاكر فى خليج السويس مع وحدات العدو البحرية التى حاولت الاقتراب منها .

وعندما أيقن العدو من تفوق قواتنا البحرية ، وكز هجماته البحرية ضد بلنصات الصيد المدنية ، أما ضد قواتنا البحرية فقد اكتفى باستخدام طائرات هليكوبتر والمقاتلات القاذفة . ولقد بلغ اجمالى خسائر العدو البحرى فى هذه المرحلة : -

تدمير ٥ - ٦ طائرات هليكوبتر ، ٢ - ٣ لنش متوسط (صواريخ أو مدفعية) وهدف بحرى متوسط يحتمل أن يكون ناقلة جنود ، واغراق سفينة تجارية ، واسقاط ٣ طائرات مقاتلة قاذفة ، وتعطيل حفار بترول .

***

وقبل أن ننتقل الى سرد أحداث المرحلة الثانية من العملية الهجومية الاستراتيجية نتوقف قليلا لنستعرض بعض الملامح البارزة فى المرحلة الأولى ..

لقد كان احد العوامل الرئيسية لنجاح قواتنا فى اقتحام قناة السويس هو احراز قيادتنا للمفاجاة الكاملة ، ويحدث هذا لاول مرة فى تاريخ الحروب فى المسارح الصحراوية فى وجه مانع مائى مثل قناة السويس .. حيث يستحيل منطقيا تحقيق هذا القدر من المفاجاة لتعذر اخفاء تجميع القوات فى مسرح عمليات مفتوح مثل مسرحنا ، وعبر مانع مثل قناتنا ..

لقد اتخذت القوات اوضاع الهجوم وهى على اتصال مباشر بالعدو دون ان يكتشفها مراقبوه الذين يقفون على مسافة ٢٠٠ متر فقط من ضفتنا الغربية ، ويملكون وسائل استطلاع جوية حديثة ،ويدعمهم آخر ما اخرجته الترسانة الأمريكية من ابتكارات ، فضلا على جهاز المخابرات الذى ظل يدعى انه لا تفوته شاردة ولا واردة عن الدول العربية ، وتؤازره اقوى اجهزة المخابرات الغربية ، وخاصة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ..

ورغم كل ذلك كانت مفاجاة العدو كاملة بعزم جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية على شن الهجوم اساسا ، فضلا عن موعد بدئه ، وحجم القوات التى اشتركت فى تنفيذه ، وتلك السرعة المذهلة التى اقتحمت بها قواتنا المظفرة قناة السويس ، واخترقت خط بارليف الحصين الذى كان العدو ينادى بعدم قدرة البشر على اقتحامه

وكانت اخطر المفاجات واشدها وقعا على العدو ما لقيه من معنويات مقاتلينا العالية ، واصرارهم الأكيد على النصر او الاستشهاد .

ومهما حاولت ابواق الدعاية الاسرائيلية والصهيونية والامبريالية ان تقلل من قيمة هذه المفاجاة ، او ان تلون الصورة على زعم ان القيادة العسكرية الاسرائيلية كانت تعلم بلحظة الهجوم وموعده ، وان القيادة السياسية هى التى قررت ترك المبادأة للعرب طواعية لأسباب سياسية واقتصادية .. ومهما حاولت ذلك فهو عذر اقبح من ذنب ، اذ هو بالتأكيد نفس ما كانت تأخذه اسرائيل على العرب ، وتعده من مثالبهم فى الجولات السابقة ..

لقد كانت المفاجاة بالنسبة لاسرائيل كاملة .. اذ فقد العدو المبادأة واختلت سيطرته على قواته فى بداية العملية الهجومية الاستراتيجية، ولم يتمكن من التدخل بقواته الجوية بتأثير ، او توجيه نيران مدفعيته بدقة ضد قواتنا وهى تقتحم قناة السويس ..

وتسبب كل ذلك فى نجاح قواتنا فى تحقيق مهامها بخسائر

ضئيلة ، تقل كثيرا عما كنا نتوقعه او يقدره اى عسكرى متخصص .. لقد كنا على استعداد لتقبل خسائر كبيرة خلال الاقتحام والعبور ، لانه كان علينا ان نقتحم طريقنا وسط النار والحديد مهما كان الثمن .. وقبلنا التضحية ، ولكن خسائرنا جاءت اقل مما قدرنا .

ان الانسان المصرى كان فى هذه الساعات الحاسمة يعطى بسخاء وكان فى قمة الاحساس باصالة تاريخه وعظمة مستقبله .. فجاد كما لم يجد به احد من قبل ، واثبت انه من خير امة اخرجت للناس .. وانه خير اجناد الارض ..

ولم يتمكن العدو نتيجة ذلك كله من القيام بانتظام بالهجمات المضادة المحلية المخططة من قبل .. بل راح يرتجل ويضرب بطيش وحمق .. ولهذا بدت افعاله كلها يسودها الارتباك .. بينما تمكنت قواتنا بفضل دقة التخطيط وروعة التنفيذ وبسالة الرجال ان تحطم كافة هجماته وضرباته المضادة ، وتصفها الواحدة وراء الأخرى .. وامتلأت اقفاص الأسرى بجنود اسرائيل وقادتهم ..

وحدثت خلال المدة من ٦ الى ٨ أكتوبر حالة فقد الاتزان والارتباك فى الموقف التعبوى والتكتيكى للعدو ، راح يعمل جاهدا على تداركها لاستعادة توازنه ، بسرعة اجراء التعبئة والفتح التعبوى لقواته بعد ان ضاعت منه المبادأة وطاش صوابه ..

كما راح يعيد تنظيم وتدعيم القيادات على الجبهتين المصرية والسورية .. واستمر فى أعمال القتال التعطيلى على الجبهة المصرية بهدف انهاك قواتنا بالهجمات المضادة المتتالية ، وايقاع اكبر خسائر بها تمهيدا لتدميرها ، الا انه لم يتمكن من تحقيق ذلك ،اذ استمرت قواتنا فى التشبث برءوس الكبارى وتوسيعها ، بل وانزلنا به خسائر فادحة .

كما استمرت قوات دفاعنا الجوى فى تنفيذ مهامها بكفاءة تامة ، مما ادى الى صد وتدمير هجمات وضربات العدو الجوية ، واحداث الخسائر بطائراته ..

اما قواتنا الجوية فقد استمر هيكلها الرئيسى سليما فى مواجهة قوات العدو الجوية التى راحت طائراتها تتساقط هشيما ، وتتآكل قدرتها تدريجيا ..

نتيجة لكل ذلك ، ولعدم تحقيق العدو اى هدف من اهدافه المرتجلة خلال تلك الأيام الحاسمة ، اتخذت حكومة اسرائيل قرارا باستدعاء قدامى القادة الذين حققوا لاسرائيل ذلك النصر الرخيص فى الجولة الثالثة عام ١٩٦٧ ، على امل ان يرفع ذلك من معنويات الشعب والجيش الاسرائيلى ، وان يوحى بقدرة القدامى على تحقيق ما فشل فيه الأحدثون .. ولعلهم يعيدون السيطرة المختلة الى مكانها الصحيح .

لقد كانت أهم العوامل والاسباب التى أدت الى ذلك الارتباك فى السيطرة هى :

* عدم تصور اسرائيل على المستوى السياسى والعسكرى – امكان ان تقوم مصر وسوريا بالهجوم لاستعادة اراضيهما المحتلة .
* تحقيق مصر وسوريا للمفاجأة الكاملة ؛ بما اذهل اسرائيل واجبرها على التحول للدفاع لأول مرة فى تاريخها الضحل .. بل وعلى جبهتين ، وهو الأمر الذى كانت تعمل مستميتة على تجنبه ؛ وكان لذلك تأثير نفسى بالغ السوء على معنوياتها .
* كانت أوضاع العدو تتناسب وحالة اللاسلم واللاحرب ، التى سادت الشرق الأوسط بفضل تعنت اسرائيل وصلفها ، ولم يكن الفتح التعبوى الجزئى بكاف لمقابلة هجوم عربى شامل ومنسق ، يتصف بالاصرار والاقتدار ..
* وجد العدو نفسه امام نوعية جديدة من القيادات والقوات العربية لم يواجه مثلها من قبل فى اى حرب من الحروب السابقة ، من نواحى التدريب والتصميم والروح القتالية والأسلحة المتطورة التى تم استيعابها ..
* النصر السريع الذى حققته سوريا فى الايام الأولى للعمليات ، حيث كانت قواتها على وشك اتمام تحرير المرتفعات السورية (هضبة الجولان) ، واستعادة الحدود الدولية (خط ٤ يونية ١٩٦٧) .
* صدق البلاغات العسكرية العربية ومطابقتها لحقيقة اعمال القتال الجارية ، وتناقض بيانات وتصريحات اسرائيل وتخبطها الواضح وكذبها المفضوح ..
* الخسائر الفادحة التى تكبدتها اسرائيل فى الأفراد والمعدات ، وخاصة فى الدبابات والطائرات والأفراد .

ان اهم ما نلاحظه على المستوى التعبوى فى جبهة سيناء هو اهتزاز سيطرة قادتها على قواتها ، سواء فى ذلك قيادة جبهة سيناء البرية او الجوية ، وذلك نتيجة للعوامل السابق ذكرها ، بالاضافة الى مفاجأتها تماما باقتحام القوات المصرية قناة السويس ، وتحطيم قلاع خط بارليف ، والاستيلاء على معظم النقاط القوية ومراكز المقاومة والحصون خلال الساعات الأولى للهجوم ، بما حرم هذه القيادة من الوقت اللازم للتدخل ، أو تخطيط وادارة رد الفعل المناسب .

وكان لضربات القوات الجوية والصواريخ المصرية التى انهالت على مراكز القيادة والسيطرة الاسرائيلية فى سيناء الفضل الأكبر فى اختلال نظام السيطرة على القوات ، وانتقال السيطرة على جبهة سيناء عدة مرات من أم مرجم الى بالوظة ثم الى ام مخسنة .. وكذا انتقال السيطرة على القوات الجوية بسيناء بين المليز والعريش عدة مرات .

الضغط شرقا

المرحلة الثانية للعملية الهجومية الاستراتيجية «بدر» .
تطوير الهجوم شرقا وتوقفه

١٤ اكتوبر ١٩٧٣

نجدة الشقيق

*** ظهر من سير اعمال القتال في المرحلة الأولى للعملية الهجومية الاستراتيجية أن العدو يركز جهوده الرئيسية لايقاف هجوم القوات السورية كاسبقية اولى ، وذلك لعوامل عدة يأتي على راسها قرب القتال هناك من الأراضي الاسرائيلية ، الأمر الذى يهدد العمق الاسرائيلى بصورة مباشرة .**

ولهذا ركزت اسرائيل مجهودها الرئيسى ، ودفعت جزءا كبيرا من احتياطياتها التعبوية والاستراتيجية صوب الجبهة السورية . كما اتضح للقيادة المصرية أن العدو سوف يكتفي بتثبيت الجبهة المصرية ، وذلك بصفة مؤقتة ، لحين ايقاف التهديد السورى وتصفيته قبل ان يحول مجهوده الرئيسى صوب الجبهة المصرية . وظهر ذلك جليا من هبوط وتيرة هجمات العدو المضادة ، واضمحلال حجمها على الجبهة المصرية فى نهاية المرحلة الأولى ، وتحول بعض قوات العدو الى تجهيز

خطوط دفاعية جديدة الى الشرق من رءوس الكبارى ، بعيدا عن قواتنا .

ولاحباط مخطط العدو ، قرر القائد العام الفريق اول احمد اسماعيل العمل على اجبار العدو على نقل جهوده صوب سيناء ، لتخفيف الضغط على القوات السورية . ولاجبار العدو على هذه المناورة تقرر التعجيل بقيام القوات المصرية بالضغط شرقا على العدو فى سيناء مبكرا عما كان مخططا لها من قبل ، اذ كان التخطيط العام السابق يقتضى تطوير الهجوم شرقا بعد اتمام انشاء رءوس الكبارى ، وتحطيم كافة الضربات المضادة .

ولذلك تقرر ان يقوم الجيشان الميدانيان الثانى والثالث بتطوير الهجوم شرقا بجزء من قواتهما ، مع استمرار تمسكهما فى الوقت نفسه برءوس الكبارى ، بواسطة القوات الأصلية التى كانت موجودة هناك منذ بداية العبور ، ونعنى بها الفرق المشاة الخمس .

وفى صباح ١١ أكتوبر الباكر اتمت اجهزة القيادة العامة المصرية تقدير الموقف والتخطيط لتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية ، للوصول الى المداخل الغربية لسلسلة المضايق الجبلية .

وتلخصت فكرة العملية فى استخدام مفارز قوية من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على شريحة من الأرض يصل عمقها الى ٣٠ كيلو مترا من القناة حتى المداخل الغربية للمضايق والممرات . واوكل اليها مهمة تدمير قوات العدو الموجودة هناك ، وحرمانه من استخدام الطريق العرضى الذى يقع على هذه المسافة . والذى يوفر للعدو حرية الحركة والعمل ضد رءوس الكبارى .

ولقد سبق للعدو فى الأيام السابقة استخدام ذلك الطريق العرضى للمناورة باحتياطياته المدرعة من الاتجاهات المختلفة وحشدها لشن الهجمات المضادة والضربات المضادة القوية المتتالية ضد قوات رءوس الكبارى ، والتى كان يهدف منها الى شق الطريق الى القناة وعزل القوات المصرية فى شرق القناة عن قواعدها فى الغرب تمهيدا لحصارها وتدميرها بعد ذلك . وان كان العدو قد فشل فى تحقيق هدفه فى الأيام السابقة الا ان التفكير العسكرى السليم كان يقضى بسرعة حرمان العدو من استخدام ذلك الطريق العرضى تجنبا لأى مفاجئات قادمة .

كما كلفت تلك المفارز ايضا ان تمنع تدفق قوات العدو من الشرق الى الغرب عبر تلك المضايق والممرات ، وذلك تمهيدا لتحقيق المهمة

النهائية للقوات المسلحة ، فى الأيام القليلة التالية ، وفقا للخطة الموضوعة .

وقد احاط بهذا القرار مخاطر عدة ، كان اهمها خروج القوات من ستر غطاء صواريخ الدفاع الجوى المتمركز غرب القناة ، وتعرضها بالتالى لضربات العدو الجوية ، التى تلاحظ ازدياد شدتها وكثافتها ابتداء من ١٠ اكتوبر ، بفضل وصول الدعم الأمريكى لاسرائيل .. كما كانت ضرورة التمسك برءوس الكبارى على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وعدم اضعاف القوات الرئيسية الموجودة هناك او فى غرب القناة تشكل ضرورة ملحة بصفة كونها الضمان الأكيد لعدم فقد القوات المسلحة اتزانها الاستراتيجى او التعبوى فى هذه المرحلة الحرجة من المعركة الضارية .

ولذلك نصت التوجيهات الصادرة على استخدام مفارز صغيرة الحجم نسبيا ، ولكنها ذات قوة نيران كبيرة ، على أن تكون من خارج التكوين الأصلى للفرق المشاة الخمس التى كان عليها أن تستمر فى التمسك برءوس الكبارى .

وهكذا تقرر ان يتم الضغط شرقا بمفارز مدرعة وميكانيكية بقوة كتائب والوية . ويتم توفير حمايتها ضد طائرات العدو بواسطة وسائل الدفاع الجوى الأرضية من صواريخ ذاتية الحركة وصواريخ محمولة ومدفعية مضادة للطائرات ، وذلك بالاضافة الى مقاتلات القوات الجوية .

وفى الساعة ٠٦١٥ يوم ١٤ اكتوبر وجهت القوات الجوية ضربة جوية ضد اهداف العدو الهامة فى سيناء ، كما تم تنفيذ ضربة بالصواريخ التكتيكية ارض / ارض متوسطة المدى ، ضد مراكز سيطرة العدو ، ومحطات الاعاقة الالكترونية ..

وفى الدقيقة نفسها فتحت نيران اكثر من ٥٠٠ مدفع ميدان متوسط وثقيل وعربة اطلاق صواريخ ، واستمرت النيران تنهمر فوق رءوس العدو ومواقعه لمدة ١٥ دقيقة ، كى تمهد الطريق امام القوات المهاجمة ، وتنزل بالعدو العقاب الجسيم .. وبدات المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية الهجوم سعت ٠٦٣٠ يوم ١٤ اكتوبر ١٩٧٣ على النحو التالى :

- بقوة لواء مدرع وكتيبة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا الجبلى .
- بقوة لواء ميكانيكى فى اتجاه مضيق الجدى .
- بقوة لواءين مدرعين فى اتجاه المحور الأوسط .

– بقوة لواء مدرع في اتجاه المحور الشمالي .

وتقدمت المفارز في وجه ستارة عنيفة من نيران العدو وخاصة من اسلحته المضادة للدبابات التي اعتمد فيها على الصواريخ المضادة للدبابات الأمريكية الحديثة الصنع ، التي وصلت المسرح توا . ووجه العدو على عجل الجزء الأعظم من قواته الجوية لاحباط تقدم قواتنا وايقاف هجومها ، كما ركز نيران مدفعيته الثقيلة على مواقع صواريخ دفاعنا الجوي ، وخاصة تلك التي انتقلت الى القرب من القناة لمد الغطاء الجوي الى أبعد ما يمكن في الشرق ، وكذا تلك التي انتقلت الى داخل رؤوس الكباري لتوفير الدفاع الجوي عنها .

ورغم المقاومة العنيدة تمكنت المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية من التوغل داخل أوضاع العدو لمسافة تراوحت بين ١٢ – ١٥ كيلو مترا واوقعت به خسائر كبيرة ، واحتلت بعض مواقعه ، واثبتت بغير شك ان التفوق النوعي في القتال انما هو في جانب المقاتل المصري الجسور ..

وازدادت ضراوة المعارك حدة على امتداد يوم ١٤ اكتوبر ، واتسعت ساحة القتال فاشتملت على كل شريحة الأرض التي تقع الى الشرق من رؤوس كباري الجيشين الميدانيين ، وحتى ١٥ – ١٨ كيلو مترا شرقا ..

ورجحت كفة قواتنا ، فاسرع العدو يحول جهد قواته الجوية من الجولان الى سيناء ، لينقذ الموقف الميئوس منه ، الذي اصبحت قواته تعانيه . وفي الوقت نفسه ظهرت للقيادة الاتحادية دلائل قوية تشير الى تحريك العدو للجزء الرئيسي من احتياطياته الاستراتيجية وقواته المعبأة .. وخاصة من المدرعات ، صوب سيناء ..

وبنهاية اليوم ، وعندما ظهر جليا ان العدو قد تحول باهتمامه وقدراته الرئيسية نحو الجبهة المصرية ، بما خفف الضغط كثيرا على جبهة سوريا .. وبمجرد أن تأكدت المعلومات عن تحريك العدو لقوات برية جديدة من عمق اسرائيل صوب القناة ، قدرت القيادة العامة المصرية أن تطوير الهجوم شرقا قد حقق اهدافه العامة في هذه المرحلة، فاصدرت أوامرها بعودة المفارز داخل رؤوس الكباري لاعادة تنظيمها وتقويتها .. مع تعديل أوضاع بعض القوات ودعمها استعدادا لصد وتدمير الهجمات والضربات المضادة القوية المدرعة التي توقعت القيادة المصرية أن يبدأ العدو شنها خلال يوم ١٥ اكتوبر . وسرعان ما اثبتت احداث الجبهة صحة ما توقعته القيادة العامة المصرية ..

وخلال ذلك اليوم قامت القوات الجوية المصرية بتوفير الحماية الجوية للقوات البرية اثناء الهجوم ، وصدت هجمات العدو الجوية المركزة التي حاول توجيهها مرتين ضد مطاراتنا وقواعدنا الجوية (الساعة ٠٩٠٠ والساعة ١٥٢٠ يوم ١٤ اكتوبر) ولم ينجح العدو الا في اصابة ممر فرعي واحد في احد مطاراتنا .

ودارت في اليوم نفسه اروع معارك قواتنا الجوية حيث اشتبكت مقاتلاتنا (ستون طائرة ميج ٢١) مع تشكيل جوي معاد كبير ، وصل عدد طائراته الى ٧٠ – ٨٠ طائرة فانتوم وميراج فوق سماء الدلتا ، واسقطت للعدو في هذه المعركة خمس عشر طائرة فانتوم ، مقابل تسع طائرات ميج ٢١ سقطت احداها نتيجة تصميم طيارها على الاقتراب من الطائرة المعادية التي أصابها ليتم تدميرها من مسافة قريبة للغاية . فانفجرت الفانتوم واصاب انفجارها طائرتنا ، ولكن طيارها تمكن من القفز سالما ، وعاد الى قاعدته ليشترك في الطلعات التالية .

كما هاجمت قواتنا الجوية قوات العدو التي كانت تعترض هجوم قواتنا .. واخرجت لكل المهام حوالي ٥٠٠ طلعة / طائرة ، واسقطت للعدو ١٧ طائرة في معارك جوية عندما حاول مهاجمة أهدافنا في العمق .. وكان يوم ١٤ اكتوبر يوما مجيدا لقواتنا الجوية الباسلة ..

❋❋❋

واستمرت **قوات الدفاع الجوي** في توفير الغطاء الجوي للقوات البرية والقواعد الجوية بكفاءة ، وذلك في مواجهة تركيز العدو لمجهوده الجوي ضد الجبهة المصرية في محاولة لاحباط هجوم المفارز المصرية .

وقد قامت قوات الدفاع الجوي بنقل بعض كتائب الصواريخ الى شرق القناة ، لمد الغطاء الجوي لأبعد مسافة ممكنة الى الشرق ، توفيرا للحماية المنشودة لهجوم المفارز المصرية – وتمكنت قوات الدفاع الجوي خلال هذا اليوم من اسقاط ٢٠ طائرة للعدو .. وكان يوم ١٤ اكتوبر يوما مجيدا ايضا لدفاعنا الجوي العظيم ..

❋❋❋

اما **القوات البحرية** فقد استمرت في تأدية المهام المخططة لها، وقامت المدفعية الساحلية والصواريخ البحرية بقصف مواقع العدو وتجمعات قواته البرية والبحرية في شمال سيناء .. ووقع اشتباك

بحرى مع تشكيل معاد تسانده طائرات الهليكوبتر شمال ساحل الدلتا، وتم تدمير لنشين صاروخين للعدو ، كما اسقطت له طائرتان .

وقصفت القوات البحرية العدو ومراسيه فى جنوب سيناء ، كما نفذت الصاعقة البحرية اغارة خاطفة على منطقة الشيخ بيثان جنوب الطور. واستمرت الغواصات والمدمرات فى تأمين مواقعنا وقطع خطوط مواصلات العدو البحرية . وهكذا كان يوم ١٤ اكتوبر يوما مجيدا أيضا لقواتنا البحرية الجسور ..

معارك الدبابات الكبرى

المرحلة الثالثة للعملية الهجومية الاستراتيجية «بدر» . صد الهجمات المضادة المركزة

١٥ – ١٧ اكتوبر ١٩٧٣

عـام :

*** استمرت مصادر المخابرات والاستطلاع الحربية منذ العاشر من اكتوبر ١٩٧٣ تتابع تدفق الامدادات الأمريكية على اسرائيل .**

واتضح للقيادة المصرية ان الولايات المتحدة الأمريكية لا تعوض اسرائيل عن خسائرها فقط ، بل تمدها بدعم جديد من الأسلحة والمعدات الحديثة ، واهمها الدبابات والصواريخ الحديثة المضادة للدبابات ، وصواريخ الشرايك والقنابل التليفزيونية ، ووسائل الشوشرة والاعاقة الالكترونية ..

وبعد نجاح القوات المصرية فى تخفيف الضغط عن جبهة سوريا، واجبار العدو على تحويل مجهوده الجوى الرئيسى الى الجبهة المصرية،

وظهور بوادر انتقال اهتمام العدو من الجولان الى سيناء ، قرر الفريق اول أحمد اسماعيل دعم رؤوس الكبارى وتقويتها ، وتحويلها الى صخرة تتحطم عليها أمواج دبابات العدو التى توقع القائد العام ان القيادة الاسرائيلية سوف تدفع بها فى هجمات وضربات مضادة قوية خلال الخامس عشر من أكتوبر .

وصح ما توقعته القيادة المصرية . اذ نشط العدو تحشد فى مواجهة رؤوس الكبارى حوالى ٩ ألوية منها ٦ لواءات مدرعة وبعض الكتائب المستقلة من المشاة والدبابات والأسلحة الأخرى ، بالاضافة الى مختلف أنواع القوات . فضلا على احتياطياته التعبوية والاستراتيجية وقواته الجديدة التى استمرت فى تشكيلها فى الخلف . والتى شملت لواءين ميكانيكيين ولواء مظلات .

وركز العدو اعتبارا من ١٥ أكتوبر هجماته وضرباته المضادة القوية المتفوقة ضد رؤوس الكبارى على طول المواجهة ، ووجه جهوده الرئيسية بصفة خاصة ضد الجانب الأيمن للجيش الثانى الميدانى (اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة) .

واستمر العدو خلال الفترة من ١٥ الى ١٧ أكتوبر يشن الهجمات والضربات المضادة ضد اللواء نفسه . ويلقى بقوات جديدة الى المعركة مستغلا فيض الأسلحة الأمريكية التى اصبحت تصل اليه فى العريش بدلا من ميناء حيفا توفيرا للوقت فأمكنه ان يدفع اربعة الوية مدرعة جديدة لتعويض الخسائر الفادحة التى الحقناها به أثناء ضرباته المضادة ضد ذلك القطاع الضيق من خط الجبهة ..

لقد دفع العدو فى هذه المرحلة حوالى ١٢٠٠ دبابة ، هاجمت معظمها القطاع الأيمن للجيش الثانى الميدانى ، وتحطم خلال هذا القتال العنيف جزء كبير منها ، ومنى العدو بهزيمة سوف تبقى مرارتها فى حلقه لسنوات طويلة قادمة ..

الا ان العدو تمكن خلال الفترة نفسها من ستر عبور بعض القوات الصغيرة — حوالى سرية مشاة ميكانيكية وسرية دبابات برمائية — عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة عند مطار الدفرزوار المهجور ، مستغلا ظلام ليلة ١٥/١٦ أكتوبر ، بهدف تحقيق كسب معنوى يغطى به آثار الأعمال الحربية المجيدة للقوات المسلحة المصرية والسورية .. ويرفع به من معنويات الجيش والشعب الاسرائيلى ، التى كانت قد تدهورت وقتئذ حتى وصلت الى الحضيض تماما ..

سرد الأحداث الرئيسية للمرحلة :

تأكدت القيادة العامة المصرية من عزم العدو على شن هجمات وضربات مضادة قوية يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ لاحظت انه قد حشد ٩ الوية (منها ٦ لواءات مدرعة ، ٢ لواء ميكانيكى ، ولواء مشاة) فى مواجهة رؤوس الكبارى .. وتابعت القيادة المصرية نشاط العدو فى اعمال الاستطلاع بقوة على طول المواجهة ، لتحديد نقاط الضعف والاجناب المعرضة فى اوضاعنا ..

واستمر العدو خلال ذلك اليوم يشن الهجمات المضادة المحدودة الحجم والهدف لارهاق قواتنا ، كما انشأ خطوط صد فى مواجهة قوات رؤوس الكبارى لتثبيت باقى القوات .

واعتبارا من النصف الثانى من يوم ١٥ اكتوبر نشط العدو فى توجيه الضربات المضادة ضد رؤوس الكبارى جميعا ، وركز جهوده الرئيسية ضد الجانب الايمن للجيش الثانى (اللواء الايمن للفرقة ١٦ المشاة) ، ثم توالت هجمات العدو الليلية بوتيرة عالية .

واستمرت قواتنا تصد وتدمر تلك الهجمات ، ولم يتوقف العدو عن دفع قوات جديدة ضد اللواء الذى كان يحمى الجانب الأيمن للفرقة ١٦ المشاة المصرية ، الا أن هذا اللواء استبسل فى الدفاع واستمر يصد هجمات العدو المضادة ، ثم تحول الى حصار العدو وتدمير قواته ، واوقع به من الخسائر المؤكدة ما بلغ مقداره كتيبتى دبابات كانتا قد حاولتا التسلل داخل أوضاع اللواء الدفاعية ، عبر الأراضى السبخية شرق القناة ، خلال ليلة ١٥/١٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

وتوالت هجمات العدو الليلية بهدف تصفية راس الكوبرى فى هذا القطاع ، والاستيلاء على جزء من الضفة الشرقية للقناة ، لانشاء المعابر اللازمة لنقل جزء من القوات والأسلحة الى الضفة الغربية .. ولكن العدو لم يتمكن من تنفيذ هدفه هذا .. فلم ينجح الا فى دفع العناصر الأمامية للواء الأيمن الى الخلف لمسافة حوالى ٢ ـ ٣ كيلو مترا ولكن قوات الفرقة ١٦ المشاة سرعان ما استردت الأرض المفقودة قبل أن يبزغ فجر اليوم السابع عشر ، ثم أتمت تدمير قوات العدو فى مواجهتها بعد ذلك .

وتمكن العدو تحت ستر الهجمات المضادة الليلية من أن يدفع

بقوات صغيرة لا يتجاوز حجمها سرية المشاة الميكانيكية ، تركب حاملات افراد برمائية امريكية الصنع (عشر ناقلات م ١١٣) وسرية دبابات برمائية (من سبع دبابات) .. وتسللت تلك القوة الصغيرة تحت ستر الظلام عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة الى مطار الدفرزوار المهجور واختبأت داخل الأشجار والأحراش الكثيفة المنتشرة فى تلك المنطقة ..

ومع استمرار فشل العدو فى تصفية راس الكوبرى للواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة ، ومع تزايد خسائره ، وخاصة فى الدبابات والأفراد عمد الى دفع قوات مدرعة اضافية ، حتى بلغ اجمالى ما دفعه منها على التوالى اكثر من اربعة الوية مدرعة جديدة (أى حوالى ٤٠٠ - ٤٥٠ دبابة) . زجها للقيام بهجمات مضادة قوية ضد اللواء الأيمن نفسه المستبسل ، مع متابعة هجماته المضادة ضد باقى قواتنا فى رءوس الكبارى الأخرى ، بقوات جديدة طوال الفترة من ١٥ الى ١٩ اكتوبر حتى تمكن فى النهاية من دفع اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة نحو الشمال مسافة ٨ - ١٠ كم ..

ولكن العدو لم ينجح فى اى هجوم مضاد آخر ضد اى من رءوس الكبارى الأخرى ، بل فشلت جميع هجماته ، وتكبد فيها خسائر ضخمة للغاية . واستولت قواتنا على الكثير من المعدات الصالحة والأسرى .

وعلى الضفة الغربية للقناة قامت القوات الاسرائيلية المتسللة صباح السادس عشر من اكتوبر بالتسرب صوب مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، وهاجمتها بالنيران من بعد ، واسكتت البعض منها واحدثت بذلك ثغرة فى نظام دفاعنا الجوى ، استغلتها قوات العدو الجوية فى مهاجمة مؤخرة قواتنا ، وستر اعمال القوات المدرعة المتسللة ، التى اصطدمت ببعض القوات المصرية . فتمكنت من تدمير جزء من دبابات العدو ، واجبرت الباقى على الاختفاء فى منطقة الأحراش حول الدفرزوار .

وكانت القيادة المحلية فى موقع التسلل على يقين من قدرتها على القضاء على باقى قوة التسلل المعادية .. ولهذا دفعت قوة صغيرة كلفتها بالقضاء عليها . الا أن العدو استمات فى فتح الثغرة ودعمها . والقى بكل ثقله الجوى ضد أعمال قواتنا البرية غرب القناة . والتى كانت قد حرمت من غطائها الجوى بالصواريخ على النحو الذى فصلناه آنفا .

ودفع العدو فى مواجهة الثغرة على الجانب الشرقى للقناة بقوات مدرعة جديدة ، بلغ حجمها اكثر من اربعة الوية مدرعة - كما سبقت

الاشارة اليه - لتعمل ضد اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة .. الا ان هذه المدرعات الاضافية فشلت بدورها عدة مرات فى فتح الثغرة او دعم القوات التى تسللت الى الغرب .

وتضاربت البلاغات المرسلة من القيادات المحلية بشأن قوة وحجم واتجاهات وطبيعة عمل قوات العدو التى تسللت الى الغرب عند الدفرزوار ، ولم تفلح الهجمات المضادة التى شنتها القوات الاحتياطية المصرية الصغيرة هناك فى تدمير قوات العدو بالكامل وان كانت قد انزلت بها خسائر فادحة ، واستمر العدو فى دعم قواته فى الغرب وزيادة حجمها تدريجيا .

ولذا رات القيادة العامة المصرية ضرورة التدخل لانهاء هذا الوضع ، واصدرت أوامرها بعدم العمل بقوات صغيرة وقررت استخدام لواء كامل من الاحتياطيات الموجودة بالغرب لتدمير قوات العدو الموجودة هناك .

وكانت خطة القيادة العامة تقضى بحصار القوات المتسللة فى اضيق مساحة فى الغرب وسرعة تدميرها بواسطة ذلك اللواء من الاحتياطى ، والعمل فى الوقت نفسه على حرمان العدو من تدعيم قواته فى الغرب بقفل الثغرة ومداخلها من الشرق بواسطة قوات من الجيش الثالث تقوم بالهجوم شمالا على امتداد الشاطىء الشرقى لبحيرات المرة للاتصال بقوات من الجيش الثانى تهاجم جنوبا من داخل رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة .

وتم حشد نيران المدفعية ضد قوات العدو المنتشرة فى منطقة الدفرزوار وهاجمتها القوات الجوية بالمقاتلات القاذفة وطائرات الهليكوبتر .

ولكن لم يحقق الهجوم المضاد للواء المصرى (من الاحتياطى فى غرب القناة) النتائج المرجوة وذلك لتركيز العدو لجهوده الجوى لمساعدة قواته الموجودة هناك . ولانتشارها فى المناطق الزراعية وداخل الحدائق والأحراش ، ولاختفائها داخل المبانى الخالية فى المعسكرات المهجورة ، ولذا لم تتمكن قواتنا من حصر تجميع العدو الرئيسى وتدميره بالكامل . وان دمرت فى قتال باسل كل ما اصطدمت به من قوات العدو .

وعلى الضفة الشرقية لقناة السويس دفع لواء مدرع من داخل راس كوبرى الجيش الثالث للهجوم للاتصال بقوات الجيش الثانى والتمام اغلاق مداخل الثغرة من جهة الشرق .

وتقدم اللواء المدرع فى مواجهة مقاومة عنيفة معادية ، ازدادت ضراوة كلما اقترب من رأس كوبرى الجيش الثانى ، وذلك لتيقن العدو من فداحة خسائره لو أمكن للقوات المصرية اغلاق المداخل الشرقية المؤدية الى الثغرة . واستخدم العدو لايقاف هجوم هــذا اللواء كل الأسلحة المتوفرة لديه ، من قوات جــوية وقوات مدرعة وصــواريخ امريكية حديثة مضادة للدبابات ، ودار قتال رهيب بين اللواء المدرع المصرى وقوات معادية تفوقه حجما عدة اضعاف .

وبنهاية يوم ١٦ اكتوبر وصلت المسافة بين القوات التى دفعت من الجيشين الثالث والثانى الى حوالى اربعة كيلو مترات، ولكنها لم تتمكن من تحقيق الاتصال ، الذى استمات العدو لمنعه ، وتوقفت العناصر المتقدمة للواء المدرع المصرى جنوب النقطة الحصينة عند تل سلام على الضفة الشرقية للبحيرات المرة الكبرى .

وتوالت اشارات القادة الاسرائيليين ــ التى تمكنت اجهزتنا من التقاطها ــ تطلب الاذن بتأجيل تنفيذ المهام لفداحة الخسائر ، وخطورة الموقف ، وعنف النيران المصرية التى تسد فى وجــوههم كل طرق الاقتراب الى القناة ..

كان العدو يعلم ان قرار وقف النيران على وشك الصدور .. وبالتالى سوف يكون سريانه ضمانا له فى مغامرته التى بدت ملامح فشلها تلقى ظلالها الكئيبة على موقفه العــام ·· ولهذا قرر العــدو الاستمرار فى المغــامرة ، رغم ما حاق به من خسائر ، لعل ما يأتى به الغد القريب يخفف ولو قليلا من لوعة الهزيمة ، ويرفع ولو بقدر محدود من المعنويات المنهارة فى الجبهة وفى عمق الدولة ..

وعلى هذا استمر العدو يعزز قواته تدريجيا فى الغرب ، مبتدئا باستخدام المعدات البرمائية ، ثم المعديات .. وبعد ان تمكن من دفع العناصر الأمامية للواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة شمالا ·· أنشأ كوبريا استخدمه فى عبور قواته الى الغرب ..

وكان ذلك الكوبرى بعيدا عن طائلة أسلحة المشاة .. الا إنه كان فى متناول مدفعية الجيش الثــانى ، بل المدفعية بعيدة المدى للجيش الثالث ، وبفضل التعاون الوثيق بين قائد مدفعية الجيش الثانى (العميد أركان الحرب محمــد عبد الحليم أبو غزالة) وقائد مدفعيــة الجيش الثالث (العميد اركان الحرب منير شاش) امكنهما أن يحولا معبر الكوبرى الى جحيم مستعر ·· وغرق الكوبرى والدبابات فوقه ·

ودفع العدو ثمنــا غاليا لتلك المغــامرة .. اذ تحولت منطقة الدفرزوار شرق وغرب القناة الى مقبرة لمدرعاته وأفراده ، بل مقبـرة لوحدات كاملة من تنظيمه الميدانى .. وبعد عشرين يوما وصف جراتفيل وست مراسل رويتر الحربى أرض هذه المعركة .. فكان مما قاله عنها ·· « لا يزال حطــام الدبابات الاسرائيلية من طراز سنتوريون وعليهــا آثار الحريق والرماد مبعثرة على امتداد المنطقة الصحراوية المسطحة، ذكرى المعارك التى تمثل أروع الانتصارات المصرية » ..

وطوال تلك الفترة لم يتمكن العدو من تعدية ســوى لواء مدرع واحد ، استغل بقاياه الممزقة التى نجت من جحيم المدفعية المصرية فى عمل الكمائن فى منطقة الأشجار حول الدفرزوار ، وتشكل الدوريات الصغيرة (كل من ١ ــ ٢ دبابة ، ١ ــ ٢ فصيلة مشاة) التى داومت على التسلل الى مواقع الصواريخ المضادة للطائرات لاخلال نظام الدفاع الجوى ، وذلك باطلاق النيران على تلك المواقع من مسافات بعيدة .

وعلى امتداد تلك الفترة قامت بعض القوات المصرية من المشاة والدبابات الموجودة على الضفة الغربية . وبعض احتياطيات القيادة من عناصر الصاعقة والمظلات بالهجوم المضاد على قوات العدو المتسللة لحصرها وتدميرها ·· وأنزلت بالعـــدو خسائر ثقيلة · وتقاضت منه ثمنا غاليا جدا مقابل مغامرته الاستعراضية التى كان الجنرال اندريه بوفر المدير السابق للمركز الاستراتيجى الفرنسى أول من أطلق عليها اسم « المعركة التليفزيونية » ·

وركزت قوات العدو الجوية جهودها بعد ان حدثت الثغرة فى نظام الدفاع الجوى ، فتمكنت من انقاذ فلول العدو المبعثرة هنا وهناك بين الأشجار ، واحتمت تلك القوات الميؤس من وضعها داخل القرى والحدائق والأحراش ، وتجنبت الدخول فى قتال جدى مع القوات المصرية التى استمرت فى البحث عنها واصطيادها وتدمير ما تجده منها ..

وقامت **قواتنا الجوية** خلال هذه المرحلة بألف وخمسين طلعة لحماية الأهداف الحيوية والقوات البرية ، وصد الهجمات الجوية المركزة التى حاول العدو توجيهها مرتين ضد بعض المطارات والقواعد الجوية دون نجاح ، وكذا حماية قطاع بور ســعيد .. وكان تفصيل هذه الطلعات المخططة بحذق وجسارة ٩٥٠ طلعة مقاتلة ، ٩٠ مقاتلة قاذفة ١٠ طلعات هليكوبتر ·· كما قامت القوات الجوية بمهاجمة قوات العــدو شرق وغرب منطقة الدفرزوار ، وأغرقت كوبريا آخر للعدو

وقد تحملت القوات الجوية خلال تلك الفترة اعباء ثقيلة ترتب على نجاح العدو فى فتح الثغرة التى وان كانت قيمتها صغيرة ، الا انها على كل حال ثغرة فى نظام دفاعنا الجـوى . فى القطـاع الاوسط من الجبهة غرب القناة . وقد تمكنت قواتنا الجوية خـلال الفترة نفسها من اسقاط اثنتى عشرة طائرة للعدو ..

وظلت **قوات الدفاع الجـوى** ـ رغم خسائرها ـ تواصل تقديم الحمـاية الفعالة لقواتنا البرية من مواقعها غرب القنـاة ، وفى قطاع بور سعيد ، ورغم تركيز العدو الجوى لمجهود كبير هناك بغرض تدمير تجميع الصـواريخ المضادة للطائرات الموجودة به ، تمكنت قواتنا المسلحة فى هذا القطاع بالتعاون مع أهالى بور سعيد والسـلطات المدنية من استعادة كفاءة نظام الدفاع الجوى عدة مرات ، مما فاجأ طائرات العدو التى ظنت فى كل مرة انها قد قضت عليه القضاء المبرم الأخير .

ويكفى دفاعنا الجوى فخرا انه قد دمر للعدو ٤٤ طائرة خلال هذه المرحلة ..

واستمرت **القوات البحرية** فى تنفيذ مهامها فى البحرين الأبيض والأحمر ، فقامت بقصف منطقة راس سدر بالانشات المسلحة ، وصدت محاولات العـدو الكثيرة للاقتراب من منطقة بور سعيد وبعض مراسينا على البحر الأحمر ، كما دمرت مجموعة من الضفادع البشرية حاولت مهاجمة بعض القطع البحرية فى ميناء بور سعيد ..

وأغرقت القوات البحرية خلال الفترة نفسها لنشا مسلحا للعدو ، وأصابت لنشا آخر بعطب جسيم . واستمرت غواصاتنا ومدمراتنا فى فرض سـيطرتنا على مياه البحرين الأبيض والأحمر وقطع مواصـلات العدو البحرية ، وغلق موانيه ..

المعـــركة التـليفزيونية

المرحلة الرابعة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » .

تطور القتال غرب القناة

١٨ ـ ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣

عـام :

- **واخيرا جاءت المرحلة الرابعة من الحرب ، والتى دارت فيهـا أعمال القتال النشطة على الضفة الغربية لقناة السويس بصفة اساسية .**

وقامت قواتنا المسلحة خلال هـذه الفترة بحصر قوات العـدو التى نجحت فى العبور غرب القناة ، وتدمير عنـاصرها التى اقتربت من مدينة الاسماعيلية تهدف الى الاستيلاء عليها .. وتمكنت القوات المسلحة المصرية بالتعاون مع عناصر الدفاع الشعبى وقوات الشرطة والأهالى من حصر قوات العدو فى قطاع ضيق ملاصق للقناة شمال البحيرات المرة ، فى مناطق الأشجار والأحراش ..

وتأهبت القوات المصرية لتوجيه الضربة القاضية ضـدها عندما جاءها قرار وقف اطلاق النار الذى أصدره مجلس الأمن بمبادأة وضمان القوتين الأعظم ، وبتأييد من المجتمع الدولى كله ..

واعلنت مصر واسرائيل عن قبوله ليسرى منذ الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ اكتوبر ، واحترمت مصر القرار الذى كان ينص على انسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ .. واصرت على البدء فورا فى تنفيذ ذلك .. اما سوريا فقبلت ايقاف النيران يوم ٢٤ اكتوبر ..

ولكن العدو قبل القرار لأنه كان وقتها يترنح على شفا الهزيمة · وقبله أيضا لأنه يوفر له عنصر تأمين فى مغامرته المحفوفة بالمخاطر · التى قام بها ليسرق النصر من العرب ، ويحقق كسبا معنويا يغطى به آثار الأعمال الحربية المجيدة لقواتنا ـ ولهذا اظهر العدو رضاه بقرار ايقاف النار ، واضمر النية على المضى فى العدوان .. بل تمادى فى تعريض قواته للخطر ، واضعا نصب عينيه انه سريعا ما سوف يصدر قرار آخر بوقف اطلاق النار فيؤمنه من انتقام القوات المصرية .

سرد الأحداث الرئيسية :

قامت قوات الجيش الثانى المتمركزة فى غرب القناة وعناصر من احتياطيات القيادة العامة من المظلات والصاعقة باستعادة الساتر الترابى على الضفة الغربية فى مواجهة الثغرة عند الدفرزوار وشمالها ، ودمرت قوات العدو هناك · ووجهت أعمالا نشطة بوحدات من الصاعقة والمظلات جنوب ترعة الاسماعيلية وفى منطقة فايد ··

وركز العدو جهوده ضد القوات التى احتلت الساتر الترابى · والتى وان ابدت مقاومة بطولية ، الا انها اضطرت تحت ضغط العدو الى الارتداد شمالا ، بعد قتال عنيف وخسائر فادحة فى الجانبين ..

وحاول العدو اتمام الضغط والوصول الى مدينة الاسماعيلية لتحقيق نصر سياسى وعسكرى ، ولكن رجالنا استماتوا فى التشبث بالأرض ، وتعاونت عناصر المظلات والصاعقة والمشاة ، فأحبطت كل محاولات العدو لاقتحام مدينة الاسماعيلية ·

ونظمت عناصر الجيش الثانى الموجودة غرب القناة اوضاعها الدفاعية على النطاق الدفاعى الثانى غرب القناة وجنوب ترعة الاسماعيلية ، وذلك بواسطة احتياطيات الجيش الثانى ، وعناصر من احتياطيات القيادة العامة ، وتمت الاحاطة بقوات العدو المتسللة واحتوائها ، ومنع انتشارها شمالا أو غربا أو جنوبا ، تمهيدا لتدميرها فى مرحلة لاحقة ..

واعتبارا من ٢٠ اكتوبر عاود العدو محاولات التسلل بعناصر صغيرة فى اتجاه الجنوب الا أن قوات الجيش الثالث الميدانى بقيادة اللواء محمد عبد المنعم واصل تصدت له ببسالة منقطعة النظير ، وصدت كل محاولاته ، ودمرت قواته التى حاولت الانتشار صوب مؤخرتها ، وردت ما بقى منها على قيد الحياة صوب الشمال ..

واستمرت محاولات العدو طوال يومى ٢١ ، ٢٢ اكتوبر لمواصلة التسلل جنوبا ، ولكنه لم يحقق النجاح المأمول ، كما لم يشكل أى تهديد جدى على قوات الجيش الثالث سواء الموجودة منها فى راس الكوبرى شرق القناة أو الموجودة غربها) وذلك حتى بدا سريان قرار وقف اطلاق النار سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢ اكتوبر ·

وكان كل ما نجح العدو فى تحقيقه حتى ذلك الوقت هو تدمير عدد من مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، مما دفع القيادة المصرية الى سحب باقى الصواريخ المنتشرة فى المنطقة الملاصقة للجزء الجنوبى من قناة السويس ولا تتعرض للتدمير ، وللمحافظة على سلامة نظام الدفاع الجوى .

وقد ادت هذه الأحداث الى كشف الغطاء الجوى بالصواريخ عن قوات الجيش الثالث شرق القناة ، مما أتاح للعدو فرصة مهاجمتها بالقوات الجوية بتركيز شديد ، وتجاوزت طلعاته الجوية خلال يوم ٢٢ اكتوبر على الجبهة المصرية وحدها ٨٤٥ طلعة / طائرة ، الأمر الذى لم يحدث مثله طوال الحرب ..

وخلال تلك الفترة استمرت قوات الجيشين الثانى والثالث المرتكزة شرق القناة فى تثبيت العدو فى مواجهتها ، ودفعت ببعض المفارز لمهاجمة قوات العدو هناك ، ودارت بعض المعارك الصغيرة فى حجمها الكبيرة بالنسبة لما أوقعته فى العدو من خسائر ..

وتمكن اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة من شن الهجوم المضاد الذى استعاد على اثره بعض مواقعه التى كان قد اضطر لاخلائها سابقا .. وفشل العدو فى تصفية رأس كوبرى هذا اللواء منذ بدأ يضغط عليه فى الخامس عشر من اكتوبر حتى انتهت اعمال القتال فى ذلك القطاع يوم ٢٥ اكتوبر ..

وفى الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ اكتوبر بدأ سريان قرار وقف اطلاق النار . وكان موقف القوات المضادة كالآتى :

- قواتنا في رءوس الكباري متشبثة بمواقعها شرق القناة ، بكل من عناصر الجيش الثاني والجيش الثالث .
- قواتنا غرب القناة تحتل النطاق الدفاعي الثاني ، ورءوس المنطقة جنوب الاسماعيلية ، وقد تمت حصار قوات العدو في الضفة الغربية من القناة ، وشمال البحيرات المرة .

وبذا أصبحت قوات العدو المتسللة محصورة بين ترعة الاسماعيلية شمالا ، والنطاق الدفاعي الثاني غربا ، ومنطقة جبال شبراويت والشهابي وجبل جنيفة وجبل القط جنوبا ..

وخلال تلك الفترة **قامت قواتنا الجوية** بتنفيذ حوالى ٢٥٠٠ طلعة طائرة منها ١٨٠٠ طلعة مقاتلات ، ٣٠٠ طلعة مقاتلات قاذفة ، ٢٠٠ طلعة هليكوبتر ، و ١٠ طلعات استطلاع جوى ، الى جانب طلعات أخرى مختلفة ، كل ذلك بغرض حماية القوات البرية والقواعد والمطارات وتدمير قوات العدو المتسللة في المنطقة غرب وشرق البحيرات المرة والقناة ، وابرار عناصر الصاعقة داخل أوضاع العدو ، كما ركزت جزءا كبيرا من جهودها لحماية قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة ..

وتمكنت قواتنا الجوية خلال هذه الفترة من اسقاط حوالى ٣٢ طائرة وهليكوبتر للعدو ..

***

واستمرت **قوات الدفاع الجوى** في توفير الحماية للأهداف الحيوية بالدولة وللقوات البرية والمطارات والقواعد الجوية ، وصد هجمات العدو الجوية التى اشترك فيها ما يربو على ٢٤٠٠ طلعة / طائرة خلال هذه الفترة ..

وبعد سحب عناصر صواريخ الدفاع الجوى من المنطقة الملاصقة للقناة في قطاع الجيش الثالث أصبحت هناك ثغرة في نظام الدفاع الجوى عرضت قوات رأس الكوبرى في الجيش الثالث لهجمات العدو الجوية .. وتشجع طياروه بعد أن ابتعد الخطر الذى كان يردعهم .. ورغم ذلك فقد تمكنت قوات الدفاع الجوى من اسقاط حوالى ٧٠ طائرة خلال هذه المرحلة ..

واستمرت **القوات البحرية** في تنفيذ مهامها لحماية سواحل ومياه الجمهورية ، وتدمير سفن العدو البحرية وقطع خطوط مواصلاته .

وصدت المدفعية الساحلية اغارة العدو على منطقة الغردقة ليلة ١٩/١٨ اكتوبر ، وتم تدمير زورق وجماعة ضفادع بشرية ، كما صدت اغارة باللنشات المسلحة على الميناء ليلة ٢٢/٢١ اكتوبر ، وتم تدمير لنشين مسلحين .

وحدثت معركة بحرية بين لنشات صواريخنا ومدفعيتنا وصواريخنا الساحلية وبين تشكيل بحرى معاد من ٤ ـ ٦ لنش صواريخ حاول الاقتراب من خليج (أبو قير) وتم تدمير واغراق لنشين صواريخ (سعر) وأصيب لنش ثالث شحط بعد ذلك امام رشيد ودمرته القوات الجوية صباح اليوم التالي ، كما تم خلال هذه الفترة تدمير ١ ـ ٢ هليكوبتر حاولت انقاذ افراد هذه اللنشات المصابة ..

وفي مجال قطع طرق المواصلات البحرية المعادية تم اغراق سفينة تجارية واخرى (يحتمل انها كانت تحمل طائرات هليكوبتر) ، كما اغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل انها سفينة انزال جنود) وناقلة البترول الاسرائيلية ، سيروس ، حمولة ٤٦ الف طن ، عند مدخل خليج السويس ..

الانتشار فى حمى القرار

المرحلة الخامسة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » .

الاندفاع جنوبا وغربا

٢٣ ـ ٢٨ اكتوبر ١٩٧٣

عام :

- **قام العدو بعد سريان قرار وقف اطلاق النار ، وفى حماه ، بدفع جماعات صغيرة من الدبابات والمشاة الميكانيكية عبر المسالك الجبلية والمدقات صوب الجنوب . وحاولت بعض تلك القوات عدة مرات اقتحام مدينة السويس التى خالتها لقمة سائغة تطنطن بها دعايتها ..**

ولكن شعب السويس تكاتف مع قواته المسلحة فى الذود عن حياض المدينة الصامدة ببسالة منقطعة النظير ، وأباد عدة موجات للعدو ، وكبده خسائر كبيرة ، فرجع العدو عن هذه المحاولة الباهظة التكاليف .

واستمرت جماعات صغيرة للعدو تتدفق جنوبا وغربا ، مع تجنب المقاومات المصرية ، وتحاول الانتشار فوق اكبر مساحة ممكنة والوصول الى اماكن لم تكن موجودة بها عندما سرى قرار وقف اطلاق النار للمرة

الاولى (القرار رقم ٣٣٨ لمجلس الأمن) . وكانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تهدف من وراء ذلك الى الوصول خلف قواتنا لتقطع خطوط امداداتها ومواصلاتها .. وهكذا تداخلت القوات المتضادة ، واختلطت بعضها بالبعض الآخر اختلاطا شديدا ..

واستمرت القوات المصرية فى حصر قوات العدو ، ومنع انتشارها صوب الشمال او الجنوب أو الغرب ، كما استمرت فى تدمير كل ما تعثر عليه من مفارز معادية منتشرة فى الجيب المعادى غرب القناة وشرقها حتى حل يوم ٢٥ اكتوبر فتوقفت الأعمال القتالية النشطة باعلان اسرائيل وقف اطلاق النار وان استمرت بشكل محدود فى القطاع الجنوبى بجبهة قناة السويس حتى الساعة ١١٢٢ يوم ٢٨ اكتوبر عندما بدأت قوات الطوارىء الدوليه في الوصول الى مشارف مدينة السويس للفصل بين المتحاربين .. فهدأ القتال الى حين ..

سرد الاحداث الرئيسية :

عندما وافقت جمهورية مصر العربية على قبول قرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة فى اعتبارها احتمال ان يعبث العدو بهذا القرار ، ولهذا نصت توجيهات العمليات التى اصدرتها فى الساعة ١٧٢٠ يوم ٢٢ اكتوبر الى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة على الآتى :

* « بناء على قرار مجلس الأمن ، وموافقة جمهورية مصر العربية ، بوقف اطلاق النار ، وبناء على اوامر القائد العام للقوات المسلحة يوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ١٨٥٢ اليوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ اذا التزم العدو بوقف اطلاق النار . جميع القادة مسئولون عن اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لتأمين قواتهم بما فى ذلك المفارز المتقدمة . تبقى القوات المسلحة فى الحالة الكاملة للتأهب لحين صدور تعليمات أخرى » .

وعلى الجانب الآخر كانت القيادة الاسرائيلية تضمر شيئا خبيثا .. سوف تكشف دوافعه اذا ما رجعنا الى ملابسات اتخاذ قرار المغامرة الاسرائيلية غرب القناة وتأثير قرار وقف اطلاق النار عليها .

لقد قررت القيادة الاسرائيلية القيام بتلك المغامرة الخطرة لتحقيق عدة اهداف أهمها :

- تحويل « تيار الحرب » لتأخذ اسرائيل مبادرة الهجوم .
- تغطية آثار النصر العسكرى الباهر للقوات المسلحة المصرية باقتحام قناة السويس واجتياح خط بارليف ، وتحويل الأنظار عن الصدمة التى تلقاها الجيش الاسرائيلى .
- تقوية الروح المعنوية بين القوات الاسرائيلية التى تعرضت لهزائم ساحقة فى المراحل الأولى للحرب .
- رفع الروح المعنوية للشعب فى اسرائيل واستعادة ثقته فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

ووضعت القيادة الاسرائيلية في اعتبارها ان تنفيذ تلك المغامرة قد يؤدى الى حدوث ارتباك وفشل فى السيطرة العسكرية المصرية وان ادارة القتال غرب القناة قد يضطر القيادة المصرية الى سحب أجزاء من قواتها من رءوس الكبارى الصامدة فى الشرق مما يسهل مهاجمتها بعد ذلك ، كما أن طريقة القتال هناك توفر الفرصة للمدرعات الاسرائيلية القيام باعمال المناورة والتطويق .

واخيرا فقد قدرت القيادة الاسرائيلية ان اى نجاح تحصل عليه غرب القناة امر بالغ الاهمية مهما كان محفوفا بالمخاطر ، ذلك لأن الدول الكبرى لن تسمح باستمرار الحرب طويلا ولابد ان يتوقف اطلاق النار فى الجبهة خلال أيام قليلة .. ومن المفيد لاسرائيل سياسيا ان تكون لها قوات غرب القناة لاحداث حالة من التوازن فى الموقف السياسى العسكرى الطارىء .

وكان أخشى ما تخشاه القيادة الاسرائيلية أن تنجح الجهود السياسية فى اصدار قرار وقف اطلاق النار فى المسرح وشيكا ، ولهذا كانت شديدة الرغبة فى اتمام عمل عسكرى ما ، خاصة وقد توفر لها سيل منهمر من المعونات العسكرية الأمريكية عوضها عن خسائرها السابقة وزاد من قدراتها الهجومية .

وبعد ان اكد الاستطلاع الجوي الأمريكى ان القوات الرئيسية للفرقة المدرعة المصرية التى كانت ضمن الاحتياط الاستراتيجى فى الغرب قد عبرت الى سيناء يوم ١٣ اكتوبر ١٩٧٣ لتطوير الهجوم شرقا

وتخفيف الضغط على سوريا .. اطمأنت القيادة الاسرائيلية الى الموقف السائد فى المسرح ، واصدرت اوامرها ببدء تنفيذ المغامرة ..

وحددت لها المهام التالية

- فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرى تتيح للطيران الاسرائيلى ان يعمل بشيء من الحرية فوق القوات المصرية المتمركزة فوق رءوس الكبارى .
- احداث اثر نفسى عميق على التفكير العسكرى المصرى .
- الاحتفاظ بمواقع فى الغرب يمكن ان يحميها وقف اطلاق النار ويغطى مخاطرها ، كما تصلح للمساومة السياسية فيما بعد .

وسارت احداث التسلل الى غرب القناة كما سبق ذكره الى ان صدر قرار وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

وما ان صدر هذا القرار حتى اتضح للقيادة الاسرائيلية انها رغم الخسائر الفادحة والثمن الباهظ الذى تكلفته ــ فانها لم تحقق اى هدف من اهدافها المنشودة .

فهى لم تنجح حتى صدور القرار فى ان تفتح ثغرة ذات قيمة فى نظام الدفاع الجوى المصرى بالصواريخ ، ولم تستول على اى من مدن القناة المطلة بها ، ولم تهز أو تربك القيادة المصرية ، ولم تحدث فقدا فى الاتزان الاستراتيجى كما كانت ترجوه ، ولم تستدرج قوات كبيرة من رءوس الكبارى شرق القناة ، ولم تحقق تهديدا ما لأى من طرق الامداد والمواصلات .

بل اخطر من ذلك كله أن وضع قواتها فى غرب القناة كان معرضا ومكشوفا الى حد خطير بما يهدد بكارثة عسكرية اذا اشتعل القتال مرة أخرى ، خاصة وأن القوات المسلحة المصرية تحيط بها من أغلب الاتجاهات .

وعلى ذلك فقد اضمر العدو منذ الوهلة الأولى ان يعبث بقرار وقف اطلاق النار ، ويخرج على المواثيق الدولية .

وعقب وقف اطلاق النار مباشرة بدأ العدو محموما يدفع قوات جديدة عبر القناة الى الغرب ليدعم قواته المحصورة هناك مستغلا احترام

القوات المصرية لقرار وقف اطلاق النار وعدم تهديد المعابر بالتالى او التدخل لمنع العبور بالنيران ..

وفى الساعة ٢١٤٩ يوم ٢٢ أكتوبر أى قبل أن تنقضى ثلاث ساعات على قرار وقف اطلاق النار ــ التقطت أجهزة استطلاعنا أوامر لاسلكية أصدرتها القيادة الاسرائيلية الى قواتها تحضها على الاسراع فى العبور الى غرب القناة ، لأن الموقف خطير ويهدد بكارثة ..

ومنذ الساعة ٢٢٥٠ بدأ تسرب العدو الى الجنوب عبر المسالك والمدقات الجبلية بقوات صغيرة مع تجنب الاصطدام بالقوات المصرية الموجودة هناك ، ودون الاقتراب من قواتنا الرئيسية . وانتشرت القوات جنوبا . ثم بدأت تلك المفارز الصغيرة تناوش بعض مواقع الصواريخ المصرية منذ الساعة ٠٢٠٠ صباح ٢٣ أكتوبر .

وخلال يومى ٢٣ و ٢٤ أكتوبر استمرت قوات العدو تنتشر جنوبا نحو مدينة السويس وطريق الامداد والمواصلات الرئيسى الذى يربطها بالقاهرة .

وحاول العدو اقتحام المدينة أول مرة يوم ٢٣ أكتوبر ليعوض بها فشله الذريع أمام الاسماعيلية الا أن فأله خاب وردته المدينة الباسلة عنها مدحورا . وتصدت له المدينة بقوات من الجيش والشعب هزمته شر هزيمة وردته عنها .. فتابع الانتشار صوب الجنوب .. وتسللت بعض عناصره الى منطقة الأدبية التى لم يكن بها سوى عناصر ادارية قليلة للقوات البحرية .

وفى الساعة ٠٥١٠ يوم ٢٤ أكتوبر افاد قائد قوات الطوارىء الدولية بأن وزارة الدفاع الاسرائيلية تطلب الموافقة على وقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٠٧٠٠ يوم ٢٤ أكتوبر ــ ووافقت القيادة العامة المصرية على ذلك واصدرت أوامرها بأن تلتزم جميع التشكيلات والوحدات بايقاف النيران فى هذا التوقيت اذا احترم العدو كلمته .

ولكن العدو لم يحترم عهوده مرة أخرى اذ ركز قصفه الجوى على قوات رأس كوبرى الجيش الثالث ، ثم حاول اقتحام الأدبية فى الساعة ٠٦٥٠ .. واستماتت رجال الأدبية فى الدفاع عنها ، بالتعاون مع بعض أفراد حرس الحدود ..

وعندما وصلت الساعة ٠٧٠٠ وهدأ اطلاق النيران ــ توقفت دبابات العدو بلا حراك أمام الأدبية وتظاهر العدو بحبس نيرانه ثم اندفع فجأة

الى داخل الأدبية بمجرد أن رأى مراقبى الأمم المتحدة يقتربون من المنطقة فى الساعة ٠٩٥٥ حتى يثبت وجوده المسبق هناك ٠

واستمرت بعض العناصر الصغيرة من قواتنا تتمسك بجزء من منطقة الأدبية قرب الساحل خلف العدو لمدة سبعة أيام بعد وقف اطلاق النار الأخير ٠٠ حتى امكنهم اقناع المراقبين الدوليين باثبات وجودهم هناك ٠

وفى الشمال حشد العدو قوة كبيرة من الدبابات حاول بها ان يقتحم مدينة السويس فى الساعة ١٠٥٥ يوم ٢٤ أكتوبر ٠٠

ولم تكن تلك المحاولة مفاجئة للقوات المصرية اذ توقعت الغدر من العدو وتكرار محاولة الاستيلاء على مدينتهم الصامدة ٠ وكانت هناك عناصر قوية من أطقم اقتناص الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات دفعها قبل ذلك العميد أ ٠ ح يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ المشاة الموجودة برأس كوبرى الجيش الثالث بمبادأته الشخصية لتقوية الدفاع عن السويس ، كما عاونتها مدفعية الفرقة ١٩ المشاة من الشرق ٠

وتصدت قوات المدينة الصامدة لقوات العدو فدمرت له عددا كبيرا من الدبابات ٠ واستمر القتال ، فدار بالسلاح الأبيض حتى الساعة ١٧١٥ يوم ٢٤ أكتوبر ، وعندما حل الظلام آثر العدو الانسحاب وترك وراءه دبابات كثيرة محترقة وعدة جثث قتلى ٠٠

ومن الجدير بالذكر ان العدو قدم يوم ٢٠ يناير ١٩٧٤ كشوفا الى الصليب الأحمر باسماء قتلاه الذين لم يتمكن من العثور على جثثهم أو سحبها من جبهة القتال ٠٠ واشتملت تلك الكشوف على أسماء ٧٧ ضابطا و ٢٣ طيارا و ٦٩٩ جنديا ومدنى واحد ٠٠

ويتضح من تلك الكشوف ان قادة الهجوم الاسرائيلى على مدينة السويس يوم ٢٤ أكتوبر قد فتكت بهم المدينة عن بكرة ابيهم (وهم الرائد يورى آريل والنقباء موشى آدينو ، يتسحاق حوشمان ، اسرائيل مندلسون ، آمور زاهار ، كارمى آدلر) ٠

وفى الجنوب حاول العدو بعد ظهر يوم ٢٤ أكتوبر مهاجمة المنطقة جنوب الأدبية ، الا أن قوات حرس الحدود المتمركزة هناك تصدت له ببسالة بالتعاون مع عناصر من القوات المغربية الشقيقة فارتد العدو شمالا ٠٠ ولم يجرؤ مرة أخرى على الانتشار جنوب الأدبية ٠٠

ومع صباح يوم ٢٥ أكتوبر حاول العدو منذ الساعة ٠٨٠٠ مهاجمة

مدينة السويس مرة ثالثة ، فدمرت له المدينة عشرة دبابات فى قتال عنيف استمر حتى الساعة ١٥٥٠ ارتدت بعده بقايا العدو لتقف على مشارف المدينة ٠

وبعد اعلان اسرائيل مرة أخرى قبولها قرار وقف اطلاق النار الثانى (قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩) ابتداء من ٢٥ أكتوبر ، استمرت القوات الاسرائيلية حتى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر تمنع دخول المراقبين الدوليين أو عناصر قوات الطوارىء الدولية الى القطاع الجنوبى من الجبهة حول السويس لاثبات وجود القوات المتداخلة هناك ٠٠

وخلال تلك الفترة استمرت القيادة الاسرائيلية تدعم قواتها غرب القناة ، وتحشد قوات كبيرة لتهاجم بها المقاومات المصرية الصغيرة المتداخلة مع قواتها ٠

وأبدت عناصرنا الصغيرة المنتشرة فى أرجاء المنطقة شجاعة فائقة - اذ ظلت تقاتل بعيدا عن قواتها الرئيسية ، دون امداد وفى مواجهة قوات أكبر منها عددا ٠٠

وتمكنت قوات العدو من القضاء على جزء منها ، ولكن الباقى خاض قتالا مجيدا ضد العدو الذى يحاصره من كل جانب حتى تمكن من كسر هذا الحصار ، وانضم الى قواتنا الصامدة حول السويس وفى داخلها ليحولها الى قلعة منيعة تتحطم على أسوارها كل محاولات العدو لاكتساب أرض جديدة ، أو الاقتراب من المدينة ٠٠ على حين ظل البعض الآخر يتمسك بمواقعه الى أن انسحب العدو يوم ٢١ فبراير ١٩٧٤ ٠

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٨ أكتوبر حاول العدو للمرة الأخيرة اقتحام مدينة السويس ، وتحطمت تلك المحاولة على صخرة الصمود العظيم وبفضل الكمائن المضادة للدبابات ، وأطقم اقتناص الدبابات ، التى دفعتها الفرقة ١٩ المشاة لتامين مداخل المدينة ، بالاضافة الى القوات الأخرى التى تؤمن المدينة ذاتها من هذه الفرقة ، ومن الدفاع الشعبى والشرطة والأهالى البواسل ٠

وفى الساعة ١١٢٣ بدأ وصول مقدمات قوات الطوارىء الدولية ٠ واتخذت مراكزها بين القوات المتحاربة عند مشارف المدينة فى تمام الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ أكتوبر ٠٠ فهدأت النيران الى حين ٠

هكذا تمكنت القوات الاسرائيلية من توسيع الجيب الاسرائيلى غرب القناة فى حمى قرار وقف اطلاق النار ٠٠ واستطاعت بالغش والخداع أن

تزيد من مكاسبها فى الأرض بمقدار يزيد على ضعف ما كانت تحتله عندما سرى قرار وقف اطلاق النيران يوم ٢٢ اكتوبر ·

ولكن هل تمكنت اسرائيل بذلك ان تحقق ما كانت تهدف اليه !

لقد أمكن للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى حمى قرار ايقاف النار ان تنشر قواتها على مساحة واسعة من الأرض غرب القناة ··

ولكن هذا العمل وضع تلك القوات فى موقف بالغ الضعف عظيم الخطر ، اذ اصبحت تلك القوات ذاتها تشكل جيبا هشا عديم الفاعلية والتأثير ، كما اجبر المؤسسة أن تستمر فى تعبئة القوات المسلحة الاسرائيلية لمدة طويلة بعد ذلك ، رغم ما فى هذا الاجراء من أضرار لا يستطيع الاقتصاد الاسرائيلى احتمالها وتعانى منها الحياة اليومية فى اسرائيل على وجه الخصوص ·

فضلا على أن القيادة العسكرية تكون بذلك قد زجت بقوات كبيرة الى مسرح حرب طويلة الأمد على عكس العقيدة التى تعتنقها منذ أنشأت جيش الدفاع ·

كما تكون قد ورطت هذه القوات داخل عرين حرب الاستنزاف الذى عانت من خسائرها الأليمة فى المكان نفسه ـ امبراطورية لم تكن تغرب عنها الشمس وذلك منذ عشرين عاما بالضبط ، واجبرها المصريون على الجلاء عن منطقة قناة السويس ، اذ اصبح ثمن بقائها أبهظ من خسائر جلائها ·· والشئ نفسه انطبق على جيب اسرائيل الهش ·· ولكن بصورة أشد ··

بعد القرار

● لقد كانت اسرائيل تخشى دائما ان تتورط فى حماقة عسكرية غرب قناة السويس ، تحف بها مخاطر عديدة ، فتعانى قواتها من الامتداد البعيد باكثر مما يتحمله الجيش الاسرائيلى ، وتقترب من الكثافة السكانية المصرية ، وتثير الرأى العام العالمى وتتسبب فى ادانة الضمير الحر لها بالعدوان والاجرام ·

ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية أقدمت ـ لأسباب عدة ـ على القيام بتلك المغامرة ، التى نجحت لأسباب مختلفة لم ترد أصلا على مخيلة من خططوها ولم يحمها من الابادة الا نفس قرار ايقاف النار !

وبعد القرار ·· أصبح وضع القوات الاسرائيلية فى الثغرة خطرا يهددها بكارثة فقد حشدت القيادة الاسرائيلية فى الثغرة سبعة ألوية كاملة كانت فى حقيقة الأمر ، وكما أكد حاييم بارليف رئيس الأركان العامة السابق ، مجرد رهينة يسهل أسرها بهجوم مركز من القوات المصرية من اللحظة التى تتم فيها حشد قوات جديدة من المشاة والمدرعات والمدفعية ، لتحكم بها الحصار الكامل حول هذا الجيب الهش ·

وزاد من سوء موقف تلك القوات الامتداد الكبير لخطوط مواصلاتها

الى قواعدها فى اسرائيل ووقوع معبرها الى الغرب بين الجيشين الثانى والثالث وعدم اتزان أوضاعها التكتيكية والتعبوية غرب القناة .

وأصبح وضع القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية كلها ـ وليس فى الجيب فقط ـ بالغ الغرابة .

فقد عززت القيادة الاسرائيلية قوات الثغرة خوفا من الضغط المصرى المحتمل عليها ، حتى أصبح حجمها سبعة ألوية كاملة . ولحماية الطرق والمداخل المؤدية اليها فقد وقفت عن كثب منها خمسة ألوية أخرى اقتصرت مهامها على حماية المداخل الى الثغرة . هذا بالاضافة الى عشرة ألوية فى مواجهة رءوس كبارى الجيش الثانى والثالث . فضلا عن الاحتياطى الاستراتيجى الذى صار لزاما على اسرائيل استمرار الاحتفاظ به فى أقصى درجات التعبئة والاستعداد على النقيض تماما مما تنص عليه نظرياتها العسكرية أو يتحمله اقتصادها القومى . وبذا أصبح لاسرائيل فى سيناء حوالى ٢٥ ـ ٣٠ لواء تحت التعبئة الكاملة .

ويزيد الصورة وضوحا العلم بأن الاشتباك بالنيران وبأعمال القتال لم يتوقف طوال الفترة من ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ حتى تم الاتفاق على الفصل بين القوات فى ١٨ يناير ١٩٧٤ (أى ٨٦ يوما) سوى ثلاثة أيام فقط .

لقد بدأت هذه الاشتباكات بين القوات المصرية والاسرائيلية منذ ٣١ أكتوبر ١٩٧٣ واستمرت حتى يوم ١٧ يناير ١٩٧٤ وناهز عددها ١٥٠٠ اشتباك منها ٤٣٩ اشتباكا كبيرا .

فطوال شهر نوفمبر تابعت القوات المصرية تعديل أوضاعها التكتيكية لاتمام حصار العدو واحتلال هيئات ذات أهمية تكتيكية أفضل . وأدى ذلك الى حدوث ٩٣ اشتباكا كبيرا بنيران الأسلحة الصغيرة والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والدبابات .

وخلال شهر ديسمبر والنصف الأول من يناير نشط العدو فى اقامة التجهيزات الهندسية ، لاضفاء نوع من الاستقرار التكتيكى على موقفه التعبوى غير المتزن . وعبثت القوات المصرية تمنع العدو من اتمام تلك التجهيزات الهندسية وتستنزف قواه البشرية وتوقع الخسائر فى معداته وأسلحته .

فحدث ٢١٣ اشتباكا كبيرا خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، ١٣٣ اشتباكا كبيرا خلال النصف الأول من يناير .

وبدأت معظم الاشتباكات بنيران الأسلحة الصغيرة ثم تصاعدت الى

القصف بالمدفعية والهاونات ونيران الدبابات . وذلك عدا بعض الاشتباكات التى أديرت على شكل قصفات نيران مدفعية مركزة مخططة مسبقا .

وطول تلك الفترة استمرت قوات نسق أول الجيش الثالث المتمركزة شرق القناة صامدة كالصخر فى مواقعها .. بل نجحت فى استيلاء على مواقع جديدة . وتم توحيد قوات الفرقتين ٧ و ١٩ المشاة تحت قيادة العميد أركان الحرب أحمد بدوى وأطلق عليها اسم « قوات بدر » .

وخلال تلك الفترة استمرت قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية والقوات البحرية فى رفع كفاءتها القتالية وتنفيذ مهامها المخططة لحماية سماء ومياه الجمهورية .

وأسقطت قوات الدفاع الجوى سبعة طائرات للعدو حاولت اختراق مجالنا الجوى للقيام بالاستطلاع .

***

● وهنا يبرز سؤال هو ما هى حقيقة مغامرة الثغرة ، ولماذا أقدمت عليها اسرائيل ، وهل حققت بها ما كانت تهدف اليه ، وما هى حقيقة النجاح الاسرائيلى ـ اذا كان هناك نجاح .

وحتى يمكن فهم الأسباب والدوافع التى أدت بالقيادة الاسرائيلية الى اتخاذ قرار « الثغرة » والأهداف التى سعت الى تحقيقها ، فمن الضرورى أن نسترجع الموقف السياسى العسكرى الذى كان سائدا فى المسرح عندئذ وان نتذكر حالة الموقف المعنوى السياسى لشعب اسرائيل وقواتها المسلحة فى ذلك الوقت .

لقد ظلت اسرائيل ـ تساندها فى ذلك أجهزة الدعاية الصهيونية والامبريالية ـ ولمدة ست سنوات تمجد فى القوات المسلحة الاسرائيلية وتتغنى بذلك النصر الرخيص الذى حصلت عليه نتيجة عدوان يونية ٦٧ ، حتى بلغ الحال بجولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل أن تقول « لا أعرف أن هناك قوة عظمى تقع بين أمريكا غربا والاتحاد السوفيتى شرقا سوى اسرائيل » وبأحد القادة العسكريين الاسرائيليين الى أن يقول « ان القوات الاسرائيلية قادرة على احتلال المنطقة المحصورة بين المغرب والخرطوم وبغداد والكويت خلال بضعة أيام » .

كما استكانت اسرائيل الى مناعة المنطقة الدفاعية الحصينة التى أنشأتها عند قناة السويس والتى أطلق عليها اسم « خط بارليف » واطمأنت الى استحالة اقتحامها بواسطة القوات المسلحة المصرية فأخذت

ابواق الدعاية الصهيونية عامة والاسرائيلية خاصة تزيد من التأثير النفسى لمناعة ذلك الخط حتى قال قبل الحرب الجنرال اليعازر رئيس الأركان الاسرائيلى السابق « ان خط بارليف سيكون مقبرة الجيش المصرى » ٠

وبالاضافة الى تلك القناعتين الرئيسيتين كانت هناك دعاوى اخرى روجت لها اسرائيل خلال ربع القرن الماضى عن العرب وتخلفهم الحضارى والفجوة التكنولوجية الواسعة بين اسرائيل وبين الدول العربية ٠

وصدقت اسرائيل أكاذيبها ، وعاشت فيما بين عام ١٩٦٧ و١٩٧٣ م فى نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كانت تعيش فى عالم من الخيال لا صلة له بالواقع » ٠٠ (ابراهام كاتزير ـ رئيس دولة اسرائيل ـ ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ م) ٠

وجاء يوم السادس من أكتوبر ٠ واقتحمت القوات المصرية قناة السويس واخترقت خط بارليف ، واستولت على كل قلاعه ومواقعه الحصينة خلال ٢ ـ ٣ يوم ٠

وفشلت جميع هجمات وضربات العدو المضادة ، وتهاوت طائرات اسرائيل (ذراعها الطويل) ، وتكبدت خسائر فادحة فى الأفراد والمعدات لم تعرفها اسرائيل من قبل طوال تاريخها ٠٠ وكان من الممكن ان تؤدى الى انهيارها بالكامل لولا مسارعة الولايات المتحدة الأمريكية الى نجدتها ٠

وحدثت حالة من الارتباك ٠٠ واختل الاتزان على كل المستويات السياسية والعسكرية ، وفقدت القوات المسلحة ثقتها فى قياداتها ، وفقد الشعب ثقته فى قواته المسلحة التى « لا تقهر » ٠

ولهذا كان من الضرورى اللازم البحث عن كسب معنوى يرفع من الروح المعنوية للشعب والقوات المسلحة ويعيد الثقة المفقودة ، ويغطى آثار الأعمال الحربية المجيدة للقوات المسلحة المصرية والسورية ٠

اما من الناحية السياسية ، فقد طال أمد الحرب بالنسبة لاسرائيل ، وبدأت تدخل فى الأسبوع الثانى لها ٠٠

وبدأت المحاولات السياسية فى المجتمع الدولى ـ وخاصة بين القوتين الأعظم لايقاف اطلاق النار ٠٠ قبل ان يستفحل الصراع ويجذب اليه قوى خارجية مما قد يحوله من صراع محدود الى حرب عالمية صاروخية نووية ٠

وهال اسرائيل أن يوقف القتال وهى فى هذا الموقف الانهزامى الكامل ، وما سوف يترتب عليه حتما من انهيار المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، بل النظام الاسرائيلى كله ٠ فكان ان فكرت فى القيام بمغامرة تحفظ لها ماء وجهها ، ولكن يجب الاسراع بتنفيذها لأن ايقاف اطلاق النار ، فضلا عن أنه سوف يؤمنها ويضمن سلامتها الا انه سوف يعقبه ولا شك الدخول فى مباحثات ومفاوضات لايجاد حل للأزمة ٠٠ ولم تجد امامها الا ان تسعى لخلق وجود لها غرب القناة والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية ، لعله يعيد لها بعض التوازن فى الموقف السياسى العسكرى على الجبهة المصرية ويشكل عنصر ضغط فى مرحلة التفاوض ٠٠ خاصة وانه قد تم تحقيق هذا التوازن على الجبهة السورية ٠

ويجدر بنا هنا ان نعيد ذكر الأهداف والمهام التى حددتها القيادة الاسرائيلية لنستوضح مدى نجاح القوات الاسرائيلية فى تحقيقها ٠

الأهداف السياسية العسكرية :

لقد كانت اسرائيل تخشى دائما ان تتورط فى مغامرة عسكرية غرب قناة السويس تحف بها مخاطر عديدة ، ولكن القيادة الاسرائيلية راعت عدة عوامل أهمها :

١ ـ ان أى نجاح قد تحصل عليه غرب القناة امر يمكن احتماله مهما كان محفوفا بالخطر ٠ ذلك لأن المجتمع الدولى ـ والقوتين الأعظم بصفة خاصة ـ لن يسمح باستمرار الحرب طويلا ٠ ولابد ان يتوقف اطلاق النار فى الجبهة خلال أيام قليلة ٠٠ وفى هذا تأمين لوجود القوات الاسرائيلية غرب القناة ٠

٢ ـ ان الجهود السياسية قد دخلت مرحلة الاتصال المباشر بين القوتين الأعظم ـ وهذا يوحى بقرب صدور قرار وقف اطلاق النار ٠٠ ولذا يجب الاسراع باتمام عمل عسكرى ما ، يؤدى الى تحقيق مكاسب سياسية لاحداث حالة من التوازن فى الموقف السياسى العسكرى ٠

٣ ـ ان تنفيذ تلك المغامرة قد يؤدى الى حدوث ارتباك وفشل فى السيطرة العسكرية المصرية وان ادارة القتال غرب القناة قد يضطر القيادة المصرية الى سحب أجزاء من قواتها من رؤوس الكبارى الصامدة فى الشرق ، ان لم يكن كلها ، مما يسهل مهاجمتها بعد ذلك

وتصفيتها واستعادة الاوضاع السابقة على القناة ... أو بقول آخر تصفية المكاسب العسكرية المصرية .

وكل ذلك يجعلنا نستنتج ان الأهداف التى سعت لتحقيقها القيادة الاسرائيلية كانت ذات طابع سياسى ومعنوى أساسا ، ويمكن أن نجملها فى الآتى :

١ ـ تحويل « تيار الحرب » لتاخذ اسرائيل مبـادرة الهجوم وتحقيق توازن ما فى الموقف السياسى العسكرى .

٢ ـ تغطية آثار النصر العسكرى الباهر للقوات المسلحة المصرية باقتحامها قناة السويس ، واجتياحها خط بارليف .

٣ ـ تقوية الروح المعنوية بين القوات الاسرائيلية التى تعرضت لهزائم ساحقة فى المرحلة الأولى للحرب .

٤ ـ رفع الروح المعنوية للشعب فى اسرائيل واستعادة ثقته فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

حقيقة النجاح الاسرائيلى :

ومن مجرد سرد الأهداف السياسية والعسكرية والأهداف والمهام الاستراتيجية (التى سبق ذكرها فى الفصل السابق) يمكن الحكم على مدى الفشل الاستراتيجى الذى قابلته القوات الأسرائيلية . ولكن لزيادة التوضيح يمكن أن نورد الحقائق التالية عن اعمـال القتال غرب القناة حتى صدور القرار الثانى (٣٣٩) لوقف اطلاق النار :

١ ـ **لم تتمكن** القـوات الاسرائيلية من تدمير الاحتيـاطيات التعبوية والاستراتيجية المصرية غرب القناة . وظلت تلك الاحتيـاطيات تحاصر القوات الاسرائيلية وتمنع انتشارها الى الغرب أو الجنوب أو الشمال .

٢ ـ **لم تتمكن** من اجبار القيادة المصرية ـ عن طريق اربـاكها استراتيجيا او احلال الاتزان الاستراتيجى ـ على سحب قوات ذات شأن من رءوس الكبارى فى الشرق ، **وظلت قوات رءوس الكبارى صامدة فى مواقعها لم ينجح هجوم مضـاد واحد ضـدها ، بل كسب بعضها اراضى ومواقع جديدة خلال تلك الفترة .**

٣ ـ **لم تتمكن** القوات الاسرائيلية من الاستيلاء على اى من المدن الرئيسية لمنطقة القناة (الاسماعيلية أو السويس) .

٤ ـ **لم تتمكن** من اتمام حصار او تدمير او حتى مجرد التهديد بتدمير اى من التجميعين الرئيسيين للجيش الثانى أو الثالث . وان تمكنت من تهديد خطوط المواصلات البرية لقوات رأس كوبرى الجيش الثالث (قوات بدر) .

٥ ـ **لم تتمكن** القوات الاسرائيلية ـ خلال قتال دام لمدة أكثر من ثلاثة عشر يوما ـ من استعادة اجزاء حيوية من قناة السويس سوى جزء قليل من الشاطئ الشرقى طوله حوالى ١٠ كيلو مترا جنوب رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة .

مما سبق يتضـح فشل القوات الاسرائيلية فى تحقيق اى نجاح استراتيجي نتيجة اعمالها غرب القناة ، وان كانت قد نجحت فى تحقيق بعض النجاحات التكتيكية ، وخاصـة بعد صدور قرار وقف اطلاق النار الأول وانتهـاكه ـ ولكن لم تتمكن ايضـا من تحويلها الى نجـاحات استراتيجية .

ان تقييم نتائج أى حرب يجب أن يجرى على أساس المحصلة النهائية لها ، وفى نطاق التطورات العالمية التى أحدثتها ، وليس على أساس مكاسب تكتيكية محدودة .

وهنا يجدر بنا أن نشير الى أن اسرائيل بعد فشلها فى تحويل تلك النجاحات المحدودة الى نجاحات استراتيجية ، حاولت بتركيز دعايتها والطنطنة بها تحويلها الى **نجاح سياسى معنوى** . ويمكن القول انها قد نجحت فى تحويلها الى كسب معنوى فقط وذلك لعوامل عدة اهمهـا التاثير القوى للدعاية الغربية والصـهيونية والاسرائيلية التى حاولت تصوير تلك النجاحات التكتيكية المحدودة كنصر اسرائيلى مضاد يوازن النصر العربى الباهر .

ويجب هنا أن نشير الى أن اسرائيل ـ رغم محاولاتهـا المتعددة ـ لم تنجح فى تحويل تلك النجاحات التكتيكية المحدودة الى **نجاح سياسى** . وكان الفضل اساسا فى ذلك يعود الى القيادة السياسية المصرية والقيادات السياسية العربية المخلصة التى أمكنها نتيجة وضوح الرؤية السياسية العسكرية تقييم حقيقة النجاح الاسرائيلى التكتيكى المحدودة .

وأخيرا يجب علينا ان نؤكد أن ذلك النجاح التكتيكى المحدود الذى حققته اسرائيل قد خلق اوضاعا استراتيجية غير مواتية للقوات الاسرائيلية، كان من المؤكد أن تؤدى الى فشـل استراتيجى محقق اذا ما كانت قد

استؤنفت أعمال القتال النشطة مرة أخرى بعد تكوين التجميعات المصرية الملائمة ٠

فبعد قرار وقف اطلاق النار الأول (٣٣٨) كان من الضرورى للقيادة الاسرائيلية تأمين قواتها الموجودة بالغرب فى منطقة محدودة من الأرض محاصرة من جميع الجهات وذلك بمحاولة الانتشار والاستيلاء على قـدر أكبر من الأراضى ٠٠ واستتبع ذلك دفع قوات أكبر الى داخـل الجيب المحصور ٠

ونتج عن ذلك أوضاع استراتيجية غير ملائمة لاسرائيل :

- قوات كبيرة (حوالى ٦ ـ ٧ لواء) موجـودة فى منطقة محدودة من الأرض ومحاطة من جميع الجهات اما بموانع طبيعية أو صناعية أو بقوات مصرية ، ويسهل قطعها الى أجزاء صغيرة وحصرها ثم تدميرها بعد ذلك ، فضـلا على مصاعب الامداد والاخلاء وطول خطـوط المواصلات ، والاستنزاف اليومى للأفراد والمعدات ٠

- لتأمين تلك القـوات خصصت القيـادة الاسرائيلية قوات أخرى (٤ ـ ٥ لواء) لحماية المداخل الى الثغرة (عند الدفرزوار) ٠

- ولتثبيت رءوس الكبارى المصرية خصصت القيادة الاسرائيلية حوالى عشرة ألوية فى مواجهة رءوس كبارى الجيشين الثانى والثالث ، وذلك بالاضافة الى الاحتياطى الاستراتيجى الذى صار لزاما على اسرائيـل استمرار الاحتفاظ به فى أقصى درجاته التعبئة ٠

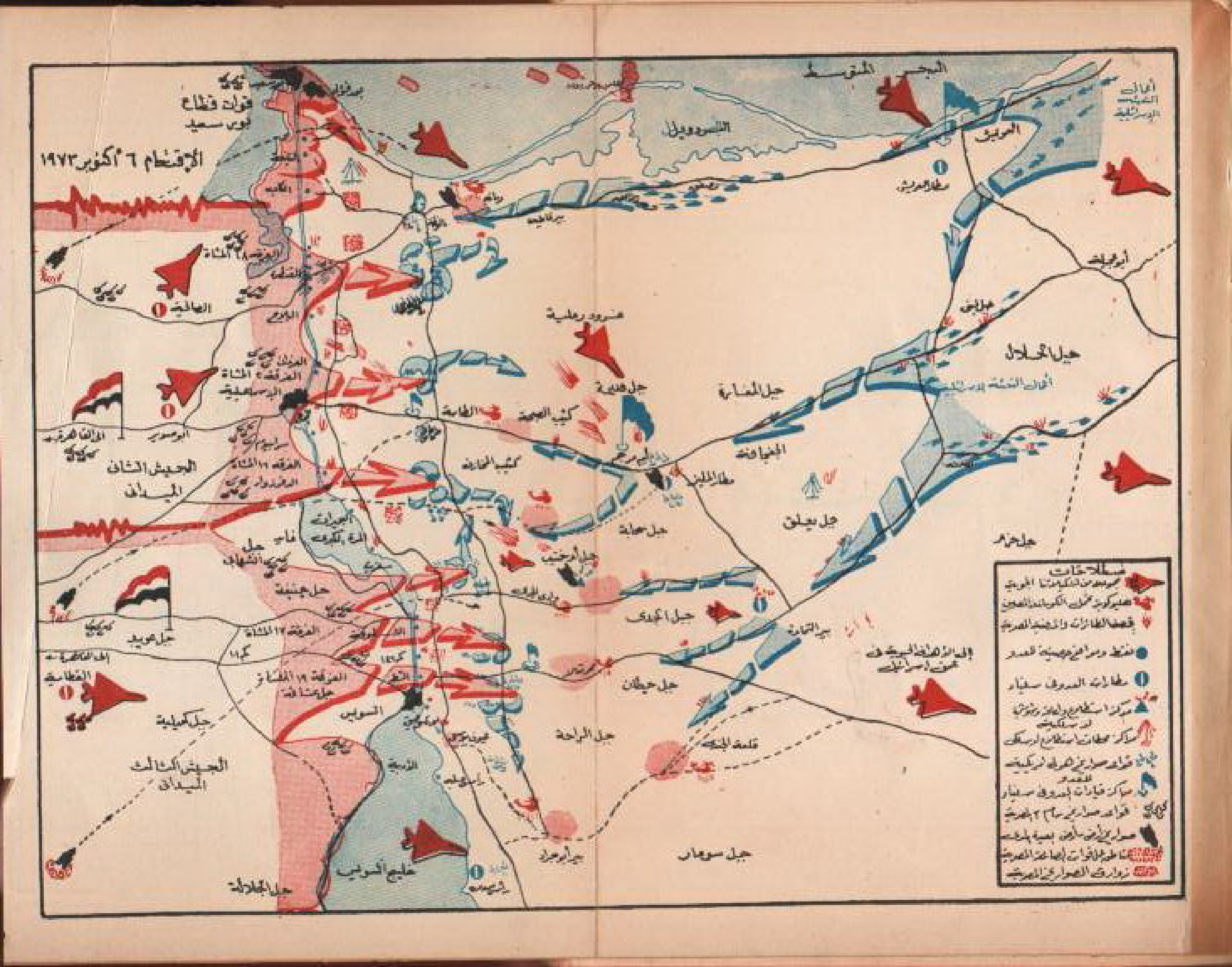
وبهذا كانت اسرائيل مضطرة للاحتفاظ بدرجة تعبئة عالية لقواتها المسلحة لمدة طويلة وذلك على النقيض تماما مع ما تنص عليه نظرياتها العسكرية أو يتحمله اقتصادها القومى ٠

فى النهاية تحولت القوات الاسرائيلية الموجودة غرب القناة من سلاح تضغط به اسرائيل علينا الى رهينة نضغط بها نحن على اسرائيل ، ومصدر استنزاف لأرواح ومعدات واقتصاد اسرائيل ٠

وجاء اتفاق الفصل بين القوات وظهرت حقيقة « الثغرة » ، « والنصر الاسرائيلى المضـاد » ، ورضخت اسرائيـل ـ بل طلبت ترك الثغرة ، وتركت ذلك الجزء الصغير من القنـاة الذى كانت قد تمكنت من اعادة الاستيلاء عليه عند الدفرزوار ٠ وسحبت قواتها شرقا بعيدا عن القناة ٠

وبدأت « حرب الجنرالات » فى اسرائيل ٠٠ وبدأ تبادل الاتهامات ٠٠ وعـرف الجميع حقيقـة تلك المغـامرة ومدى الخسـارة التى سببتها لاسرائيل ٠٠

واجتمعت كلمة أغلب المحللين والفلاسفة العسكريين على أن معركة الجيب الاسرائيلى غرب القناة لا تعدو فى جوهرها مظـاهرة صهيونية دعائية ٠٠ أصدق ما يطلق عليها هو اسم ٠٠ « المعركة التلفزيونية » ٠



البحر المتوسط
الاقتحام ٦ أكتوبر ١٩٧٣
قوات قطاع
بور سعيد
البردويل
العريش
مطار العريش
رمانة
بالوظة
القنطرة
أبو عجيلة
جبل الحلال
جبل المغارة
كثيب الحبشة
الطاسة
الإسماعيلية
الجيش الثاني
الميداني
الجفجافة
مطار المليز
جبل يعلق
الجيش الثالث
الميداني
السويس
خليج السويس
جبل جنيفة
جبل عويبد
جبل الجدي
بير الثمادة
جبل الراحة
قلعة الجندي
جبل سوماى
مصطلحات
مطارات العدو في سيناء

الباب الخامس

ذراعها المبتور

غـابـة الصـواريخ

قـوات الدفاع الجـوى

البناء

● عنـدما تولى الرجل منصبه قائدا لقوات الدفاع الجوى كانت الحقائق امامه واضحة وصارخة . فالقوات الجوية الاسرائيلية متفوقة بشكل واضح ، والطائرات من احدث طراز ، والطيارون على مستوى عال . لقد استغرق اعداد هذه القوات مابين ١١ ـ ١٥ عاما .. وثمة عامل آخر ، هو الثقة الكبيرة التى اكتسبتها قوات اسرائيل الجوية بعد جولة ١٩٦٧ ، عندما استطاعت فى ساعات قليلة ان تقضى على القوات الجوية المصرية ، وعلى وحدات الصواريخ سام ، ثم تسيدت بعد ذلك تماما على سماء مسارح العمليات .

وفى مقابل ذلك كانت قوات الدفاع الجوى المصرى تتالف من بضع مدافع ورشاشات مضـادة للطائرات من مخلفات التطور . وعدد ضئيل من بطاريات الصواريخ ، وقلة من اجهزة الرادار المتفرقة . لا تشكل باى معيار شبكة متكاملة للانذار .

وإذا كانت القوات الجوية الاسرائيلية قد امتدت أمامها فسحة الوقت الكافية للدراسة والاعداد منذ عام ١٩٥٦ ، وحتى شنت ضربتها المركزة المفاجئة صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، فان قوات دفاعنا الجوى – التى لم تكتمل بعد – كان عليها أن تتصدى لطائرات اسرائيل التى ملأها زهو النصر بالثقة ، فراحت تغير يوميا على مواقعنا ، وتقصف المدن والقرى العربية ، وتقتل الأطفال فى مدارسهم ، والعمال فى مصانعهم والمواطنين الآمنين فى مدنهم وقراهم . واستلزم كل ذلك أن تقوم قوات دفاعنا الجوى بمهام الاعداد والتخطيط والدراسة جنبا الى جنب مع مهام القتال .

انه عزم جديد كان على دفاعنا الجوى أن يشيده . ومثلما تضفى حرارة النار على الصلب قوة رفع التحدى من عزم الجنود ، وقوى من ارادة القتال بمثل ما استشرى الخطر واشتدت الآلام .

واثمر العزم والتصميم فى عام ١٩٦٩ عن جهاز دفاع جوى جيد التنظيم فى الجبهة ، وان لم يكن كافيا من حيث الحجم لانجاز كل المهام الملقاة على عاتقه وقتئذ .

ثم بدأت حرب الاستنزاف فى ذلك العام كما أسلفنا شرحه ، وعندما ارتفعت خسائر اسرائيل فى الافراد والمعدات نتيجة قصف المدفعية المصرية ، والاعمال الخاصة التى قامت بها قواتنا فى أعماق العدو ، دفعت الأركان العامة الاسرائيلية بقواتها الجوية – ذراعها الطويلة – فى المعركة . وبدأت هذه القوات تستدرج مقاتلاتنا الى معارك جوية فى محاولة لاخافتها ومنعها من الاشتراك فى القتال الدائر على الجبهة .

وركزت كل جهودها فى هذا العمل ، واستنبطت أساليب جديدة للكمائن الجوية ، واختارت لتنفيذها أكفأ طياريها بعد أن زودتهم بتدريب متواصل على هذه الأساليب . وبنجاح أسلوب الكمائن الجوية أمكن للقوات الجوية الاسرائيلية أن تقلل من فعالية مقاتلاتنا فى الجبهة .

ثم جاءت المرحلة الثانية ، وهى اخراج الصواريخ المضادة للطائرات من المعركة . ولتوفير مقومات النجاح لهذا العمل ، حصلت اسرائيل على خبرة القوات الجوية الامريكية فى تعاملها مع الصواريخ سام – ٢ فى فيتنام ، وركزت وسائل حربها الالكترونية لشل فاعليتها ، ثم قصفتها بتركيز شديد ليس الغرض منه مجرد التدمير فحسب ، بل الارهاب أيضا .

ففى احدى الغارات التى شنتها القاذفات الاسرائيلية (سكاى هوك)

على واحدة من بطاريات الصواريخ ، ألقت على هذا الموقع الذى لا تتجاوز أبعاده ٣٠٠ متر × ٣٠٠ متر حوالى ٥٠ قنبلة من العيارات ٥٠٠ ، ١٠٠٠ رطل ، أى ما يقارب ١٥ طنا من المتفجرات ، فى حين أن المعدلات المرعية لتدمير القوات فى هذه المساحة لا تزيد عن ٣ أطنان ، وكان ذلك يعنى أن هناك ١٢ طنا من المتفجرات تزيد على الحاجة ، ليس غرضها التدمير وانما الارهاب النفسى .

وواصلت قوات اسرائيل الجوية غاراتها على امتداد ثلاثة أشهر ، ركزت خلالها هجماتها ضد بطاريات الصواريخ فى الجبهة ، التى واجهت هذه الهجمات بشجاعة نادرة ، وأصرت على الاستمرار فى القتال مهما كانت التضحيات .

ولم تذهب التضحيات سدى فقد روت دماء شهداء الدفاع الجوى عام ١٩٦٩ الأرض التى أنبتت خبرة القتال الناجحة فيما بعد . وان تقرر فى ذلك الوقت اخراج الصواريخ من الجبهة الى حين .

الهرم الجديد

تشعبت أعمال قوات الدفاع الجوى خلال النصف الأول من عام ١٩٧٠ فى اتجاهات متعددة . فبينما كان المهندسون يقومون باقامة التحصينات اللازمة لبطاريات الصواريخ فى الجبهة ، كانت التعديلات الفنية الكفيلة بتحسين اداء معدات الصواريخ سام – ٢ تجرى بسرعة هائلة .

وانبرت الأطقم الجديدة تجرى التدريب على الصواريخ سام – ٣ التى تم التعاقد عليها مع الاتحاد السوفيتى . وفى الوقت نفسه كان هناك مجهود هائل يبذل فى تدريب باقى عناصر الدفاع الجوى المختلفة ، وفى تطوير أساليب التدريب لتساير أساليب القتال التى تم استنباطها من خبرة المعارك السابقة .

وفى هذه المرحلة امتدت المناقشات دون توقف ، فالكل يصر على ادراك الكمال . الا أن أهم الدراسات وأكثرها الحاحا كان يتركز حول أسلوب عودة الصواريخ الى الجبهة . وتبلورت الآراء فى وجهتى نظر :

• الأولى .. رأى يرجح القفز بالصواريخ الى المواقع الأمامية بالجبهة مباشرة ..

• والثانية رأى يفضل « الزحف البطىء » بها نحو الجبهة ..

واحتدم الصراع بين طائرات اسرائيل التي راحت تحطم محاولاتنا لانشاء مواقع الصواريخ ، وتقصف في الحاح القائمين بالعمل فيها ، وبين القيادة المصرية التي اصرت – وخلفها الجنود والمهندسون والعمال – على انشاء هذه التحصينات بأي ثمن ..

وتغلبت وجهة النظر الثانية ، التي تقضي بانشاء التحصينات على انساق ، بحيث يتم انشاء كل نسق لتتمركز به بطاريات الصواريخ تحت حماية الانساق الخلفية .

وقامت الانساق الاولى ، وتم احتلالها بالصواريخ في صمت ، دون ان تنتبه اسرائيل .. ولاستغلال هذا النجاح تقرر انشاء ثلاثة انساق اخرى تمتد الى منتصف المسافة بين القاهرة والجبهة . ووضعت لها خطة جديدة دقيقة طموحة .

فخلال ليلتين فقط تحتم ان يتم انشاء التحصينات الكافية لعدد كبير من مواقع صواريخ سام ٢ وسام ٣ ، وتجهيز مراكز القيادة اللازمة لها ، وانشاء المواصلات المختلفة ، وتمهيد الطرق والمدقات ، واقامة المعدات الهيكلية وتحريك بطاريات الصواريخ لاحتلال هذه المواقع ، وتحريك واحتلال جميع وسائل التامين الضرورية لها من مدفعية مضادة للطائرات ورشاشات ومختلف وسائل الانذار .

وبالمثل كان على مجموعات من مهندسي الالكترونيات ان تندفع خلال هاتين الليلتين أيضا لتضبط وتختبر وتولف هذا العدد الكبير من المعدات الالكترونية التي وجب أن تكون جاهزة للقتال خلال ساعات قليلة من وصولها الى مواقعها .

وتم كل ذلك في الوقت المحدد بدقة متناهية ، وعاد الفضل في ذلك الى الرجال ذوي العلم والخبرة والارادة التي لا تلين .

غابة الصواريخ

وفي صباح احد ايام شهر يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية تنطلق من كل حدب وصوب فتنزل بها الخسائر التي لم تكن في البال . وبكل الغيظ والحقد وجهت القيادة الاسرائيلية هجمة مركزة ضد بطاريات الصواريخ التي نبتت كالتين الشوكي في الصحراء ، الا ان هذه الهجمة لم تحقق للسلاح الجوي الاسرائيلي سوى المزيد من الخسارة .

وتكررت المحاولات لتدمير صواريخنا بمزيد من الفانتوم – الطائرة الاسطورة التي يصعب تدميرها – وبمزيد من اسلحة الاعاقة الالكترونية ومزيد من العتاد ، وباحدث اساليب وتكتيكات الاقتراب والهجوم ، ووسائل التدمير المتطورة ، واعمال المناورة والخداع . وكانت النتيجة دائما مزيدا من الطائرات الهاوية ومزيدا من الطيارين الأسرى .

وراحت اسرائيل تتباكى وتشكو من تآكل قواتها الجوية ، ثم احجمت كلية عن مهاجمة صواريخنا التي اطلقت عليها اسم « حائط الصواريخ » ، تارة «وغابة الصواريخ» تارة اخرى . واعلنت الولايات المتحدة عن عزمها على تعويض اسرائيل عن كل خسائرها في الفانتوم او سكاي هوك .

وخلال شهري يونيو ويوليو ١٩٧٠ استطاع عدد قليل من بطاريات الصواريخ – في تكامل مع عناصر الدفاع الجوي الاخرى – أن يدمر لاسرائيل مايزيد على ١٦ طائرة فانتوم ، اي ٢٥ ٪ من جملة ماكان متوفرا لديها وقتئذ من الطائرات ، وان يصيب عددا مماثلا منها ..

وبدأت قاعدة الهرم الجديد تتسامى نحو السماء ، ثم توقفت النيران في الجبهة الى حين .

وفي منتصف عام ١٩٧٢ صرح احد قادة اسرائيل بأن الدفاع الجوي المصري لم يعد يشكل اي خطر ، وانه قد تم اتخاذ جميع الاجراءات التي تجعله عديم الفاعلية .

اما في مصر فكانت توجيهات اللواء محمد علي فهمي قائد الدفاع الجوي لرجاله تركز على ان السلاح الجوي الاسرائيلي يزداد قوة يوما بعد يوم ، نوعا وكما ، بما يصله من طائرات فانتوم وسكاي هوك جديدة ، وبمعدلات كبيرة ، فضلا عن معدات الحرب الالكترونية المتطورة ، والصواريخ جو/ارض المتنوعة ، والقنابل التليفزيونية ..

وتؤكد ان على كل فرد من الدفاع الجوي أن يراقب بيقظة ودقة كل تطور او توسع في قوات اسرائيل الجوية ، حتى تتخذ التدابير الفورية لمجابهتها بالاسلوب العلمي السليم ، ويمكن مفاجأة اسرائيل بقوتنا الحقيقية عندما يحل اليوم المرتقب .

وجاء اليوم

في السادس من اكتوبر ١٩٧٣ عبر جنود مصر قناتهم تحت حماية الدفاع الجوي الذي حرم العدو من تفوقه الجوي ، ووقى كل الأهداف

ذات الاهمية العسكرية والاستراتيجية بالدولة ..

وجاءت الطائرات تحمل كل ما انتجته أحدث الترسانات من وسائل الدمار ، لتؤدب هؤلاء العرب الذين هبوا يستعيدون أرضهم وكرامتهم ، وتدق لحمهم وعظامهم كما وعدت رئيسة وزراء اسرائيل .

موجات من الطائرات تتلوها موجات .. تحاول تدمير المعابر وسحق القوات التي تعبر .. وامتدت ذراعنا الطويلة في ثقة وجبروت .. وحدث اتصال ملتهب بين الارض والسماء .. وانهالت طلقات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ سام ــ ٢ وسام ــ ٣ وسام ــ ٦ تحمي سماءنا .

ولم يكن سام ــ ٦ هو المفاجأة كما ذكرت أغلب وكالات الانباء ، ولكن المفاجأة الحقيقية كانت مقاتل سنة ٧٣ ، الذي استطاع ان يشيد هذه المعدات استيعابا وتطويرا واستخداما ، فتهاوت امامه الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء ، واحترقت وهي تندفع نحو الأرض .

وعندما غربت شمس ذلك اليوم المشهود ، كان حطام ١٣ طائرة فانتوم وسكاي هوك يجثم هامدا فوق الرمال الساخنة ، على حين كان عدد من الطيارين الاسرائيليين يدخلون قفص الاسرى .. هذا بالاضافة الى الطائرات التي اصيبت وسقطت بعيدا ، او تمكنت من اتمام رحلة العودة .

وكان اجمالي الطائرات التي هاجمت قواتنا حتى آخر ضوء السادس من اكتوبر ٤٤٦ طائرة .. وبفضل دفاعنا الجوي .. فشلت كلها في ان تحقق شيئا .. وهوت يد اسرائيل العليا .. وبترت ذراعها الطويلة .

وأصرت رياسة الأركان الاسرائيلية على احباط عملية العبور بأي ثمن ، ولهذا استمرت الطائرات تغير ليلا ، بعد ان اضاءت أرض المعركة بالمشاعل فحولت الليل الى نهار .. وانجزت مزيدا من القصف الجوي قابله مزيد من الطائرات تهوي محترقة . وكان اجمالي الطائرات التي هاجمت قواتنا ليلا ٢٦٢ طائرة .

وأشرقت شمس السابع من اكتوبر فازدادت الهجمات الجوية عنفا وكثافة ، وزاد تنظيمها .. وراحت تستخدم اسلوبا افضل ــ وان لم يكن اكثر جدة ــ وهو الاقتراب على ارتفاعات منخفضة جدا حتى تتجنب الكشف الراداري ، ثم ترتفع فجأة لتلقي بقنابلها وصواريخها ، قبل ان تقفل عائدة .

كان هذا هو ما حاولت الموجات الأولى اتباعه ، ولكنها لم تستطع

ان تنفذه طويلا ، اذ تصدت لها الصواريخ سام ــ ٧ القصيرة المدى ، والمصممة للتعامل مع الطائرات على الارتفاع المنخفض ، وكذا المدفعية والرشاشات م/ط ، واجبرتها على الارتفاع المبكر ، فوضعتها في أكثر الأوضاع مناسبة لتقتلها الصواريخ سام ــ ٦ وسام ــ ٣ وسام ــ ٢ ..

كانت الاسلحة تعرف اهدافها ، فتوجه ضدها ، طبقا لارتفاعها وسرعتها ، ولم يجد الطائرات الاسرائيلية فتيلا استخدامها للاعاقة والشوشرة ، سواء أكانت من مصادر ارضية ، أم من المستودعات الموجودة بنفس الطائرات المهاجمة ، فقد أمكن لمقاتل الدفاع الجوي بعد دراسات طويلة ان يتغلب على هذه الاعاقة .. ولكن كيف ؟

انه سر لا يريدون التصريح به اليوم حتى ينفعهم غدا ..

وهكذا سقط عدد كبير من طائرات العدو على حين استمرت عملية العبور تتدفق تباعا الى الضفة الشرقية ، لتحطم عددا أكبر من الحصون المعادية .

ولم يصب جندي واحد من جنودنا بنيران الطائرات الاسرائيلية ، كما لم تصب أي معدة من معدات الدفاع الجوي ولو بخدش طفيف حتى تلك اللحظة .. وكان ذلك نصرا رائعا بلا جدال .. اذ بترت ذراع اسرائيل الطويلة وطاش سهمها ..

وكان على القيادة الاسرائيلية ان تغير من تكتيكات الهجوم الجوي سريعا ، فاتخذت اسلوبا جديدا يقضي باقتراب الطائرات على نفس الارتفاعات المنخفضة ، وعلى مسافة بعيدة خارج مدى نيران الدفاع الجوي ــ كما كانت تتصور ــ ثم تلقي بالقنابل والصواريخ اثناء الصعود ، وتبتعد عن الهدف ..

ولكن الدراسة المسبقة للعدو الجوي وأساليبه المختلفة ، وتدريباته التي قام بها في الماضي ، وأسلحته التي استخدمها في المسرح ، جعلته مثل الكتاب المفتوح ، فكان ما يفعله معروفا لنا ، وكان رجالنا دوما على استعداد لهزيمته في كل لحظة .

وكانت الصواريخ سام ــ ٦ الخفيفة الحركة قد احتلت مواقعها في الأمام ، فزاد مدى المظلة التي حققها الدفاع الجوي للقوات البرية .. واسقطت عددا آخر من الطائرات الاسرائيلية ، وتهاوت كمية أخرى من المظلات الصفراء ، تهبط في ذلة لتدفع طياري اسرائيل الى أقفاص الأسرى ..

وجن العدو، فالعبور ينساب بغزارة ، والمعابر تزداد قوة ومتانة .. والكباري تتحول الى شرايين واوردة تتدفق عبرها اسباب الحياة بين الضفتين جيئة وذهابا ..

ولم يعد أمام اسرائيل الا ان تزيد كثافة الهجمات الجوية .. وكان ذلك عبثا ثقيلا ، اذ ادرك الطيارون الاسرائيليون اخيرا استحالة اختراق هذه الشبكة المتينة التى نسجها المقاتلون المصريون بدقة رائعة ، فراحوا يتخلصون من حمولاتهم المدمرة على المسافات التى تكفل الأمن لهم .. والأمان لنا .

ونجح العبور ، وتعززت المواقع ، ولكن القيادة الاسرائيلية لم تسلم بذلك ، فدفعت بالهجمات المضادة البرية التى كان لابد لها من تأييد جوى . وكان متوسط عدد الطائرات المعادية التى اقتربت لقصف قواتنا البرية شرق القناة يتراوح بين ٥٠٠ ــ ٦٠٠ طائرة يوميا ، اسقطت اغلب حمولتها بعيدا .. فيما عدا بعض الطيارين المغامرين الذين اقتربوا من نيراننا فدفعوا الثمن غاليا ، اذ فقدوا طائراتهم ووقعوا فى الأسر .

وأصدرت القيادة الاسرائيلية فى اليوم الاول للحرب أمرا مشددا الى طياريها بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة تقل عن خمسة عشر كيلو مترا ، وكان ذلك بعد أقل من ثلاث ساعات فحسب من بدء القتال .

وتراوح متوسط ما يفقده العدو يوميا من طائرات فى هذه المهمة ، اى عند مهاجمة القوات البرية شرق القناة ، بين ٤ ــ ٦ طائرات ، ونتيجة لذلك تلاشت كثافة الهجمات الجوية حتى وصل الدعم الامريكى لاسرائيل ، فعاد الخط البيانى الى الارتفاع ثانية بصورة ملحوظة ..

لقد حققت قوات دفاعنا الجوى غطاء جويا صلبا ، قاتلت قواتنا البرية فى حماه ، فحققت المعجزة ، وفازت بثناء الكافة واعجابهم العظيم .

الضربات الفاشلة :

وفى الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم الثانى للقتال ــ ٧ اكتوبر ــ قامت الطائرات المعادية بمهاجمة سبعة من المطارات المصرية المتقدمة ، هى بنى سويف وبير عريضة والقطامية والمنصورة وجناكليس وشبراخيت وطنطا ، وخصصت ٨ ــ ١٢ طائرة فانتوم وسكاى هوك لكل واحد من هذه المطارات . .

وكان هذا تكرارا آليا للخطة التى اتبعتها القوات الاسرائيلية

صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وحققت بها نجاحا ساحقا اخرج القوات الجوية المصرية من المعركة حتى نهايتها .

واقتربت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاعات منخفضة جدا فوق البحر المتوسط لتباغت مطارات شمال الدلتا ووسطها ، وفوق البحر الأحمر لتنقض على المطارات الأخرى ، وظنت انها سوف تتغلب بذلك على الحقل الرادارى المصرى ، وتفاجىء دفاعنا الجوى .. ولكن المفاجأة جاءت هذه المرة من جانب مصر .

وجدير بنا ان نتوقف هنا لنفحص امر المفاجاة التى يصعب تحقيقها بقوات ذات طبيعة عمل دفاعية ، اى التى لا تتحكم فى توقيت ومكان الضربة التى تكيلها للعدو . كما ان اخفاء حجم وتمركز وحدات الصواريخ يعتبر امرا مستحيلا الى حد كبير مع التطور الهائل فى وسائل الاستطلاع حيث يستطيع اى قمر صناعى امريكى جوال ان يلتقط لها صورا دقيقة ومتجددة بصفة مستمرة . كما تستطيع اى طائرة استطلاع امريكية الصنع سواء اطلقتها الولايات المتحدة او اسرائيل ان تقوم بنفس المهمة ، وبتكاليف أقل .

أما عن نوعية المعدات فلم تعد سرا بعد نشر خواصها كل يوم فى المجلات والكتب المتخصصة . ويستطيع الاستطلاع الالكترونى ان يعرف تفاصيل عمل هذه المعدات ، هذا بالاضافة الى وسائل الاستطلاع المتعددة الأخرى .

وعلى ذلك فالمفاجاة الوحيدة المتبقية للمعركة فى عصرنا الحديث اصبحت تنحصر فى اسلوب استخدام هذه المعدات فنيا وتكتيكيا وتعبويا ، كما أن خداع وسائل الاستطلاع المختلفة ــ وان لم يكن امرا سهلا ــ يلعب دورا كبيرا فى هذا المضمار .

.. لقد وعت قوات دفاعنا الجوى هذه المبادىء ، وبذلت كل الجهد لتحقيقها ، ففشل هجوم العدو على مطاراتنا فشلا ذريعا ، وكل ما استطاعت الطائرات الثمانى والستون التى هاجمت قواعدنا الجوية ومطاراتنا صباح السابع من أكتوبر ان تفعله لم يتجاوز القاء قنبلة فى نهاية ممر فرعى باحد المطارات ، وقنبلة زمنية أخرى بجوار مبنى منعزل فى مطار آخر اصابته بتصدع بسيط ، لم يمنعه من مواصلة العمل .

واستمرت القاذفات المصرية تقلع من هذه المطارات لتقصف اهدافها فى عمق سيناء .. على حين كانت المقاتلات المصرية تنتظر الطائرات المعادية قبل أن تبارح المجال الجوى المصرى لتدخل معها فى معركة جوية

وتدمرها .. فبترت بذلك ذراع اسرائيل الطويلة .. وخسر العدو فى هذا الهجوم ثمانى عشرة طائرة فانتوم وسكاى هوك ، وعددا من طياريه وملاحيه .

لم يكن كل ذلك سهلا على قوات دفاعنا الجوى لان اكتشاف الطائرات على الارتفاعات المنخفضة مع تركيز الاعاقة والشوشرة الالكترونية التى تقوم بها ما زالت احدى المشاكل العلمية التى يعكف العلماء على دراستها .

وقد أسهمت خبرتنا القتالية فى التوصل الى بعض الحلول للمشكلة ، بالاضافة الى ما بذله الجنود من تدريب شاق حقق لنا النجاح بعض الأساليب التى ما زلنا ندرجها فى عداد الأسرار العسكرية ، كما أضاف مقاتلو الدفاع الجوى مبادىء جديدة الى علم الالكترونيات ، وفن استخدام قوات الدفاع الجوى .

كذلك فان استخدام شبكة المراقبة بالنظر التى تعتمد اساسا على الفرد الذى لا يتأثر بالاعاقة الالكترونية ، ويستطيع رؤية الطائرات على الارتفاع المنخفض ، مع تزويده بشبكات مواصلات تعتمد على أساس من الدراسة العلمية العسكرية الدقيقة ، قد حقق نجاحا كبيرا فى هذا المجال .

وبالاضافة الى تلك المشاكل فان اصابة الطائرات الحديثة بالصواريخ عمل يحتاج الى درجة عالية من الكفاءة .

ولناخذ مثلا لذلك الطائرات الفانتوم — التى تعنى بالعربية « الشبح » — فهى بلا جدال طائرة قتال ممتازة ، والى جانب ما تتمتع به من مدى كبير وسرعة عالية وارتفاعات عمل مختلفة ، فانها تتميز ايضا بالآتى :

اولا : تحمل هذه الطائرة مستودعات اعاقة الكترونية لتعمية اجهزة الرادار ومحطات توجيه الصواريخ ، وتعمل على حيزات تردد مختلفة ، لتغطى الترددات المستعملة بوسائل دفاعنا الجوى .

ثانيا : تحمل الفانتوم صواريخ موجهة جو/ارض مختلفة الأنواع ، منها الصواريخ راكبة الشعاع التى تتجه تلقائيا بمجرد اطلاقها نحو أى مصدر كهرومغناطيسى ، كما أنها تستمر فى اتجاهها بدقة حتى لو انقطع هذا المصدر عن الاشعاع ، وذلك لوجود ذاكرة الكترونية بالصاروخ تحتفظ له بالمعلومات الابتدائية عن مصدر الاشعاع وتوجهه نحوه .

ثالثا : تحمل الطائرات الفانتوم الاسرائيلية صواريخ تعمل على ترددات الاجهزة الالكترونية المصرية ..

ورغم ذلك فقد امكننا ان نتغلب على هذه الصواريخ ، وان نسقطها بعيدا عن اهدافها .. ولكن كيف ؟ ..

انه سر حربى آخر ما زلنا نحرص عليه كل الحرص ، توصلت اليه العقول المصرية ومهندسو الالكترونيات المصريون .

وبالاضافة الى هذا الصاروخ يوجد لدى اسرائيل نوع آخر من الصواريخ الحرارية التى تتجه نحو مصدر الحرارة كمولدات القوى ، وكذا الصواريخ الموجهة بالتليفزيون .. وتحمل الفانتوم قنابل مختلفة الانواع تصل حمولتها الى سبعة اطنان ..

رابعا : تجهز الفانتوم بمعدات الكترونية عظيمة الفائدة للطيار ، واهمها المبينات الخاصة بنشاط وسائل الدفاع الجوى الأرضى . فبمجرد أن تلتقط الفانتوم باجهزة رادار الدفاع الجوى يضىء مصباح امام الطيار لينبهه الى ذلك ، وكأنه يهمس فى أذنه « كن حذرا » .

فاذا اقترب الطيار من مناطق عمل الصواريخ سام واطلق عليه صاروخ من الارض ، يضىء مصباح آخر لينذره أن الصاروخ قد اطلق نحوه .. وعند هذا الحد يبدأ حاسب الكترونى — موجود بالطائرة — فى العمل تلقائيا ، فيجرى عمليات حسابية معقدة ، تشمل سرعة طيران الصاروخ ومسافته واتجاهه وامكانياته فى المناورة وطرق توجيهه وامكانيات الطائرة والطيار ، وسرعته وارتفاعه واتجاهه و . و . والخ. ويتم ذلك بالطبع فى جزء من الثانية .

ونتيجة لهذه العمليات الحسابية يحدد الحاسب الالكترونى للطيار اللحظة المناسبة للقيام بالمناورة عندما يضىء مصباح ثالث فيرتفع الطيار أو يغير اتجاهه ، ويزيد او ينقص من سرعته اذا لزم الأمر ، حتى يبتعد فجأة وبطريقة حادة عن مسار الصاروخ أرض /جو ويفلت من ملاحقته له .

وكل هذه التدابير الالكترونية تؤدى الى النزول باحتمال تدمير الطائرة بالصاروخ الموجه ارض/جو الى الصفر ..

فاذا علمنا ان خاصية « احتمال التدمير العالى » هى أهم ما تتميز به الصواريخ ، بل ان تعقيد المعدات وغلو الثمن ، والمجهودات الشاقة التى بذلت فى صناعة هذه الصواريخ قد هدفت الى تحقيق احتمال

تدمير كبير ، اذا علمنا ذلك يمكننا أن نقول ان الطائرة الفانتوم هى فعلا « شبح » ولكن العرب فى عام ٧٣ لم يكونوا يؤمنون بالاشباح أو يأبهون بها ..

والواقع ان هناك معدات أخرى حديثة تعاون طيار الفانتوم على تحقيق مهامه ، ولكن يكفى ما ذكرناه آنفا من هذه الطائرة التى أصبحت معرضا فى ميادين بلادنا .

وخير تعقيب على ذلك ما قاله احد طيارى الفانتوم الأسرى الرائد طيار جرو يعقوب امنون « لقد كانت الصواريخ المصرية مؤثرة للغاية . وكنا نحاول الابتعاد عن مواقعها خشية ان تصاب طائراتنا .. وعلى الرغم من محاولات التملص منها الا انها كانت فعالة للغاية ، مما ادى الى وقوع خسائر كبيرة فى الطائرات الاسرائيلية ، وخاصة طائرات الفانتوم » .

ايقن العدو الجوى من فشل هجومه الاول على المطارات المصرية ، فراح يطور اسلوبه ، ويجرى بعض التعديلات التى تلخصت فيما يلى :

أولا : مضاعفة عدد الطائرات التى تقوم بالهجوم لتصبح ١٦ ــ ٢٤ طائرة ضد كل مطار .

ثانيا : مهاجمة مواقع الرادار التى تقع فى طريق الاقتراب من هذه المطارات ، لتدميرها وفتح ثغرة فى الحقل الرادارى يتسلل داخلها دون انذار عنه .

وفشل العدو فى اسلوبه الجديد بفضل المدفعية والرشاشات م/ط التى كانت تدافع عن مواقع الرادار ، والتى كانت ــ رغم صغر حجمها ــ على درجة عالية من الكفاءة أجبرته على الهجوم من ارتفاعات أعلى مما يجب ، وبالتالى لم يعد تصويبه دقيقا ، فسقطت اغلب قنابله بعيدا عن أهدافها .

وفى الوقت نفسه امتصت مواقع الرادار الهيكلية جزءا من نيران العدو ، وذلك بالاضافة الى اجراءات أخرى لم يحن وقت نشرها . كما وقعت بعض الأضرار فى عدد من اجهزة الرادار ولكنها لم تتسبب فى حدوث اى ثغرة فى الحقل الرادارى ، وامكن استعادة موقف هذه الاجهزة بسرعة بفضل كفاءة الأطقم وشمول خطة الاصلاح الفورى .

ثالثا : وضع مظلات جوية من الطائرات الاسرائيلية على طريق خروج الطائرات المهاجمة ، وعن كثب منها . وقد تكونت كل مظلة من ١٢ ــ ١٦ طائرة . وأمكن لقيادة القوات الجوية الاسرائيلية توفير كل هذه الأعداد من الطائرات بعد وصول الدعم الامريكى ، وتعويض خسائرها فى الطائرات .

وكان واجب هذه المظلات هو تركيز الاعاقة الالكترونية الكثيفة باستخدام الأجهزة التى وصلت أخيرا من الولايات المتحدة ضد محطات توجيه الصواريخ أساسا ، بالاضافة الى محطات رادار الانذار .

كما كان لهذه المظلات واجب آخر هو الدخول فى معارك جوية مع المقاتلات العربية التى تعترض الطائرات الاسرائيلية سواء عند اقترابها او عند انسحابها .

مطار واحد فقط استطاعت الطائرات الاسرائيلية اغلاقه لمدة تزيد على ثلاث ساعات . ولم يكن هذا المطار الوحيد مدافعا عنه بالصواريخ وانما بوحدة مدفعية صغيرة ، ورغم ذلك فقد دمرت هذه الوحدة بالتعاون مع الوحدات الاخرى التى مرت فوقها الطائرات المغيرة ، دمرت للعدو اثنتى عشرة طائرة اى ما يساوى ثمانى وأربعين مليونا من الدولارات ..

وثمة نجاح آخر حققته القيادة الاسرائيلية هو تدمير أوتوبيس مدنى يحمل بعض القرويين ، كانوا فى طريقهم الى سوق المدينة الاسبوعى ، وقتلت طائرات اسرائيل ستين قرويا بين رجل وامرأة وطفل بقذيفة مباشرة أسقطها الطيار الاسرائيلى الشهم .

وظلت القواعد الجوية والمطارات المصرية تستقبل الطائرات وترسلها الى اهدافها طبقا للخطة الموضوعة . ولم تصب اية طائرة مصرية وهى على الأرض طيلة أيام القتال .. وكان معنى ذلك أن ذراع اسرائيل الطويلة قد بترت وفقدت بأسها بفضل دفاعنا الجوى الباسل .

آلاف الأطنان فوق بور سعيد :

لم تستطع الطائرات الاسرائيلية ان تحقق شيئا فى جبهة القناة فقواتنا قد عبرتها بنجاح ، والجيشان الثانى والثالث قد عززا مواقعهما فى الشرق .. وتزايد سقوط طائرات اسرائيل يوما بعد يوم بنيران

الصواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ والمدفعيات المضادة للطائرات المصرية . وذراع اسرائيل الطويلة مشلولة أمام دفاعنا الجوى القوى ..

اذن فليكن الانتقام حيث بصيص من الأمل فى استعادة بعض الثقة فى هذه الذراع المبتورة .

وعلى ذلك قررت اسرائيل ان تكون ضربتها ضد بور سعيد ، المدينة الباسلة التى تقبع فى اباء وشمم عند المدخل الشمالى للقناة على شاطىء البحر المتوسط . فهناك لا خوف من مقابلة نيران الدفاع الجوى المهلكة ، اذ لا توجد بها سوى اربعة بطاريات فقط من طراز سام ٢ وسام ٣ ، وبعض المدفعيات والرشاشات المضادة للطائرات ، تشكل فيما بينها تجميعا منعزلا ، لا يتوفر له تعاون بالنيران مع تجميع الجبهة .

اما امداد المدينة فليس له طريق الا الساحل ، وتكفى قنبلة او صاروخ واحد لقطعه فى اى موضع على امتداده الطويل .

وتساعد جغرافية المنطقة القوات التى تهاجم بور سعيد جوا ، فالى الشرق تقع قناة السويس ، والى الشمال البحر المتوسط حيث يمكن للطائرات المهاجمة ان تطير فوقه على ارتفاع عدة امتار دون خطر ، ودون ان تتمكن اجهزة الرادار ان تميزها من خلال امواج البحر ، والى الغرب تقع بحيرة المنزلة التى لا يفصلها عن البحر سوى شريط ساحلى ضيق ، والى الجنوب تمتد ارض منبسطة وسبخات ملحية .

لقد وفرت هذه الظروف الطبوغرافية افضل الفرص للطائرات المعادية ان تقترب من المدينة عن طريق الشرق مباشرة ، وعن طريق الشمال فوق البحر بصورة شبه مباشرة ، وعن طريق الجنوب والغرب بصورة غير مباشرة بعد ان تقوم بحركة التفاف واسعة بعض الشىء . وكان هذان الاتجاهان الأخيران هما الأكثر احتمالا اذ اراد العدو ان يحقق المفاجاة .

وحدث ما توقعناه تماما ، اذ قامت طائرات اسرائيل يومى ٦ - ٧ اكتوبر بالالتفاف من الغرب — اى من الخلف — لتهاجم القوات البرية التى عبرت الى الشرق .

وفى الساعة الحادية عشر من صباح اليوم الثالث للقتال — ٨ اكتوبر — التقطت شاشات الرادار عددا من الطائرات الاسرائيلية تقترب مباشرة من الشرق على ارتفاعات متوسطة وعالية ، وخصص قائد الدفاع الجوى عن بور سعيد جزءا من مجهوده للتعامل مع هذه الأهداف فى

حالة اختراقها لمجال عمله . على حين امر الجزء الأكبر ان يكون مستعدا للاهداف التى تقترب من الجنوب ، وركزت وسائل الاستطلاع فى اتجاه الشمال والغرب .

وانخفضت الطائرات المقتربة من الشرق لتوحى بانها سوف تنقض وشيكا ، ولم تخدع هذه الحركة احدا لأن الأسلوب الصحيح هو العكس من ذلك تماما ، اذ يجب على الطائرات ان تقترب على ارتفاعات منخفضة لتتفادى الكشف الرادارى ، ثم ترتفع بغتة لترى اهدافها قبل أن تنقض عليها وتقصفها بشدة واحكام .

وبعد قليل كان المجهود الرئيسى يندفع الى بور سعيد من اتجاه الجنوب ، فتنقسم الطائرات الى مجموعتين ، تتجه احداهما شرقا لتهاجم مواقع الصواريخ الموجودة فى هذا الاتجاه ، وتتجه الأخرى غربا لتهاجم المواقع الباقية .

وانتشرت هناك بعض الكمائن المضادة للطائرات من صواريخ سام — ٧ الصغيرة التى تطلق من الكتف ، وضعناها فى طريق اقتراب الطائرات التى ما ان فوجئت بنيرانها المصوبة حتى اضطرت الى الارتفاع مبكرا عما كان مخططا لها ، فاصبحت فى اكثر الأوضاع مناسبة لمواقع سام ٢ ، سام ٣ لتدميرها .. وبدات الصواريخ تنطلق لأعلى والطائرات تتهاوى لأسفل بمجرد أن يتم اللقاء الصاخب بينهما .

واستمرت المعركة حتى الساعة الخامسة مساء بحشد كبير بلغ اربعة وتسعين طائرة ، هذه الكثافة الكبيرة تزيد على امكانات البطاريات الأربعة التى لا يمكنها ان تتصدى فى فترة زمنية واحدة لأكثر من اربعة اهداف فحسب ، مثل عددها ، فاذا زاد عدد الطائرات المغيرة عن عدد البطاريات سام امكن لهذه الزيادة ان تقصف مواقع الصواريخ دون ان تخشى عملا مضادا منها .

وعندما هبط الظلام كانت اثنتا عشرة طائرة اسرائيلية قد تحولت الى حطام فى مقابل اسكات الصواريخ الأربعة .

وتحت جنح الليل بدات الطائرات الاسرائيلية المرحلة الثانية فى اضواء المشاعل ، بهدف احباط اى محاولة لاقامة الصواريخ مرة اخرى . وراحت الطائرات تقصف مواقعها بشدة ، حتى تدمر المعدات تدميرا تاما .

ثم زادت القصف شدة لتهدم المواقع نفسها ، حتى اذا ما امكن

تعويض الأسلحة بأخرى فلن تجد الموقع الذى تعمل منه .. ثم عملت على اغلاق هذه المواقع والطرق المؤدية اليها بالقاء القنابل الزمنية والألغام والأشراك ذات النوعية الخاصة ، حتى تمنع المهندسين من الاقتراب منها . واخيرا قطعت الطريق المؤدي الى بور سعيد لتمنع الامدادات عن المدينة الباسلة .

واستمرت هذه العملية فى تكرار رتيب طيلة يومى التاسع والعاشر من اكتوبر . وكانت الطائرات عندما تقابل بنيران المدفعية م / ط أو الصواريخ الصغيرة ترتفع قليلا ثم تستمر فى قصفها بأنواع مختلفة من القنابل والصواريخ ، كما قامت أيضا بقصف القاعدة البحرية .

وبلغ مجموع الطائرات التى هاجمت بور سعيد يومى ٩ ، ١٠ اكتوبر ٢١٤ طائرة القت زهاء الألف وخمسمائة طن من المواد المتفجرة عليها .

وفى الساعة الثامنة من مساء العاشر من اكتوبر امكنا أن نلتقط بعض الاشارات المتبادلة بين الطيارين الاسرائيليين وقياداتهم ، عندما كان الطيارون يعطون تماما بانهم نفذوا كل مهامهم ، بينما القيادة تصر على أن يعاودوا الكرة . وصرخ الطيار فى النهاية مؤكدا انه لم تعد هناك اهداف تقصف ، وانه سوف يقفل عائدا الى قاعدته .. ثم اغلق جهازه وعاد ليستريح .

وفى الساعة التاسعة والدقيقة الثامنة والثلاثين من صباح الحادى عشر من اكتوبر عادت الطائرات الاسرائيلية الى بور سعيد . ستة عشر طائرة أتت لتبث الرعب فى قلوب سكان المدينة الذين رفضوا مغادرتها . ولم تكن بها حاجة لأن تطير على ارتفاع منخفض فلم يعد أمامها عناصر دفاع جوى يؤبه به .

وفجأة انطلقت الصواريخ سام ٢ وسام ٣ ثانيا ، وسقطت اثنتا عشرة طائرة فى مدى عشر دقائق ، وفرت الطائرات الاربع الباقية .

كيف حدث هذا .. ؟ ومتى عادت الصواريخ الى مواقعها .. ؟ لقد بدا ذلك ضربا من المحال ، ولكنها حقيقة واقعة أثبتها التاريخ ، وتعرفها القيادة الاسرائيلية جيدا .

فرغم كل ما حدث ، عاد تجميع الصواريخ فى بور سعيد أقوى مما كان بفضل التخطيط المسبق الحاذق ، والشجاعة المتأصلة فى النفوس ، وتنظيم العمل والتعاون الكامل ، واتقان الواجب والاصرار على

آدائه . وعاد الفضل فى كل ذلك الى قوات الدفاع الجوى ، والمهندسين العسكريين ، واهالى بور سعيد الأبطال ، الذين حققوا فيما بينهم هذه المعجزة .

وبنهاية الحادى عشر من اكتوبر ٧٣ كانت بور سعيد قد أسقطت احدى وعشرين طائرة اسرائيلية ، غير الاصابات الأخرى التى الحقتها بها .

واستمر الصراع بين قوات الدفاع الجوى المصرى فى بور سعيد والقوات الجوية الاسرائيلية . وكان صراعا مريرا غير متكافىء بين مئات الطائرات من احدث الأنواع العالمية وبين اربعة بطاريات صواريخ .

واستخدمت الصواريخ الحرارية التى تتجه الى مصادر الحرارة بالمواقع ، وهى مولدات القوى الكهربائية اللازمة لعمل وحدات الصواريخ، واشعل المقاتلون النار فى براميل فارغة وضعوا فيها بعض الوقود والنفايات ، فكانت تجذب الصواريخ اليها .

كما استخدمت الطائرات الصواريخ الموجهة بالتليفزيون . واطلق مقاتلو الدفاع الجوى ـ ستائر الدخان حول المواقع ، مما جعل هذه الصواريخ تضل اهدافها . واصبح من الصعب على الطائرات أن ترى المواقع .

والقت الطائرات وابلا من الأشراك المتفجرة ، واستطاع المقاتلون والمدنيون تمييزها بسرعة ، وابتكروا طرقا سهلة لتدميرها .

وفى الثالث عشر من اكتوبر كان تجميع الصواريخ فى موقف خطير ، اذ اصيبت ثلاثة بطاريات ولم يبق صالحا للعمل سوى واحدة .

وكان من المهم الا يشعر العدو بهذا الموقف الحرج الى أن يعاد اصلاح الاعطال .

وبالفعل استطاع مهندسو الالكترونيات المصريون أن يحافظوا على مصادر الاشعاع الكهرومغناطيسى بكل موقع ، وحافظوا بذلك على الصورة العامة للموقع . فالصواريخ ما زالت تنطلق وان كانت غير موجهة ، وهناك مصادر اشعاع وان كانت غير ذى موضوع ، وهناك دخان كثيف يلف كل شىء فى ثوب من الغموض والابهام .

وظلت الصورة أمام الطيارين الاسرائيليين كما كانت عليه سابقا ، فلم يفطنوا الى أى تغيير ، بل ان كثيرا من الطيارين فى ذلك اليوم بالذات

القوا بحمولاتهم من القنابل والصواريخ في البحر خشـــية الاقتراب من الدفاع الجوى فى بور سعيد ، وكان سكان بور سعيد يشاهدون ذلك باعينهم فيصفقون ·

لقد حاول العدو الانتقام من بور سعيد الباسلة فهاجمها طوال المدة من ٨ حتى ٢٤ اكتوبر بمتوسط ٦٤ طائرة فى اليوم ·· وبلغ اجمالى طائراته التى هاجمت بور سعيد خلال تلك المدة ٩٣٠ طائرة ·· ولكنها لم تستطع بكل ما تحمله من آلاف الأطنان من أسلحة الخراب والدمار أن تنال من روح شعبها البطل ··

واستمرت الحياة كعادتها ، فالمحلات العامة تفتح ابوابها ، وسوق المدينة توفر للمواطنين حاجتهم ، والأطفال يهللون مع كل طائرة تسقط ، وصاح احدهم يقول لامه بعد أن شاهد ١٢ طائرة تسقط تباعا ، وتخرج منها المظلات لتحمل طياريها الى اقفاص الأسر ·· « ماما السما بتمطر طيارات وشماسى » ·

هكذا سجل التاريخ لقوات الدفاع الجوى صفحة فخار ، اذ نجحت فى تحقيق مهامها ، وشهد العالم بذلك · ويكفى أن نسوق بعض ما قاله الأعداء عنها ·

لقد قال موشى ديان فى حديث تليفزيونى :

• « ان القوات الجوية الاسرائيلية تخوض معارك مريرة ·· انها حرب ثقيلة بايامها ·· ثقيلة بدمائها » ··

ونشرت الجيروزاليم بوست نقلا عن أحـد قادة القوات الجـوية الاسرائيلية :

• « ان الدفاع الجوى المصرى يتمتع بكفاءة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب ، تفوق تلك التى واجهها الأمريكيون فى فيتنام » ··

ويقول الطيار الاسرائيلى الأسير النقيب طيار سمحا مردخاى روزين:

• « لقد اندهشت من دقة تصويب المدافع المصرية المضادة للطائرات مما يؤكد ان مستوى رجالها عال جدا ·· والدليل على ذلك كثرة ما اسقطوه من طائرات » ···

وحاولت بعض الصحف الأجنبية ـ التى اضطرت الى ان تذكر الحقائق على مضض ـ أن تركز الأضواء على نوعية الأسلحة التى استخدمها دفاعنا الجوى فعلق أحد مقاتلينا على ذلك بقوله « ان سلاحنا جيد ·· والطائرات

القانتوم وسكاى هوك ايضا طائرات ممتازة · وشىء عظيم أن يكون معنا سلاح جيد ، وأن تكون مهرة فى استخدامه » ··

ان السلاح كالآلة الموسيقية ·· من يحسن العزف عليه يخرج اعذب الألحان ·· وقد استطاع مقاتلو الدفاع الجوى أن يعزفوا سيمفونية ، ان لم تكن رائعة ، فهى على الأقل متقنة ·· وان شابها بعض النغم الحزين فلأنها كتبت بدماء الشهداء ·

ولكن النتيجة النهائية هي ان ذراع اسرائيل الطويلة قد بترها مقاتلو دفاعنا الجوى البواسل ·· وتلك حقيقة ناصعة ، هدمت اهم ركائز الأمن القومى الاسرائيلى فوق راس مؤسستها العسكرية المقهورة

فوق السحاب

القوات الجوية

● **لم يسبق لطيارينا البواسل ان خاضوا حربا جوية حقيقية مع اسرائيل ، اذ باغت العدو طائراتهم وهى جاثمة على الارض فى الجولتين السابقتين فدمرها.. مساء فى خريف ١٩٥٦ بواسطة الكانبيرا البريطانية والميراج الفرنسية بالوكالة عن اسرائيل ، وصباحا فى صيف ١٩٦٧ بالقوات الجوية الاسرائيلية بالأصالة عن نفسها ..**

وكانت قواتنا البرية والبحرية اثر كل ضربة مفاجئة مركزة للعدو تجد نفسها وقد تعرت من غطائها الجوى فى مسرح الحرب المكشوف ، وصارت فى وضع بالغ الشدة والحرج ..

اما فى حرب رمضان ، فقد دارت الأمور بصورة مختلفة تماما عما سبق ، اذ نشط القتال الجوى منذ اللحظة الأولى للحرب حتى لحظتها الأخيرة .. فالعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » قد استهلت نشاطها القتالى بتوجيه ضربة جوية مركزة مفاجئة للعدو ، أعقبها قتال جوى عنيف، استمر على أعلى درجات النشاط ، حتى حققت قواتنا الجوية العملاقة كل مهام القتال المحددة لها ، وخرجت بعد هذا الجهد الرائع وذلك الانجاز

بتنظيم قوية الجانب واسعة الخبرة عالية الكفاءة شديدة الايمان بعون الله وتوفيقه ..

وكانت خلف هذا النجاح الكبير عمل دءوب بداه الرجال باصرار وهمة بمجرد أن خمدت النيران فى مطاراتهم بانتهاء الجولة الثالثة الكئيبة .

ونشط الاعداد لزيادة عدد الطيارين ، وكانت عملية شاقة طويلة ، استغرقت فى المتوسط بين خمس وست سنوات ، قابلها جهد آخر لا يقل عنها عناء ومشقة ، لزيادة عدد الفنيين والمهندسين والمهنيين فى القوات الجوية ، الذين يوكل اليهم جميعا أمر اعداد واصلاح الطائرات .. وكانت هى أيضا عملية شاقة طويلة ، استغرقت نفس الوقت الطويل مثل عملية اعداد الطيارين سواء بسواء ..

وبدا الاعداد لانشاء شبكة هائلة من المطارات فى كافة أرجاء مصر ، لتستوعب الأعداد الكبيرة من الطائرات والطيارين ، وتنهض بالمهام الخطيرة والكثيرة التى سوف توكل الى القوات الجوية فى الحرب القادمة .

وكان الدرس الأول من نكسة ١٩٦٧ هو ضرورة وقاية الطائرات فى المطارات ، ولذلك تم اقامة العدد الكافى من الدشم الخرسانية المتينة فى كل مطار وقاعدة جوية .. وبفضلها ، وبفضل الدفاع الجوى اليقظ ، والحماية الجوية بالمقاتلات **لم تصب لنا طائرة واحدة فى حرب رمضان وهى جاثمة على الارض .. ولم تكن الطائرة تستغرق أكثر من دقيقتين لتغادر دشمتها وتحلق فى السماء نحو هدفها** .. وتسبب ذلك فى حيرة العدو ودهشته .. ثم هزيمته ..

وكان الدرس الثانى من النكسة هو ضرورة تدريب القادة على تقدير الموقف السليم ، واتخاذ القرار الحكيم ، وفرض السيطرة الحاذقة . ولهذا الغرض عقدت مشاريع كثيرة ، واجريت دراسات عديدة ، وأوفدت بعثات للخارج ، وتمت أبحاث فى الداخل ، أثمرت كلها فى تزويد قواتنا المسلحة بنوعية ممتازة من القادة المحنكين الأكفاء ..

وجرت كل تلك الأعمال والانجازات التى استنفدت الجهد الجهيد ، والعرق الغزير ، تحت ظروف بالغة القسوة ، فالقتال لم يخب له أوار ، وحرب الاستنزاف تبتلع قسطا من الجهود والامكانيات .. والنكسة قد خلفت آثارها .. كل ذلك والعمل يسير بسرعة نحو الهدف المنشود ..

ثم حصد العرب الثمرة فى حرب رمضان .. اذ أسهمت قواتنا

الجوية بالنصيب الأوفى فى تحقيق النصر ، وبترت ذراع اسرائيل الطويلة، وأخرست لسانها السليط ، وحطمت أسطورتها ..

استهلت العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » أعمال القتال بالضربة الجوية المركزة المفاجئة ، فى تخطيط رائع بين الجبهتين المصرية والسورية ، وتنسيق دقيق مع باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة العربية ..

وقامت تشكيلاتنا الجوية بقوة ٢٥٠ طلعة طائرة قتال بالانطلاق شرقا فى توقيت واحد ، تحدد أهدافها المنتخبة بحذق ومهارة بالغة .. لكل تشكيل جوى هدفه الذى يتعين عليه أن يدمره ، وأهدافه التبادلية للطوارىء .. ولكل تشكيل جوى وجهته المحددة ، وسرعته وارتفاعه ، وللجميع هدف واحد ، هو الحاق الدمار بالعدو حيثما كان وأينما يصير ..

- مطارات المليز وتمادا ورأس نصرانى تحولت الى حطام .
- عشرة مواقع صواريخ أرض جو طراز هوك صارت هباء .
- مواقع مدفعية بعيدة المدى حاق بهم الدمار .
- ثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وانذار صمتت الى الأبد .
- محطتا أم خشيب وأم مرجم للاعاقة والشوشرة فى سيناء أمستا شعلة من النيران .
- ثلاثة مناطق شئون ادارية راحت على العدو .
- النقطة القوية شرق بور فؤاد سحقها طيارونا البواسل ..

واستمرت المقاتلات القاذفة تضرب بشدة لتحقق السيطرة الجوية ، فتقصف مطارات العدو فى سيناء وأجهزة الرادار ومواقع الهوك ، طيلة فترة العمليات وانجزت فى هذا السبيل حوالى ٣٠٠ طلعة طائرة ..

ومع فجر السابع من أكتوبر تصدت المقاتلات لهجمات العدو الجوية ضد مطاراتنا ، واشتبكت معها فى معارك جوية دارت أعنفها قاطبة على امتداد أيام ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ أكتوبر ، فى شمال الدلتا ، حيث كان العدو يدفع فى كل هجمة من ٦٠ الى ٧٠ طائرة ، وأمكن لمقاتلاتنا فى تعاون رائع مع دفاعنا الجوى أن تصيب وتدمر الكثير منها ، وأن تمنعها تماما من تحقيق أى هدف لها ، بما أجبرها على التخلص من قنابلها وصواريخها

ى الحقول ، فيما خلا بضع طائرات قليلة ، كانت تتسلل نحو المطارات فتصيب احداها اصابات تافهة لا تستغرق عملية اصلاحها الا ساعات قليلة ..

وجدير بالذكر أن العدو ـ خلال المدة من ٧ حتى ٢٠ أكتوبر ـ قد حاول مهاجمة عشرة مطارات مصرية فقط هي القطامية والمنصورة والصالحية وطنطا وشبراخيت وجناكليس وقويسنا وأبو حماد وبنى سويف وبير عريضة .

وكانت أول محاولة للعدو يوم ٧ أكتوبر هي أبرزها ، اذ حاول فيها مهاجمة سبعة مطارات .. وبعد ذلك قلل من حجم مجهوده الجوى ضد المطارات ، فاصبح يهاجمها بمعدل ١ ـ ٤ مطار في اليوم ، وذلك بعد أن تيقن من فشل ذلك الأسلوب فى اخراج القوات الجوية المصرية من المعركة ..

وعلى الرغم من مهاجمة مطار القطامية مثلا ست مرات بعدد ١٦٦ طلعة/طائرة . ومهاجمة مطار المنصورة خمسة مرات بعدد ٦٦ طلعة/طائرة الا أن هذين المطارين ظلا يعملان بكفاءة تامة طوال المعركة .

وتوقف العدو تماما عن مهاجمة مطاراتنا اعتبارا من يوم ٢١ أكتوبر ..

واستمرت قواتنا الجوية على مدى ٢٢ يوم قتال نشط تؤدى مهمة الحماية الجوية بكفاءة هى مضرب الأمثال ، وجسارة مرجعها شهامة الرجال .. ومع تطور الجيب المعادى غرب القناة ، تصاعد القتال الجوى الى منتهاه ، وشهدت منطقة السويس وفايد أعنف المعارك الجوية ، التى اشترك فيها من كل جانب ما يربو على السبعين طائرة مقاتلة ، فى تلاحم ونضال رهيب ، استمر فى بعض الأحيان ساعة كاملة وأكثر ..

وبلغ اجمالى عدد المعارك حوالى الخمسين معركة جوية ، منها ثمانية معارك كبيرة سوف تدخل سجل الخلود فى تاريخ قواتنا الجوية المظفرة ، التى اسقطت للعدو خلالها فوق شمال الدلتا وبورسعيد وفايد والسويس ما يقرب من ٩٠ طائرة ..

ويشهد بذلك أحد طيارى العدو الأسرى الملازم أول آفى جاييم الكالاى فيقول « اننى أعتقد أن سلاح الطيران المصرى أصبح على أعلى مستوى ، ولم أكن أتوقع أن تقوم الطائرات المصرية بمهاجمة طائراتنا . وقد شاهدت

معركة جوية بين الطائرات الاسرائيلية والمصرية أسقط فيها ثلاث طائرات فانتوم ، وسيطرت الطائرات المصرية على المعركة » .

ومنذ صباح السابع من أكتوبر وقواتنا الجوية تضرب احتياطيات العدو التعبوية بلا هوادة ، وتلحق به طوال أيام القتال التالية أفدح الخسائر فى الدبابات والمعدات والأسلحة والأفراد .

وكانت أسراب المقاتلات القاذفة من طراز السوخوى والميج ١٧ والميج ٢١ تحقق أرقاما قياسية فى معدلات اصابة وتدمير الأهداف المعادية ، وقد أنجزت فيما بينها ما يزيد على الألف طلعة طائرة ..

وعن المعاونة الجوية المباشرة للجيشين الميدانيين ، فقد تمت بكفاءة نادرة وتنسيق فعال منذ أن بدأ القتال عصر السادس من أكتوبر ، حتى صمتت النيران الى حين ظهر الثامن والعشرين منه .. وقد أنجزت القوات الجوية حوالى ثلاثة آلاف طلعة طائرة فى هذا السبيل ..

وعن الاقتحام الجوى الرأسى فى حرب رمضان ، فقد انبرت طائرات الهليكوبتر المصرية تؤدى مهمة ابرار وحدات الصاعقة فى عمق سيناء جنوبا وشمالا ، بما أذهل العدو وأربكه وشل حركته وعرقل مناوراته وامداداته . واستمرت الهليكوبتر طيلة أيام القتال تمد وحدات الصاعقة بلوازمها حتى تواصل الحرب ليلا ونهارا فى أشق الظروف وأحفلها بالخطر ..

وعن قاذفاتنا فقد انطلقت من قواعدها تصب الدمار على أهدافها المنتخبة ، وتلقى مئات الأطنان من القنابل المهلكة على مطارات سدر والطور ، وتبيد وتشتت تجمعات العدو المدرعة وقواته الميكانيكية التى تسللت نحو الدفرزوار ، وتحطم معابره ومراكز قياداته ..

هذا عدا الدور الكبير للقاذفات فى حماية أهدافنا السياسية والاقتصادية من غدر العدو ، بوقوفها على أهبة الاستعداد لردعه اذا ما سولت له نفسه أن يقصف أهدافنا المدنية فى أى وقت .. خاصة وقد حسم الرئيس السادات الأمر بتأكيده قبل المعركة أن .. السن بالسن ، والعمق بالعمق ، والنابالم بالنابالم ..

ونفذت تشكيلات الاستطلاع الجوى قبل وأثناء وبعد الحرب الكثير من المهام الناجحة لصالح القوات المسلحة ، وكان لها عميم الفائدة فى ملاحقة أعمال العدو المضادة واحباطها ، وكشف خططه ومناوراته أولا بأول ، وسرعة القضاء عليها ..

وحقق الفنيون والمهندسون أعلى درجات الكفاءة والمهارة فى أداء الواجب المنوط بهم ، فاحتفظوا بنسبة صلاحية الطائرات فى أعلى درجاتها ونجحوا فى اتمام أعمال اعادة ملء الطائرات بالوقود والذخيرة والقنابل فى ما لا يزيد عن ست دقائق ٠٠ ولم يملؤوا الدنيا ضجيجا لتلك الأرقام المذهلة ، كما ملأتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ، عندما حققت رقما نادت بأنه لا يجارى ٠٠ وكان مجرد ٧½ دقيقة ٠٠ لم يملأ رجالنا الدنيا ضجيجاً لأنهم كانوا على ثقة أنه الواجب ٠٠ مجرد الواجب ٠

وهكذا استمرت قواتنا الجوية تنفذ مهامها بنجاح طوال أيام الحرب مما شكل تهديدا مباشرا لأهداف العدو فى سيناء المحتلة وفى عمق أراضيه ومما يدل على شدة خشيته من طائراتنا ونسورنا انه خصص حوالى نصف طلعات طائراته القتالية للقيام بمهام المظلات الجوية فوق سيناء ـ فقد وجه لذلك ٤٠٩٨ طلعة طائرة قتال من اجمالى طلعاته القتالية على الجبهة المصرية ، والتى بلغت ١٠٣٢٢ خلال المدة من ٦ ـ ٢٢ اكتوبر ٠

على هذا النحو قاتل رجال قواتنا الجوية فى حرب رمضان فصالوا وجالوا فوق السحاب ، وانجزوا المهام الجسيمة ، وحققوا الهدف المنشود ، وصدق فيهم قوله سبحانه وتعالى « ٠٠ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٠٠ » فكانوا أصدق المؤمنين ٠٠

المضيق والمندب

القوات البحرية

• بين مضيق شرم الشيخ جنوب خليج العقبة وباب المندب جنوب البحر الأحمر حطمت قواتنا البحرية كل افتراءات اسرائيل عن ضرورة احتلال مدخل خليج العقبة ، ثم كشفتها للملأ ، وأثبتت زيف هذه الافتراءات ٠ ولو كان هذا انجازها الوحيد فى حرب رمضان لكفاها .. ولكنها استمرت شديدة النشاط وافرة الانجاز طوال الحرب ٠٠ ويرجع الفضل فى ذلك الى التطور الكبير الذى حققته قواتنا البحرية بعد جولة يونيو ١٩٦٧ تنظيما وتسليحا وتدريبا ، فعلى الاتجاه التعبوى للبحر الأحمر أصبحت تسيطر بقاعدة البحر الأحمر البحرية ، وعلى الاتجاه التعبوى للبحر المتوسط اصبحت تسيطر بقاعدتى الاسكندرية وبور سعيد ..

وصارت كل قاعدة بحرية مسئولة تماما بما لديها من قوات وقدرات أن تؤمن نطاقها التعبوى ، وان تمنع العدو من الاقتراب من الأهداف الساحلية فى منطقة عملياتها ..

اما فى مجالات التسليح فقد ركزت قواتنا البحرية كل جهودها للتعوض بالوحدات البحرية الخفيفة ، وزيادة عدد لنشات الصواريخ والطوربيد واللنشات المجهزة بصواريخ غير موجهة للضرب على اهداف العدو الساحلية . ومع بداية حرب رمضان كانت تملك قوات صاعقة بحرية وضفادع بشرية مزودة باحدث اسلحة العصر .

واختبرت القوات البحرية جنود الصاعقة فى عمليات متعددة ، فكانوا أول من عبر القناة بعد يونيو ١٩٦٧ لاحضار عينات من أسلحة اسرائيل ، ثم كانوا دائما ضمن القوات التى عبرت القناة عام ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ .. فعادوا بالأسرى وبثوا الكمائن وزرعوا الالغام على طريق التحرك، وشنوا الاغارات المتعددة على نقط العــدو الحصينة ، التى كان ابرزها مهاجمة وتدمير قلعة الجباسات جنوب بور توفيق ..

واحست اسرائيل بخطورة قواتنا البحرية واتقانها صنعة الحرب عقب اغراقها المدمرة ايلات بالصواريخ البحرية فى ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ فاعلنت عن استراتيجية جديدة للبحرية الاسرائيلية تعمــل فى عدة اتجاهات :

- اولا : دعم اللنشــات الحديثــة السريعة ، وتســليحها بالصواريخ جابرييل ، وهى اللنشات التى عرفت باســم " سعر " ..
- ثانيا : الاعتماد على الصناعة الاسرائيلية فى توفير الكثير من المعدات البحرية المتطورة ، وقد صــنعت اسرائيل فعــلا الصاروخ جابرييل .
- ثالثا : شراء غواصات جديدة من انجلترا تناسب مواصفاتها القتالية عملياتها البحرية المقبلة .
- رابعا : تطوير الضفادع البشرية تدريبا وتسليحا ..
- خامسا : تخصيص طائرات للعمل مع قواتها البحرية ، سواء لأغراض الاســتطلاع أو الحماية الجوية او ضرب تجمعات قواتنا فى البحر او انقاذ قواتها التى قد تصاب خلال المعارك البحرية .. وقد ركزت فى هــذا المجــال على طائرات الهليكوبتر ، والقاذفات المقاتلة والمقاتلات .

لقد اوكل الى قواتنا البحرية مهام كثيرة فيما بين الجولتين الثالثة والرابعة ، اذ كانت مطالبة بتدمير قوات العدو البحرية أينما وجدت ،

وتحطيم اهداف العدو الساحلية ، والتى قد تعمل ضد قواتنا اثناء العملية الهجومية المرتقبة للجيوش الميدانية .

ولعل ابرز الواجبات التى وقع على قواتنا البحرية عبء انجازها حماية خطوط مواصلاتنا البحرية ، وحرمان العدو من الاستفادة من مواصلاته البحرية .

وكلنا يعلم كيف تعتمد الدول كثيرا على حجم الامدادات البحرية التى تصلها عن طريق البحر ، ذلك لان النقل الجوى محدود جدا وباهظ التكاليف ، كما ان حجم المطالب الاستراتيجية التى يمكنه نقلها بسيط اذ ما قورن بقدرات النقل البحرى غير المحدود . ولنقارن بين ما تحمله ناقلة بترول متوسطة حمولتها ٤٠٠ر٠٠٠ طن ، فى رحلة واحدة ، وعدد الطائرات التى تستطيع نقل نفس الحمولة جوا ، لنلمس البون الشاسع بين القدرتين .

وبالاضافة الى ما ســبق من مهام فقد كان واجبا على قواعدنا البحرية حماية سواحلنا وفرض سيادتنا البحرية على مياهنا الاقليمية .

الموقف البحرى قبل يوم ٦ اكتوبر ١٩٧٣

كانت وحدات العــدو البــحرية تتمركز فى مينــاى أشدود وحيفا على البحر المتوســط ، وايلات وشرم الشيخ ومراسى خليج السويس ـ راس سدر وابو رديس ـ على البحر الاحمر .

اما وحداتنا البحرية فقد تمركزت فى نطاق القواعد البحرية فى الاسكندرية وبور سعيد وسفاجا والغردقة .. وبمقارنة قواتنا البحرية بقوات العدو يتضح تفوقنا على العــدو فى المدمرات والغواصات ووحدات بث وكسح الالغام ، على حين يتفوق العــدو علينــا نسبيا فى لنشات الصواريخ ، ولديه القدرة على تخصيص مجهــود جوى أكبر لمعاونة قواته البحرية . وكذلك يتفوق العدو فى طائرات الهليكوبتر التى تعمل مع قواته البحرية .

ويتميز مسرح العمليات البحرى باتساعه الكبير على طول سواحلنا التى تبلغ ١٦٠٠ كيلو متر على البحرين المتوســط والأحمر ، بينما لا تتجاوز سواحل العدو على البحر المتوسط وخليج العقبة ٤٠٠ كيلو متر فقط . ومن الواضح انه نظرا لوضع اسرائيل السياسى والجغرافى فان خطوط مواصلاتها البحرية على وجه الخصوص تعتبر الشريان

الرئيسي الذى يكفل استمرار المحافظة على اقتصادها وامدادها بالمواد ذات الطبيعة الاقتصادية والعسكرية ..

وفى أوائل شهر اكتوبر ١٩٧٣ أعلن عن تنفيذ المناورة السنوية لقواتنا البحرية التى تجرى كل عام فى نفس هذا الموعد باعتبارها جزءا هاما من المناورة الكبرى للقوات المسلحة . واعلن أن الغرض منها « كالعادة » هو الاختبار العملى لنتائج التدريب بمناسبة انتهاء السنة التدريبية .

وفى هدوء وصمت تحركت غواصاتنا فى البحر المتوسط الى مناطق محددة لها وهى تحمل مظاريف مقفلة بين طياتها السر العظيم الذى يحدد لقائد الغواصة مهمته القتالية . وكان على هؤلاء القادة الا يفتحوا المظاريف الا بأوامر خاصة سوف تصدر لهم فى اللحظة المناسبة .

وتحركت غواصات البحر الأحمر تحت ستار اجراء بعض الاصلاحات الضرورية فى احد موانى الباكستان ، وكان قد تم الاتفاق عليها مسبقا مع السلطات البحرية لهذه الدولة الصديقة .

أما مدمراتنا فقد تمركزت واحدة منها بميناء طرابلس فى زيارة رسمية لجمهورية ليبيا الشقيقة ، وتحركت مدمرات البحر الأحمر الى منطقة عملياتها عند باب المندب فى أقصى الطرف الجنوبى للبحر الأحمر وتم كل ذلك تحت ستار اجراء زيارة ودية لدول المنطقة .

وفى الوقت المناسب تماما تم شحن واعداد الصواريخ البحرية بحر / بحر وهى سلاح القوات البحرية الفعال . ونظرا لما يلازم شحن الصواريخ من تعقيدات فنية كثيرة فلقد حسبت تلك الفترة بدقة متناهية بحيث تكون كل لنشات الصواريخ جاهزة للقتال ومحملة بالصواريخ قبل بدء العمليات .

أما الالغام فقد تم اعدادها باعتبار أن ذلك من متطلبات التدريب ، وضمن الاستخدام الفعلى لخطة المناورة .

وتحت المدفعية الساحلية تحت جنح الظلام وفى سرية مطلقة . على زعم تنفيذ مناورة تقليدية ، واتخذت مواقعها القتالية استعدادا لليوم المرتقب .

ولم يكن احد يدرى شيئا عن هذه الاسرار الا قائد القوات البحرية ونفر قليل من ضباطه .

ثم بدات الحرب البحرية ..

كانت الخطة مبنية على أساس التعامل مع العدو على جبهة عريضة فى البحرين المتوسط والأحمر ، مع التركيز على استخدام أقصى الجهود القتالية للوحدات البحرية خلال الساعات والأيام الأولى للعمليات . بغرض استغلال عامل المفاجأة والاستفادة منه الى أقصى حد ممكن ، وكذلك لتشتيت مجهود العدو وارباك قياداته .

وبمجرد اندلاع القتال يوم ٦ أكتوبر اشتركت فيه بكل ثقلها المدمرات والغواصات والمدفعية الساحلية ولنشات الصواريخ والطوربيد ووحدات الصاعقة البحرية والضفادع البشرية .

فقامت سرايا المدفعية الساحلية فى بور سعيد بقصف القلعة الحصينة شرق بور فؤاد ، والحصن المنيع عند الكيلو متر ١٠ جنوب بور فؤاد .

وقام سرب من اللنشات المسلحة بصواريخ غير موجهة بانزال ضربة صاروخية مركزة على تجمعات العدو فى رمانة . ثم قام لنش آخر مسلح بنفس نوع الصواريخ بضرب مرسى للعدو .. فى راس برون على البحر المتوسط .

وفى البحر الأحمر قامت سرايا المدفعية الساحلية بمعاونة الجيش الثالث ، بقصف مناطق العدو فى مواجهتها . وقام سرب من لنشات الصواريخ المتمركز فى سفاجة بقصف أهداف العدو فى شرم الشيخ .

وفى الوقت نفسه أنزلنا ضربة صاروخية بالصواريخ غير الموجهة ضد منطقة رأس سدر . وكانت الحرائق والانفجارات تدوى على سواحل العدو فى البحرين المتوسط والأحمر .

واستمرت العمليات البحرية طوال أيام حرب رمضان بنفس معدل نشاطها للضغط على العدو وتكبيده خسائر فادحة .

ومع غروب شمس كل يوم كانت تبدأ العمليات الليلية .

ففى ليلة ٧/٨ خرج احد تشكيلاتنا الصاروخية من قاعدة بور سعيد للمرور بغرض اكتشاف وتدمير اى وحدات بحرية معادية تقترب من منطقة رمانة بالذات .

وفى حوالى الساعة ٢٣٥، اكتشف هذا التشكيل هدفا بحريا

متوســـط الحجم ، ودارت معركة بحرية انتهت حوالى الساعة ٤٣٠ ، باغراق الوحدة الاسرائيلية وعودة تشكيلنا سالما الى قواعده ..

اما فى البحر الأحمر فكان صيد غواصاتنا فيه وفيرا ، اذ بينما هى تقلق البحر عند منتصفه قرب بور ســـودان فى وجه الملاحة الاسرائيلية تظهر امامها سفينة اسرائيلية ، كانت قد دخلت هذا البحر قبل السادس من اكتوبر ، وتمر امام غواصة لم تجد صعوبة فى اصابتها بطوربيدين من عيار ٢١ بوصة فجنحت السفينة على جانبها الايمن واستمرت تميل حتى انقطعت أخبارها .

وبعد هذا الحدث ، وحتى انتهاء الحرب ، والملاحة الاسرائيلية فى البحر الاحمر متوقفة تماما .. فلم تعبر هذا البحر المحاط بدول عربية من جميع الجهات سفينة اسرائيلية واحدة .

وفى هذه الليلة نفسها قامت الضفادع البشرية باغارة ناجحة على مرسى تلمت حيث يتمركز حفـــار يعمل لصالح اسرائيل ، فلم تجد ضفادعنا صعوبة فى تلغيم الحفار وتعطيله عن العمل تماما .

ولن ينسى الأسطول الاسرائيلى ابدا ليلتى ٩/٨ و ١٦/١٥ اكتوبر ١٩٧٣ فخلال هاتين الليلتين دارت المعركتان العظيمتان بين لنشـــات الصواريخ المصرية من جهة وبين لنشـــات سعر الاسرائيلية من جهة اخرى ..

فقد رصدنا فى المعركة الاولى (٩/٨) وحدات العـــدو بمجرد أن غادرت ميناء عتليت الساعة ١٣٣٠ تقريبا ، وظلت أجهزة الاستطلاع المصرية تتابع تحركات تشكيل العدو على حين لنشات صواريخنا تعد له كمينا بحريا فى مكان منتخب بعناية بالغة .. لقد قدرت القوات البحرية مكان المعركة بين دمياط والبرلس ، وكان تشكيل العدو مكونا من ثلاث مجموعات كل من ثلاث وحدات ، واستمر تدفق المعلومات عن العدو لمركز قيادة التشكيل البحرى المصرى .

وبمجرد دخول وحدات العدو فى مدى صواريخنا اصدر قائد التشكيل أوامره بالاشتباك ، وهكذا دار اول تراشق فى التاريخ الحديث بالصواريخ الموجهة بحر ــ بحر .

وبفضـــل طول مدى صواريخنا عن صواريخ العدو ، ودقة اجهزة توجيـه الصواريخ وأجهزة الاكتشاف فاجأت صواريخنا العدو وهو مازال متخذا تشكيل الابحار . وأطلق التشكيل المصرى صواريخه الموجهـة

فأصابت أهدافها بدقة متناهية ، وما هى الا لحظات معدودة حتى كانت أربع قطع من تشكيل العدو البحرى تأخذ طريقها الى القاع .. القاع ..

وعبر الفريق اول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة فى برقيته الى قائد اللواء الثانى لنشات الصواريخ عن شكر وتقدير جميع أفراد القـوات المسلحة ، بل كل المواطنين ، الذين تابعـوا بالاهتمام والاعزاز نتائج المعركة التى اضافت الى رصيد قواتنا البحرية نصرا جديدا بالتسجيل والاشادة » ..

اما معركة ١٦/١٥ فكانت جد مختلفـــة ، اذ غادر فى تلك الليلة سرب من لنشات الصواريخ المصرية الاسكندرية تحت جنح الظلام فى سرعة بطيئة حتى لا يكشفه العـدو . وكلفت القيـادة هـذا السرب بالانتظـار فى مرسى أبى قير حيث يتم توجيه ضربة صاروخية ضد اى أهداف تقترب من المنطقة بين رشيد وابى قير او تحاول الاقتراب من الاسكندرية من جهة الشرق .

وحوالى الساعة ١٢٣٠ يوم ١٦ اكتوبر غير التشـكيل البحرى المصرى خط سيره ليدخل مرسى ابى قير ويربط خلف جزيرة دسوقى ، ولكن قبل الاستقبال وفى الساعة ١٢٧٠ اكتشـف التشكيل هدفين بحريين فتوجه للاشتباك معهما . وقبل اطلاق الصواريخ ظهر هدفان جديدان فصاروا اربعة تعمـل فى مجموعتين يفصلهما حوالى اربعـة أميال بحرية .

وفى الساعة ١٣٥ ، اطلق التشكيل المصرى صواريخه على لنشات العدو كما اطلقت الصواريخ الساحلية نيرانها على نفس التشـكيل . وفى برهة وجيزة كان لنشان من الاربعة يغرقان . اما الثالث فقد أصيب وشحط امام رشيد ، ولم يبق من هـذه المجموعة المعادية الا لنش واحد .

وفى فجر يوم ١٦ اكتوبر كانت طائراتنـا تهاجم اللنش المصـاب لتتم الاجهاز عليه .

وتمكنت عناصر استطلاعنا البحرى من الحصـول على صاروخ جابرييل كامل تقريبا من حطام ذلك اللنش . وقامت عناصرنا الفنيـة بدراسته لكشـف حقيقة تلك الهالة التى احاطت اسرائيل بها ذلك الصاروخ . وبعد الدراسة اتضح ان الصاروخ جابرييل مجمع من مكونات فرنسية وايطالية ، وبه بعض الاضافات الاسرائيلية البسيطة ، كما ظهر

ايضا انه اقل كفاءة بكثير من الصواريخ السوفيتية الموجودة فى تسليح القوات البحرية المصرية ، سواء من حيث تأثير الراس المدمرة أو المدى أو كفاءة التوجيه .

وكانت عملياتنا البحرية لعرقلة خطوط مواصلات العدو البحرية مؤثرة للغاية . ولعل أهم نتائج الحرب البحرية فى جولة أكتوبر ١٩٧٣ انه قد ثبت لاسرائيل بما لا يدع مجالا للشك ان خطوط مواصلاتها البحرية مهددة اذا استمرت لرفض السلام القائم على العدل . وان حجج اسرائيل فى التمسك بمنطقة شرم الشيخ أوهى من بيت العنكبوت .

فمع بداية العمليات اصدرت وزارة خارجيتنا فى الساعة ١٦٠٠ يوم ٦ اكتوبر اعلانا بتحديد منطقة معينة تعتبر الملاحة الدولية خطرا فيها لكونها منطقة عمليات بحرية ، وناشدت جميع الدول اخطار سفنها بالابتعاد عن تلك المنطقة حرصا على سلامتها ، وكذلك اعلنت وزارة الخارجية السورية نفس الأمر بالنسبة لمنطقة عمليات البحرية السورية .

وخلال فترة العمليات اغرقت غواصاتنا فى البحر الأبيض المتوسط سفينتين للعدو ، كما اصابت غواصات البحر الأحمر سفينة أخرى كما سبق ذكره .. يحتمل ان تكون قد غرقت فيما بعد .

وطبيعى الا تعلن اسرائيل عن خسائرها هذه حتى لا تبث الذعر بين بحارة اسطولها التجارى ؛ فمعظمهم اجانب من دول أخرى ..

وعند باب المندب ، باشرت المدمرات حق الزيارة والتفتيش واعتراض السفن التجارية ، وقد بدأ هذا النشاط مع بداية العمليات ، واستمر حتى نهايتها .

وفى مدخل خليج السويس ، وحتى نحرم العدو من نهب حقول البترول فى بلاعيم ، زرعنا الالغام وصرنا نكثفها بصفة مستمرة ، فغرقت للعدو سفينة بترول ضخمة حمولتها ٤٦ الف طن هى السفينة سيروس فضلا على سفينة أخرى حمولتها ٢٠٠٠ طن .

لقد نجح سلاح الالغام البحرية فى ان يلقى على كاهل العدو عبئا ثقيلا لانه لم يكن يملك سفنا لكسح هذه الالغام ولا خبرة او فنا فى طريقة كسحها .

وهكذا تمكنت قواتنا البحرية من قطع خطوط مواصلات العدو البحرية طوال الحرب . فمن بين ٢٠٠ سفينة كانت تدخل موانى اسرائيل من البحر المتوسط شهريا انخفض العدد فيما بين ٦ ، ٢٠ اكتوبر

ليصبح ٢٣ سفينة فقط . اما فى البحر الأحمر فكان القطع تاما ، اذ لم تترك سفينة اسرائيلية واحدة تخرج او تدخل الى ميناء ايلات طيلة الحرب . وقد قرأ الجميع على صفحات الجرائد آثار قفل باب المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

وعن الصاعقة البحرية فقد كان سجلها حافلا بالنشاط ، اذ اغارت الضفادع البشرية ليلة ٨/٧ اكتوبر على مرسى بلاعيم ، ونسفت حفار البترول المتمركز فيها .

وفى ليلة ١٠/٩ اغارت فصيلة من الصاعقة البحرية على منطقة ابو دربه على خليج السويس ، وقامت بتلغيم مفارق الطرق ، ونسف مستودعات البترول الموجودة فى هذه المنطقة .

وفى ليلة ١٦/١٥ تمت عملية اغارة ناجحة بواسطة الصاعقة البحرية على منطقة الشيخ بيتان جنوب الطور .

وحاول العدو دون جدوى أن يغير بوحدات من الكوماندوز على قواعدنا البحرية ، اذ دمرنا له فى الغردقة قارب مطاط بطاقمه من الضفادع البشرية شرق جزيرة جيفتون بالبحر الأحمر صباح يوم ١٢ اكتوبر .

وفى ليلة ١٢/١١ اكتوبر حاول العدو القيام بعملية اغارة بقواته الخاصة على مرسى السادات والادبية ولكنه فشل فى الوصول الى البر ودمرنا له لنشا مسلحا طراز دبور علاوة على عدد من القوارب المطاط المحملة بالكوماندوز .

وفى ليلة ١٧/١٦ حاول العدو الاغارة بواسطة الضفادع البشرية على قاعدة بور سعيد وكنا له بالمرصاد فاصبنا له قارب مطاط غرق قبل الوصول الى الميناء ، وتم تدمير مجموعة الضفادع البشرية المعادية بالميناء ، وانتشلت جثث افرادها .

وعندما ايقن العدو من فشله فى مواجهة قواتنا البحرية او التصدى لها ركز اعماله العدائية ضد سفن الصيد المدنية ، فهاجم مجموعة من لنشات الصيد فى مرسى راس غارب فى البحر الأحمر ، وذلك فى ليلة ١٥/١٤ اكتوبر .

وكان من اهم اسباب نجاح قواتنا البحرية الاستطلاع الدقيق والتنسيق الوثيق بين القوات البحرية المصرية والقوات البحرية السورية مما ادى الى حرمان العدو من مفاجأة البحرية المصرية او السورية طوال مدة العمليات .

وأخيرا ، يظهر كشف حساب القوات البحرية المصرية فى حرب رمضان انها قد خاضت اربع معارك رئيسية بالصواريخ البحرية ، وقصفت اثنى عشر هدفا ساحليا للعدو ، واغرقت خمس سفن (منها ناقلتا بترول) وصدت بنجاح تسع هجمات بحرية للعدو ضد سواحلنا ، ونفذت اربع عمليات خاصة ..

وبذا تكون بحريتنا قد اغرقت للعدو تسعة وعشرين قطعة بحرية من أنواع مختلفة ، منها سبعة لنشات صواريخ ، وناقلة مجهزة لحمل طائرات الهليكوبتر ، وناقلة بترول متوسطة وأخرى صغيرة ، وثلاث سفن .. كما أصابت سبع قطع أخرى ، وأسقطت للعدو اثنتى عشرة طائرة هليكوبتر ..

وكان ذلك سجل فخار لقواتنا البحرية العريقة .

الباب السادس

حرب المائة يوم

مرحلة الصراع السياسي

من ١٧ اكتوبر ١٩٧٣ الى ٢٥ يناير ١٩٧٤

● ان الجهود السياسية التي بدأت اثناء القتال وفي أعقاب توقفه ، في محاولات متعاقبة ومكثفة لتهدئة الموقف وتهيئة المناخ المناسب لحل الأزمة سياسيا . هذه الجهود لم تبدأ من فراغ . ولكنها كانت انعكاسا طبيعيا وضروريا لحقائق الموقف العسكري في جبهتي القناة والجولان ، والموقف السياسي العام .

وليس ثمة شك في أن اسرائيل كانت حتى ذلك الوقت قد منيت بخسائر فادحة ، وأن قواتها المسلحة فقدت توازنها وفاعليتها ، وأنه لولا التدخل الأمريكي السريع ، وأعمال الانقاذ العاجلة ، لانهارت القوات المسلحة الاسرائيلية بعد اليوم العاشر من القتال ، واستحال عليها مواصلة الحرب .

وهكذا تمكنت المساعدات العسكرية الأمريكية العاجلة من انعاش القوات المسلحة الاسرائيلية ، وتزويدها بالقدرة على الاستمرار والحركة ، وقد استغلت القيادة الاسرائيلية ذلك في مغامرة لقلب ميزان الموقف العسكري ، بعملية فتح ثغرة الدفرزوار ، لدفع قواتها غرب قناة السويس .

ومع تطور المغامرة الاسرائيلية كان الموقف الاستراتيجي للقوات

الاسرائيلية يزداد سوءا ، اذ أصبحت هذه القوات شديدة التعرض لخطر الانشطار والعزل ، مما أدى الى خلق موقف يتسم باختلال الاتزان الاستراتيجى ، فضلا عن الامتداد الكبير لخطوط المواصلات الاسرائيلية المعرضة ، ونجاح القوات المصرية فى الغرب فى احتواء الجيب الاسرائيلى بعملية حشد سريعة ومكثفة • وضعت القوات الاسرائيلية المحصورة داخله فى موقف شديد الحرج والخطر ، وجعلت من عنق الزجاجة الذى حدث فى منطقة الدفرزوار شريان الحياة الوحيد • فاذا ما انقطع او اغلق انحصرت القوات الموجودة غرب القناة ، وامتنعت عنها اسباب الحياة •

ولقد أدركت رياسة الاركان العامة وقيادة المنطقة الجنوبية الاسرائيلية هذه المخاطر منذ البداية ، وحاولت أن تضع حدا لها • غير أن طموح بعض القادة العسكريين الاسرائيليين وقف حائلا دون ايقاف تدهور الموقف الاستراتيجى العام للقوات المسلحة الاسرائيلية •

واضطرت القيادة الاسرائيلية أن تركز كل جهودها ، وما تحت يدها من امكانيات وقدرات لحماية وتأمين قواتها المعرضة للابادة فى اية لحظة داخل مصيدة الموت •

وفى الوقت نفسه كانت القوات المسلحة المصرية ـ رغم خسائرها ـ تقف فى الشرق والغرب قوية متماسكة ، قادرة على مواصلة القتال العنيف ، كما كانت الصورة الجديدة للجندى المصرى كمقاتل كفء قادر على استخدام احدث الأسلحة بمهارة ماثلة أمام أعين القادة الاسرائيليين • لذلك كان لزاما عليهم الا يقنعوا بعلاج الموقف عسكريا ، اذ أن المزيد من التورط العسكرى لن يحسن الموقف ، بل قد يزيده سوءا •

وهكذا أصبح العمل السياسى ضرورة لا غنى عنها لتهدئة الموقف بالسعى الى ايقاف القتال ، وفرض وقف اطلاق النيران •

وكان الالتزام الأمريكى بضمان امن وسلامة اسرائيل ـ والذى يمثل خطا استراتيجيا رئيسيا فى السياسة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط ـ بمثابة منطلق العمل الأمريكى فى هذا المجال •

ولهذا سارع الرئيس نيكسون بتخصيص مبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار لتوفير الدعم العسكرى السريع لاسرائيل دون انتظار موافقة الكونجرس الأمريكى ، كما سارع بفتح مستودعات الأسلحة الأمريكية الحديثة فى مختلف أنحاء العالم لتتدفق منها الأسلحة والمعدات فى شكل جسر جوى وبحرى غزير يصب فى اسرائيل ، مستخدما اراضى وسماء عدد من الدول ، دون انتظار الاذن منها •

وفى الوقت نفسه ارسلت الولايات المتحدة عددا كبيرا من المتطوعين للعمل على الأجهزة الالكترونية المعقدة التى وصلت اسرائيل وغيرها من المعدات التى يصعب تحديد حجمها او نوعها حتى اليوم ، وان اتفق دون شك ، أنها كانت فعالة ، وأنها شاركت بقدر كبير فى استعادة القوات المسلحة الاسرائيلية لتوازنها ، ولكثير من قدراتها المفقودة •

تطورات الموقف السياسى :

وفى خضم الأحداث العسكرية التى كانت تتوالى خلال فترة الحرب ، راح الموقف السياسى العالمى يتطور بدوره تطورا جذريا فى صالح العرب ، حيث تعاظم التأييد السياسى لوجهة نظرهم فى أنحاء العالم •

ولعل ابرز معالم هذا التطور واهم سماته ، ما حدث على المستوى الافريقى من قطع معظم دول هذه القارة علاقاتها السياسية والاقتصادية باسرائيل ، وادانتها بالعدوان ، وتحميلها مسئولية الأحداث التى كانت تدور وقتئذ فى الشرق الأوسط •

لقد بلغ عدد الدول الافريقية التى قطعت علاقتها باسرائيل خلال فترة الحرب ٢٢ دولة • على حين كانت هناك ٨ دول افريقية أخرى سبق أن قطعت علاقتها معها منذ عدوان ١٩٦٧ ، وبذلك لم يبق لاسرائيل علاقات سوى ٤ دول افريقية ، بالاضافة الى جنوب افريقيا •

واعلنت معظم الدول أن استمرار احتلال اسرائيل للاراضى العربية ، وتعنتها المستمر طوال السنوات التى أعقبت عدوانها عام ١٩٦٧ ، هما السبب الرئيسى فى نشوب الحرب هذه المرة ، وتعريض السلام العالمى للخطر •

وهكذا وجدت اسرائيل نفسها فى عزلة سياسية كاملة ولم يبق بين دول العالم أجمع من يقف بجوارها ويقدم لها المساعدات الفعالة سوى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى كانت مضطرة لاتخاذ هذا الموقف تنفيذا لالتزاماتها وحفاظا على خطها الاستراتيجى المرسوم لأسلوب عملها فى منطقة الشرق الأوسط •

ولم يقتصر تطور الموقف السياسى على تحقيق العزلة الكاملة لاسرائيل ، بل فى الوقت نفسه كان لاشتعال الحرب العربية الاسرائيلية فعل السحر **فى توحيد كلمة العرب** ، ووقوفهم صفا واحدا خلف مصر

وسوريا ، ومشاركتهم الفعالة بالمال والسلاح والقوات ، فى القتال الدائر بالمنطقة .

وكان لهذا الموقف العربي العظيم أثره الفعال فى تقييم دول العالم لحجم الصراع الدائر ، وفي اعادة النظر فى مواقفهم السابقة من القضية، واستبان للعرب أجمع ما تحققه لهم وحدة الكلمة ، كما استبان للعالم ان **وحدة العرب** التى خالها مجرد كلمة جوفاء ، يمكن أن تتحول فى لحظات **الى حقيقة واقعة وسلاح باتر ، يفرض تأثيره على المنطقة ، بل يمكن ان يمتد الى كافة انحاء العالم** . وهو ما حدث فعلا عندما أصر العرب على استخدام كل الأسلحة المتاحة لهم فى مواجهة العدوان ، وممارسة الضغط على من يؤيدون العدوان ويساندون المعتدين .

وجاءت الخطوة العربية الحاسمة في شكل اعلان من وزراء البترول العرب صدر يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ بتخفيض انتاج البترول بنسبة ٥ ٪ كل شهر ، الى أن تنسحب اسرائيل من الأراضى العربية ، وتعود حقوق شعب فلسطين .

وكان لهذا القرار دوى هائل فى العالم ، وشكل دون شك الانطلاقة الرئيسية لمرحلة الصراع السياسى فى ادارة الحرب العربية وكفاحنا الضارى ضد الصهيونية ، ضمن اطار عام من الاستراتيجية الشاملة ، التى تنظم وتوجه كافة القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية لخدمة هذا الصراع وتحقيق أهدافه العادلة ، التى تركزت فى الميدانين الأساسيين : استعادة كافة الاراضى العربية المحتلة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين .

وقد ازداد تأثير هذا القرار فاعلية وعمقا عندما أعلنت الدول العربية المنتجة للبترول تباعا فيما بين ١٨ و ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ قراراتها بوقف تصدير البترول الى الولايات المتحدة الأمريكية والدول المؤيدة لاسرائيل .

وفى الساعة ٠٦٥٠ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ بتوقيت القاهرة صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الخاص بايقاف اطلاق النيران فى الشرق الأوسط ، وتضمن ما يلى :

١ - مطالبة جميع الأطراف المشتركة فى القتال الدائر بوقف اطلاق النيران ، وانهاء جميع الأنشطة العسكرية فورا ، ليس متأخرا عن ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار ، فى كافة المواقع التى يحتلونها الآن .

٢ - دعوة الأطراف المعنية ، للبدء فورا - بعد وقف اطلاق النيران - فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه .

٣ - البدء فورا مع وقف اطلاق النيران بعقد المفاوضات بين الأطراف المعنية ، وتحت اشراف مناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .

وقد وافقت كل من مصر واسرائيل على تنفيذ القرار فى الموعد المحدد ، وهو الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأعلنتا ذلك . كما التزمت مصر باحترام كلمتها وتنفيذ القرار ، فأصدرت القيادة العامة أوامرها الى جميع القوات باحترام قرار وقف اطلاق النيران ، وتنفيذه بكل دقة فى الموعد المحدد .

غير أن اسرائيل نقضت تعهداتها ، فلم تلتزم بالقرار ، وأمرت قواتها بالاندفاع جنوبا فى اتجاه السويس ، وبهذا خرقت قرار مجلس الأمن ، قبل أن يمضى على تنفيذه بضع ساعات . ومن المعروف أن اسرائيل قد اعتادت ذلك التصرف كلما ضاق بها الامر، لتخرج من أى مأزق استراتيجى خطير تجد نفسها قد تورطت فيه ، واليك الآتى :

١ - كانت المساحة التى شغلتها القوات الاسرائيلية غرب القناة حتى ٢٢ أكتوبر محدودة للغاية ، اذ لم تتجاوز المنطقة بين الدفرزوار وفايد ، وكان تمركز القوات الاسرائيلية داخل هذه المساحة الصغيرة يعرضها للوقوع فى مصيدة القوات المصرية .

٢ - ومن ناحية أخرى فان توقف القوات الاسرائيلية على خطوط ٢٢ أكتوبر لم يحقق لهذه القوات أية مزايا استراتيجية ، كما أنه لا يؤثر فى موقف القوات المصرية شرق القناة ، أو فى خطوط امدادها ومواصلاتها ، ولذلك فهو موقف عديم القيمة الاستراتيجية .

وبادراك القيادة الاسرائيلية كل ذلك ، انتهزت فرصة ايقاف النار - الذى أعلنت عن قبوله وشيكا - فدفعت بقواتها جنوبا فى اتجاه السويس ، ليلة ٢٢/٢٣ أكتوبر ، ضاربة بالقرار عرض الحائط .

وكان لهذا العمل الغادر - الذى يعكس نمط الانتهازية اللا اخلاقية المترسب فى الذات اسرائيلية - أثره فى الموقف العسكرى .

وأطلقت الأركان العامة قواتها الجوية بكثافة عالية ضد الجيش الثالث شرق القناة على امتداد أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ أكتوبر ، وضد مدينة السويس كذلك .

وكان الغرض من وراء هذا العدوان بالدرجة الأولى تحقيق كسب سياسى معنوى ذى دوى يغطى على الموقف الاستراتيجى السيء .. وذلك بالاستيلاء على مدينة السويس ذات الشهرة العالمية لارتباطها بالقناة . بل تسرعت الدعاية الاسرائيلية فاعلنت عن سقوط المدينة وتعيين حاكم عسكرى اسرائيلى لها .

ولكن القوات الاسرائيلية فشلت فى تحقيق هذا الهدف ، وخسرت الكثير من قواتها ومدرعاتها التى حاولت اقتحام المدينة .

كما كان الغرض بالدرجة الثانية من هذا العدوان تحقيق كسب عسكرى كبير ، وذلك بحصار قوات الجيش الثالث الموجودة شرق القناة ، واجبارها على الاستسلام تحت ضغط الضربات الجوية المركزة ، التى استمرت تنهال عليها بكثافة شديدة عدة أيام .

واذا كانت القوات الاسرائيلية قد نجحت فى قطع خطوط الامداد لهذه القوات فانها لم تحقق هدفها الرئيسى ، وهو اجبار القوات المصرية المعرضة لضغط الحصار والقصف الجوى على التسليم .

لقد حدث العكس تماما ، اذ ازدادت هذه القوات صمودا وتماسكا، وبدت اشد صلابة فى القتال . وكان استعدادها كاملا لمواصلة الحرب حتى النهاية . ويمكن القول أن هذا الموقف السياسى والعسكرى كان لهما الأثر الكبير على الموقف الاستراتيجى والسياسى العام فى المنطقة .

وفى اليوم التالى لخرق وقف اطلاق النيران ـ يوم ٢٣ أكتوبر ـ سارع مجلس الأمن الى الاجتماع ، وأصدر قراره رقم ٣٣٩ يؤكد قراره السابق بوقف القتال وانهاء جميع العمليات الحربية ، ويطالب بأن تنسحب القوات الى مواقعها التى كانت تحتلها لحظة تنفيذ وقف النيران . كما أوصى المجلس السكرتير العام باتخاذ الاجراءات اللازمة لارسال مراقبى الأمم المتحدة فورا لمراقبة التزام قوات اسرائيل وقوات جمهورية مصر العربية بوقف النيران .

ولم تكن اسرائيل قد حققت شيئا يذكر حتى ذلك اليوم . ولذا استمرت فى تجاهل قرارات مجلس الأمن ، وواصلت اعتداءاتها العسكرية فى منطقة السويس رغم تكبدها خسائر جسيمة .

واضطر مجلس الأمن للعودة الى الانعقاد يوم ٢٥ أكتوبر ، ليصدر قراره رقم ٣٤٠ بشأن تشكيل قوة طوارىء تابعة للأمم المتحدة ، ونص هذا القرار على ما يلى :

« ان مجلس الأمن ، اذ يشير الى قراريه رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ورقم ٣٣٩ الصادر فى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، يلاحظ بأسف الانتهاكات المتكررة لوقف اطلاق النار ، ومخالفة القرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ ، كما يلاحظ بقلق ـ استنادا الى تقرير السكرتير العام ـ أن المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة لم يتمكنوا حتى الآن من اتخاذ مواقعهم على جانبى خط وقف اطلاق النيران .

- أولا : يطالب بالالتزام بوقف اطلاق النيران الكامل فورا ، وبانسحاب الأطراف المعنية الى المواقع التى كانت تحتلها فى الساعة ١٦٥٠ (بتوقيت جرينتش) يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .
- ثانيا : يطلب من السكرتير العام أن يتخذ اجراء فوريا بزيادة عدد المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة على الجانبين .
- ثالثا : يقرر أن يتم فورا انشاء قوة طوارىء تابعة للأمم المتحدة ، تحت سلطة مجلس الأمن ، ويفوض السكرتير العام سلطة ايفادها على الفور الى المنطقة ، على أن يقدم تقريرا خلال ٢٤ ساعة عن الاجراءات التى اتخذت لهذا الغرض .
- رابعا : يطلب من السكرتير العام أن يقدم الى المجلس تقارير عاجلة ومنتظمة عن حالة تنفيذ هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ .
- خامسا : يطالب جميع الدول الأعضاء بتقديم تعاونها الكامل فى تطبيق هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ .

وعلى ضوء هذا القرار حدد الدكتور كورت فالدهايم طبيعة عمل قوة الطوارىء الدولية لتكون كالآتى :

١ ـ الاشراف على تطبيق الفقرة الأولى من قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٠ ، التى تنص على ضرورة اقرار وقف النيران فورا وبصورة كاملة ، وان على الأطراف المتنازعة أن تعود الى المواقع التى كانت تحتلها يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

٢ ـ أن تبذل القوات قصارى جهدها لتفادى استئناف القتال .

٣ ـ أن تتعاون القوات فى نطاق مهامها مع المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة . وقد عهد الى الجنرال الفلندى أنزيو سيلاسفيو بقيادة قوات الطوارىء الدولية فى المنطقة .

الاجتماعات العسكرية :

المرحلة الأولى من محادثات الكيلو متر ١٠١ :

تمت الموافقة يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ على عقد اجتماعات عسكرية بين الجيشين المصري والاسرائيلي لبحث الموضوعات المترتبة على قرارات وقف النيران ، والمشاكل الناجمة عن خرق اسرائيل لهذه القرارات ٠

واشترطت مصر شرطين أساسيين لعقد هذه الاجتماعات :

١ ـ أن تتم الاجتماعات بغرض مناقشة الجوانب العسكرية المتعلقة بتنفيذ قراري مجلس الأمن ٣٣٨ و ٣٣٩ الصادرة في ٢٢ ، ٢٣ أكتوبر ٠

٢ ـ أن تتم الاجتماعات تحت اشراف قوات الطوارىء الدولية ، وتحت علم الأمم المتحدة ٠

وفي الساعة ٠١٤٥ بعد منتصف ليلة ٢٨ أكتوبر عقد الاجتماع الأول في منطقة الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة ـ السويس ، واستمر الاجتماع حتى الساعة الرابعة صباحا ٠

وقد ركز الجانب الاسرائيلي على عدة نقاط كان أهمها : ضرورة المحافظة على وقف النيران ، وترتيب تبادل أسرى الحرب ، وفك الحصار المصري على باب المندب ٠

كما حاول الجانب الاسرائيلي منذ البداية أن يتفادى الالتزام بتنفيذ قرار مجلس الأمن القاضي بالعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ كان واضحا لها أن الالتزام بتنفيذ هذا القرار يعني بالضرورة عودة قواتها الى الموقع الاستراتيجي السيء الذي كانت عليه في هذا اليوم ، والذي قامت من أجل تحسينه بخرق وقف اطلاق النيران ٠ ولذلك سارع الجانب الاسرائيلي بتقديم أفكار أولية عن ترتيبات الفصل بين القوات لتجنب الاحتكاكات العسكرية دون الاشارة الى هذا الالتزام ٠ وبدأ يتحدث عن انسحاب يجريه الجانبان على ضفتي القناة ، على أن تحتل قوات الأمم المتحدة المواقع التي تخليها قوات الجانبين ٠

أما الجانب المصري فقد ركز على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ ، الذي ينص على عودة القوات الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وازالة الآثار المترتبة على خرق اسرائيل للقرار رقم ٣٣٨ ، وذلك كمنطلق لحل جميع المسائل الأخرى ٠ غير أن الجانب الاسرائيلي ـ أعلن أنه غير مفوض لبحث تنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بعودة القوات الى مواقع

٢٢ أكتوبر ـ باعتباره موضوعا أساسيا ـ في الوقت نفسه رفض الجانب المصري الاقتراح الاسرائيلي الخاص بالانسحاب المتبادل على جانبي القناة ٠

وخلال الاجتماعات التالية دارت المناقشات حول الموضوعات العاجلة التي يمكن أن تدعم قرار وقف النيران ، وتهيء المناخ المناسب للخطوات التالية ٠ وأبدت اسرائيل اهتماما كثيرا بمسألة تبادل الأسرى ، وخاصة الجرحى منهم ٠ كما اهتمت مصر بموضوع امداد منطقة السويس وشرق القناة بمواد الاعاشة والرعاية الطبية وتنظيم ذلك بشكل مناسب ٠

كما أوضح الجانب المصري أنه مع اهتمامه بالاجراءات العاجلة اللازمة لدعم وقف النيران الا أن ذلك يعتبر موضوعا فرعيا ، وأكد أن الاجراءات الفعالة يجب أن تتضمن تمركز قوات الأمم المتحدة بين القوات ، والانسحاب الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

غير أن الجنرال أهارون ياريف دفع بأنه مع رغبة اسرائيل الحقيقية في فض الاشتباك بين القوات الا أن العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ تعتبر مستحيلة من وجهة نظر اسرائيل ، وأنه من الضروري أن يتم الانتقال الى خطوط جديدة في شكل « خطوة كبيرة » ، وأعاد طرح اقتراحه السابق الخاص بالانسحاب المتبادل ٠

وكان رأي مصر واضحا ومحددا تماما بشأن رفض الارتداد المصري عن أية مناطق شرق القناة ، أو التنازل عن أية مكاسب عسكرية ٠

ومع سير المناقشات كان واضحا خلال هذه المرحلة عدم جدية اسرائيل في حل مسألة فض الاشتباك ، أو قبول العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ٠ وأن دخولها هذه المباحثات كان بغرض المساومة للوصول الى حل لمشاكلها العسكرية التي تمثل ضغطا داخليا عليها ، وخاصة موضوع أسرى الحرب ٠

ومع استمرار اصرار الجانب المصري على العودة للموضوعات الرئيسية وقرارات مجلس الأمن ، ظهر واضحا أن المباحثات سوف تنتهي الى طريق مسدود ، وخاصة حين طالب الوفد المصري في اجتماع ٣ نوفمبر بضرورة تقديم ردود محددة من اسرائيل على هذه الموضوعات الرئيسية ٠ ثم تأجلت الاجتماعات حتى تصل هذه الردود ٠

وفي الوقت نفسه بدأ المستر جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يجري اتصالات عاجلة بغرض انقاذ المباحثات من الفشل الذي بات يلوح في الأفق القريب ٠

وفي ٨ نوفمبر ١٩٧٣ طلب الجانب الاسرائيلي عقد اجتماع مع الجانب المصري . واوضح أن موضوع فض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر هو موضوع أساسي ومحل دراسة جادة من الحكومة الاسرائيلية تمهيدا لمناقشته . كما طرحت للمناقشة المسائل الخاصة بامداد السويس باحتياجاتها ، وتنظيم تبادل الجرحى والأسرى .

وكانت النقاط التي نوقشت في هذا الاجتماع هي في الواقع النقاط الأساسية في الاتفاقية — التي عرفت باتفاقية النقاط الست — والتي أرسلت بنودها الى السكرتير العام للأمم المتحدة عن طريق الولايات المتحدة حتى يتم توقيعها تحت اشراف الأمم المتحدة .

وقد أعلنت الحكومة الأمريكية يوم ٩ نوفمبر أن مصر واسرائيل قد وافقتا على اتفاقية من ست نقاط ، تهدف الى تمهيد الطريق أمام المحادثات للوصول الى تسوية دائمة في الشرق الأوسط .

وفي يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع في الكيلو متر ١٠١ تحت اشراف الأمم المتحدة لتوقيع « اتفاقية النقاط الست » . ووقعها اللواء محمد عبد الغني الجمسي عن جمهورية مصر العربية ، والجنرال اهارون ياريف عن اسرائيل ، والجنرال أنزيو سيلاسفو عن الأمم المتحدة . وقد تضمنت الاتفاقية النقاط الست التالية :

١ — توافق مصر واسرائيل على الالتزام بدقة بوقف اطلاق النيران الذي دعا اليه مجلس الأمن .

٢ — يوافق الجانبان على اجراء مناقشات تبدأ فورا لتسوية مسألة العودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ، في اطار اتفاق بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة .

٣ — تتلقى مدينة السويس امدادات يومية من الأطعمة والمياه والأدوية ويتم اخلاء جميع المدنيين الجرحى من مدينة السويس .

٤ — عدم اعاقة الامدادات غير العسكرية الى الضفة الشرقية لقناة السويس .

٥ — تحل نقاط مراقبة تابعة للأمم المتحدة محل نقاط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة — السويس ، وعند نهاية الطريق قرب السويس . ويستطيع الضباط الاسرائيليون أن يشتركوا مع الأمم المتحدة في الاشراف على الطبيعة غير العسكرية للشحنات عند ضفة القناة .

٦ — بمجرد اقامة نقاط المراقبة التابعة للأمم المتحدة على طريق القاهرة — السويس يتم تبادل جميع أسرى الحرب بما في ذلك الجرحى .

وقد اعتبرت هذه الاجراءات خطوة اخرى نحو تنفيذ الفقرة الثالثة من قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، والذي تقدم به كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، ووافق عليه المجلس .

اجتماعات عسكرية اضافية :

واعتبارا من يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ بدأت سلسلة من الاجتماعات العسكرية لبحث شروط تنفيذ الاتفاقية ، وخاصة الجداول الزمنية لتبادل أسرى الحرب والجرحى، وتنظيم مرور الامدادات واخلاء جرحى السويس ، وكذا أسلوب اخلاء طريق القاهرة — السويس وتسليمه لقوات الأمم المتحدة .

ثم انتقلت المباحثات بعد ذلك الى دراسة الفقرة الثانية من الاتفاقية ، والخاصة بفض الاشتباك والفصل بين القوات. وكان واضحا منذ بداية المباحثات أن اسرائيل لا تنوي العودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ، اذ تعتبر هذه العودة بمثابة وضع قواتها داخل مصيدة محاصرة بالقوات المصرية من كل جانب .

ولذلك راح الجانب الاسرائيلي يطرح مبادىء عامة عن فض الاشتباك ، واقترح الا يظهر فض الاشتباك كهزيمة لطرف من الأطراف ، وان يتم بالتحرك الى خطوط مؤقتة ولكنها مناسبة ، وانه من الضروري الاقلال من احتمالات الحرب وذلك بعودة الحياة الطبيعية والنشاط الاجتماعي الى المنطقة . كما تحدث كذلك عن مظاهر السيادة ، وعن ضرورة وجود منطقة عازلة بين قوات الطرفين .

وأجاب الجانب المصري فاظهر بعض الحقائق الأساسية التي كان من أبرزها : ان الأرض التي دارت عليها المعارك هي أرض مصرية أولا وأخيرا ، وان الشعب المصري هو الذي يعاني منذ عام ١٩٦٧ على حين لم تتعرض اسرائيل لأية معاناة . لذلك يجب أن يتم فض الاشتباك بارتداد القوات الاسرائيلية الى خط شرق القناة .

ورغم ان الجنرال ياريف وافق على أن يكون خط الانسحاب شرق القناة ، وأن يتم الانسحاب اليه فى مرحلة واحدة او مرحلتين ، الا انه عاد الى طرح مشروعاته القديمة . وكان اولها خاصا بالانسحاب المتبادل شرق وغرب القناة لمسافة معينة . اما ثانيها فكان خاصا بانسحاب القوات من الاراضى التى استولت عليها ، على ان تحل قوات الامم المتحدة محلها . وكان الاقتراح الثالث خاصا بسحب قوات الجيش الثالث من الشرق فى مقابل انسحاب قوات اسرائيل من غرب القناة .

ورفضت مصر هذه المشروعات الثلاثة . كما رفضت رفضا قاطعا اى مشروع يقوم على تخلى القوات المصرية عن مواقعها شرق القناة .

وقد لاحظ الجانب المصرى ان المحادثات بدأت تدور فى حلقة مفرغة بسبب مراوغة الجانب الاسرائيلى وتناقضه . فتارة يتحدث عن ضمانات الارتداد ، ومرة يطلب وقتا كافيا لبحث الموضوع ، ثم يعود الى مشروعات قديمة سبق رفضها ، او يدفع بانه غير مفوض بمناقشة الخطوط النهائية ، وان الحكومة فى انتظار نتيجة الانتخابات .

وكان لزاما ان يصر الجانب المصرى على تحديد موقفه ، وان يحاول دفع الجانب الاسرائيلى لاتخاذ نفس الموقف حتى تسير المباحثات فى اتجاهها الصحيح . ولذلك ركز على النقاط التالية :

١ ـ انه اذا لم يتم الاتفاق على خط مناسب شرق القناة ، فان اسرائيل ملزمة بتنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بالعودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

٢ ـ ان سير المناقشات بهذا الأسلوب مضيعة للوقت ، وليس من ورائها طائل .

٣ ـ ان اى خط لا يحقق تأمين مدن القناة لا يمكن قبوله .

٤ ـ انه من الضرورى أن تحدد اسرائيل بوضوح رأيها رسميا .

كما طالب الجانب المصرى ان يجيب الجانب الاسرائيلى على اسئلة محددة بشأن مكان الخط المنتخب ، والوقت اللازم لتنفيذ الانسحاب .

الاجتماع السابع عشر :

فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع عشر والاخير على امل ان يجيب الجانب الاسرائيلى على الأسئلة المحددة .

غير ان الجنرال ياريف لم يقدم الاجابات المطلوبة ، بل اعلن ان حكومته ترفض مناقشة العودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ، كما انها لا توافق على اسس المشروعات التى طرحها الجانب المصرى .

وازاء ذلك أوضح الجانب المصرى ان هذا الموقف الاسرائيلى يهدف الى الوصول بالمباحثات الى طريق مسدود ، ولذلك طلب وقف الاجتماعات الى ان تحدد اسرائيل موقفها .

ومن الواضح ان الحكومة الاسرائيلية كانت تسعى الى كسب الوقت ، وعرقلة الوصول الى قرار محدد بشأن فصل القوات فى هذه المرحلة . وقد أدلى المتحدث الرسمى لمصر ببيان قال فيه ان مصر قررت وقف مباحثات الكيلو متر ١٠١ نظرا لمراوغة اسرائيل المستمرة فى تنفيذ البند الثانى من اتفاقية النقاط الست ، التى تم توقيعها فى ١١ نوفمبر . كما أعلن أن مصر تحمل اسرائيل كل النتائج المترتبة على عدم تنفيذها لقرارات مجلس الامن الأخيرة .

وقد عقدت عشرة اجتماعات لبحث تنفيذ اتفاقية النقاط الست على امتداد ١٨ يوما خلال المدة من ١١ الى ٢٩ نوفمبر ، خصصت السبعة الأخيرة منها لتنفيذ البند الثانى الخاص بفض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

مؤتمر جنيف للسلام ولجنة العمل العسكرية :

بينما كانت الحرب فى اوج شدتها والقوات المسلحة المصرية تحرز النصر ، طرح الرئيس محمد انور السادات اقتراحا فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ امام مجلس الشعب يدعو فيه الى عقد مؤتمر للسلام يضم الأطراف المعنية ، على ان يكون الهدف منه :

١ ـ التوصل الى حل للازمة على اساس القرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن عام ١٩٦٧ ، وتحقيق الانسحاب من كافة الأراضى العربية المحتلة ، واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

٢ ـ ان يعقد هذا المؤتمر تحت اشراف الامم المتحدة .

وبعد اتصالات دولية عديدة اصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٨ يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، الذى نص على أن يبدا أطراف النزاع فى تنفيذ القرار ٢٤٢ ، وأن تبدأ المفاوضات تحت الاشراف المناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

وقد تم الاتفاق بعد ذلك على ان تجرى المباحثات فى مدينة جنيف السويسرية ، حيث المقر الأوربى للامم المتحدة ، على ان ينعقد المؤتمر خلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، وتحضره كل من مصر وسوريا والأردن واسرائيل والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وأن يشترك الفلسطينيون فيه فى مرحلة تالية ، وان يكون دور الامم المتحدة ووجودها مضمونين .

وقد قررت مصر حضور المؤتمر على الأسس التالية :

١ ـ الالتزام بقرار مؤتمر القمة العربى فى الجزائر فى ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ بأن العمل السياسى يكمل المعركة العسكرية ، ويعتبر استمرارا لها فى كفاح العرب ضد اسرائيل .

٢ ـ صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٣ فى ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ يحدد دور السكرتير العام وينص على انه دور أساسى وفعال .

٣ ـ موافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على عقد المؤتمر تحت اشراف الامم المتحدة ، وتحت الرياسة المشتركة لكل منهما ، واخطار السكرتير العام بذلك فى ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ . على ان يتولى الدعوة الى المؤتمر ، ورياسة مرحلته الافتتاحية .

وانعقد المؤتمر فى ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ . وحضره كل من مصر والاردن واسرائيل والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، على حين تخلفت سوريا . ورأسه السكرتير العام للامم المتحدة .

وعقدت ثلاث جلسات ، اثنتان منها مفتوحتان ، والثالثة سرية ، وقد حاولت اسرائيل التنصل من التزاماتها المترتبة على اتفاقية النقاط الستة ، والتهرب من موضوع الفصل بين القوات ، وذلك عن طريق عدم تضمين وفدها أعضاء من العسكريين . ولكنها عادت امام اصرار مصر فاعلنت عن استعدادها للمحادثات العسكرية ، وانها ستوفد عسكريين للاشتراك فى المؤتمر ، كما وافقت على أن تبدأ المباحثات يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .

ولما كانت مسألة الفصل بين القوات قد اعتبرت مسألة حيوية يجب البت فيها اولا قبل الدخول فى اية تفاصيل سياسية ، لذلك فقد وافق المؤتمر على ان يبدأ اعماله بمعالجة هذا الموضوع .

وفى يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ اصدر المؤتمر قراره الذى ينص على

أن تستمر اعماله من خلال تكوين مجموعة عمل عسكرية تبدأ فى مناقشة مسألة فض الاشتباك بين القوات ، على ان تقدم المجموعة توصياتها وتقريرها الى المؤتمر .

الاجتماعات الستة للجنة العسكرية :

عقدت الجلسة الأولى للجنة العسكرية فى مقر الأمم المتحدة بجنيف يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ تحت اشراف الأمم المتحدة . واستمرت جلسات اللجنة العسكرية فى جنيف حتى ٩ يناير ١٩٧٤ ، وعقدت خلالها ستة اجتماعات استمرت حوالى ١٥ ساعة .

وكان راى الجانب المصرى ان تبدأ المباحثات بمناقشة مبادىء محددة لمسألة فض الاشتباك والفصل بين القوات حتى يتم الاتفاق عليها كأساس ضرورى لتحديد الخطوط العريضة والرئيسية للموضوع . وانطلاقا من هذا المفهوم العام قدم الجانب المصرى خمسة مبادىء لفض الاشتباك تضمنت الآتى :

١ ـ ان يتم فض الاشتباك والفصل بين القوات بتحرك القوات الاسرائيلية من مواقعها غرب القناة الى خط يقع شرق القناة فى سيناء .

٢ ـ ان يكون هذا الخط على مسافة كافية من قناة السويس لتأمين منطقة القناة ومدنها ضد اى نشاط عسكرى .

٣ ـ الا تقل المسافة (الفاصل) بين القوات الرئيسية للجانبين عن اقصى مدى لأسلحة المدفعية المتوفرة لديهما (وهى مسافة يجب الا تقل عن ٣٥ كم) .

٤ ـ ان تحدد منطقة أمن امام القوات الرئيسية لكل جانب تعمل فيها عناصر تأمين القوات والوحدات المناسبة .

٥ ـ ان تنشأ منطقة عازلة بين الجانبين، تشغلها قوات الأمم المتحدة ، بحيث يسمح اتساع هذه المنطقة لقوات الأمم المتحدة بحرية الحركة والعمل .

وبعد مناقشة قصيرة قبل الجانب الاسرائيلى هذه المبادىء كأساس مناسب لفض الاشتباك ، ولكنه رأى أن يضيف اليها تحفظات محددة تكون بمثابة مبادىء اضافية . وتركزت هذه التحفظات فى ميدانين رئيسيين :

١ ـ ان يكون هناك توازن فى التزامات الجانبين ، اى ان يكون العمل متبادلا . بمعنى أن كل عمل يؤديه طرف يجب ان يقابله عمل مماثل يؤديه الطرف الآخر ، والا يتحمل طرف واحد كل شيء .

٢ ـ ان يشارك كل طرف ، الطرف الآخر فى حل مشاكله ، بمعنى ان يقبل الحلول الوسط .

وكان رد الجانب المصرى على ذلك ، ان هذين المبدأين هما من المبادىء السياسية التى تستخدم فى التسويات السياسية ، وليس لهما علاقة مباشرة بما تناقشه اللجنة العسكرية فى هذه المباحثات من مسائل عسكرية بحتة .. خاصة والفصل بين القوات له شروط ومواصفات فنية محددة لا تحتمل الحلول الوسط .

ورغم وضوح النوايا الاسرائيلية الكامنة خلف هذه التحفظات الملتوية ، الا ان الجانب المصرى رأى ان يطالب الجانب الاسرائيلى بمزيد من الايضاح .

وكشف الجانب الاسرائيلى عن نواياه ، فأوضح انه يلزم لتطبيق المبدأ الأول الا يجرى الانسحاب من جانب واحد ، بل ينبغى ان يتم الانسحاب بواسطة الجانبين ، وان كان ليس ضروريا ان يكون هذا الانسحاب بنفس القدر . وفى مجال شرح المبدأ الثانى ذكر الجانب الاسرائيلى ـ على سبيل المثال ـ أن شرط الانسحاب شرقا ليس ضروريا أن يرتبط بمسافة كبيرة تفصل بين قوات الجانبين .

وقد رفض الجانب المصرى فورا الأمثلة التى ساقها الجانب الاسرائيلى موضحا ما يلى :

١ ـ ان الأرض التى دار عليها القتال هى أرض مصرية ، ولذلك فان مبدأ تخلى مصر عن شبر واحد من الأراضى التى تقف عليها قواتها مبدأ مرفوض من أساسه ، اذ لا يجوز مطالبة القوات المصرية بالتخلى عن جزء من الأراضى المصرية مهما كانت الدوافع الى ذلك .

٢ ـ اما عن مسافة الانسحاب فقد حددتها مصر على اسس علمية فنية سليمة لكى تحقق فعلا مبدأ فصل القوات وفض اشتباكها ، ولذلك فان الاقلال من هذه المسافة لن يحقق فض الاشتباك طالما ان قوات احد الطرفين ما زالت واقفة داخل مرمى أسلحة الطرف الآخر ، الأمر الذى لا يمكن قبوله .

كما انه قد سبق لمصر أن شاركت فعلا فى حل المشاكل حين قبلت

اتفاقية النقاط الست ، وخاصة البند الثانى المتعلق بتدابير العودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ فى اطار اتفاق لفض الاشتباك والفصل بين القوات .

وكان ذلك يعنى مرونة أكثر تساعد اسرائيل فى الخروج من مازق العودة الى مواقع ٢٢ اكتوبر ، وما يترتب عليها من موقف استراتيجى سيء ، دعا اسرائيل الى رفض هذه العودة منذ البداية .

وعند هذه المرحلة من المناقشات التى استمرت ثلاث جلسات ، حدث تطور فى الموقف الاسرائيلى ، وان لم يخرج عن الخط العام الذى اتبعته اسرائيل منذ البداية ، وهو العمل على ان يكون انسحاب قواتها فى اضيق نطاق ممكن ، مع قبولها مبدأ الانسحاب الى الشرق .

وعرض الجانب الاسرائيلى نماذج مخططة لافكاره . كان احدها يدور حول الاقتراح القديم الخاص بالانسحاب المتبادل عن ضفتى القناة ، والذى سبق رفضه . وقد استبعد هذا النموذج . ثم جاء الآخر بفكرة أن تكون المسافة بين قوات الجانبين محدودة بمدى النظر بين الطرفين (أى ٣ ـ ٤ كم) . وردد الجانب الاسرائيلى أن انسحابه الى الشرق فيه تضحية استراتيجية كبيرة ، كما أن ضغط المسافة يعتبر ثمنا ضئيلا بالنسبة لما خسره الجيش الاسرائيلى من ارواح .

وقد نقد الجانب المصرى هذه المقترحات والتعلات ، واوضح ان الموقف العسكرى الاسرائيلى غرب القناة موقف استراتيجى سيء غير متوازن ، ولا يمثل اى قيمة عسكرية ، بل هو عبء عسكرى واقتصادى وسياسى كبير ، يضغط على كاهل اسرائيل وهى تسعى للتخلص منه ، وان هذا العمل العسكرى فى حد ذاته كان فى الأصل عملا نفسيا لرفع معنويات الشعب الاسرائيلى . لذلك فان التخلى عنه لا يعنى اى تضحية استراتيجية ، بل العكس هو الصحيح .

كما أوضح الجانب المصرى انه لاحظ كثرة ترديد الجانب الاسرائيلى لكلمة « الثمن » ، وان هذا يكشف لنا نمط الفكر الاسرائيلى الذى يسعى دائما الى الحصول على المكاسب ، والذى يتميز بالميل الشديد الى المساومة ، وان هذا الأسلوب لا يخلق سوى المعوقات والمشاكل ، الأمر الذى يستوجب ان تغير اسرائيل من نمطها الفكرى واسلوب تعاملها مع العرب اذا كانت تسعى حقا نحو السلام .

ثم تساءل الجانب المصرى .. الا يكفى ان يكون السلام ذاته ثمنا

تقبله اسرائيل ؟ وان يكون البعد على التضحية بمزيد من الأرواح ثمنا آخر مناسبا لاسرائيل ؟ !

ومع تطور المناقشات ، حاول الجانب الاسرائيلى ان يتفادى الحديث فى المبادىء والاسس الخاصة بفض الاشتباك ، والاغراق فى بحث التفاصيل العسكرية الفنية المتعلقة بفض الاشتباك ، وان يوجه المباحثات الى متاهات تحولها عن هدف الرئيسى وتجذبها بعيدا عن الخط المنطقى .

وفى اجتماع يوم ٩ يناير ١٩٧٤ (الاجتماع السادس والأخير) رفض الجانب المصرى هذه المراوغات ، واصر على ضرورة العودة الى اصل الموضوع قبل الدخول فى اية تفاصيل . كما اصر على ان يطرح الجانب الاسرائيلى افكاره المحددة عن فض الاشتباك فى شكل مشروع متكامل ، خاصة والجانب المصرى مستعد لطرح مشروعه فورا بشرط ان تطرح اسرائيل مشروعها المقابل .

واوضح الجانب المصرى ان استمرار المناقشة بهذا الاسلوب غير مجد ، ولابد من الانتقال الى جوهر الموضوع ، خاصة والانتخابات الاسرائيلية قد انتهت وظهرت نتائجها ، واصبحت الفرصة متاحة أمام الوفد الاسرائيلى لطرح افكاره .

ورد الجانب الاسرائيلى انه يأسف اذ ليست عنده افكار محددة ، كما ان الحكومة الاسرائيلية ما زالت تدرس الموضوع ، ولم تصل بعد الى قرار بشأنه . واقترح البدء فى مناقشة المشروع المصرى الى ان يتلقى التعليمات اللازمة من حكومته ..

ورفض الجانب المصرى هذا الاقتراح ، واعلن انه فى هذه الحالة يجب ايقاف الاجتماعات الى ان يتلقى الجانب الاسرائيلى تعليمات حكومته بشأن مشروع فض الاشتباك ، وابدى استعداده للاجتماع فى اى وقت تحدده اسرائيل .

وطلب الجانب الاسرائيلى مهلة اسبوع ، فتحدد يوم ١٥ يناير موعدا للاجتماع التالى . وفى يوم ١٠ يناير (اليوم التالى لوقف الاجتماعات) اعلنت الولايات المتحدة ان دكتور هنرى كيسنجر يعتزم التوجه الى مصر للمساهمة فى حل المشاكل القائمة . وبعد اجتماعه بالرئيس السادات فى اسوان يومى ١١ ، ١٢ يناير وطرحه مشروعا مقترحا للاتفاق ، توجه الى القدس يوم ١٢ واجتمع بالحكومة الاسرائيلية حتى ١٤ يناير ليقف على وجهة نظرها ، ثم تردد بين اسوان

والقدس ايام ١٤ ، ١٥ ، ١٧ يناير ١٩٧٤ ، حتى امكن التوصل بعد هذه الرحلات الاربع الى اتفاق قبلته مصر واسرائيل بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة ، واذيع هذا الاتفاق فى الساعة التاسعة من مساء ١٧ يناير بتوقيت القاهرة .

المرحلة الثانية لمباحثات الكيلو متر ١٠١ :

فى الساعة ١١٠٠ يوم ١٨ يناير ١٩٧٤ عقد الاجتماع الأول للمرحلة الثانية من مباحثات الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة — السويس . وقد راس اللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس اركان حرب القوات المسلحة الوفد المصرى المكون من اللواء طه المجدوب والعقيد أ.ح احمد فؤاد هويدى والمستشار فوزى الابراشى من وزارة الخارجية . على حين راس الجنرال دافيد اليعازار رئيس الأركان العامة الاسرائيلية الوفد المكون من الجنرال ابراهام آدن ، والكولونيل دوف زيون ، ومائير روزين المستشار القانونى بوزارة الخارجية الاسرائيلية . وجلس الجنرال انزيو سيلاسفيو قائد قوات الطوارىء الدولية على راس الاجتماع ، ومعه المسيو ريمى جورجيه مستشاره السياسى والدكتور جيمس جونا مستشاره القانونى .

وافتتح الجنرال سيلاسفيو الاجتماع معربا عن سروره بامكان التوصل الى اتفاق عسكرى بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة . وبعد ان تلا بنود الاتفاقية قدم اصولها للجانبين ، حيث وقع اللواء الجمسى عن الجانب المصرى ، ووقع الجانب اليعازار عن الجانب الاسرائيلى ، والجنرال سيلاسفيو عن الأمم المتحدة .

ونص الاتفاق على ان حكومتى مصر واسرائيل بمساعدة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وطبقا لقرار مؤتمر جنيف ، وقد توصلتا الى اتفاق لفك الاشتباك والفصل بين قواتهما المسلحة مع التمسك بوقف اطلاق النار وايقاف جميع الأعمال العسكرية وشبه العسكرية فى البر والبحر والجو .

وحدد الاتفاق الخطوط التى تنسحب اليها القوات الاسرائيلية ومناطق الفصل بين الجانبين والتى ترابط فيها قوات الأمم المتحدة — واوضحها على خريطة ارفقت بنص الاتفاق . كما تضمن توقيتات وضع تفاصيل خطة فك الاشتباك ، ونص على ضرورة انهاء اعمال الفصل خلال فترة لا تتجاوز ٤٠ يوما من بدء التنفيذ .

واختتم الاتفاق بالنص على :

« انه لا يعد الاتفاق سلام نهائى وانه يشكل خطوة أولى صوب سلام نهائى عادل ودائم طبقا لبنود قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ وفى اطار مؤتمر جنيف » .

وبعد انتهاء التوقيع وتبادل الوثائق ، بدأت مناقشة عامة حول الأسلوب الذى سيتبع فى تنفيذه ، وعرض الجانب المصرى عدة مبادىء رئيسية كان أهمها :

١ ـ ان ينفذ انسحاب اسرائيل من غرب القناة من الجنوب الى الشمال ، وعلى مراحل .

٢ ـ ان تنشأ منطقة عازلة من قوات الأمم المتحدة بين الطرفين فى كل مرحلة من مراحل الانسحاب .

٣ ـ ان يتم انشاء منطقة الأمم المتحدة الفاصلة بين القوات فى الشرق تدريجيا وعلى مراحل ، تبعا لخطة الانسحاب التى ستنفذها القوات الاسرائيلية .

وبعد ان وافق الجانب الاسرائيلى على هذه المبادىء، نوقشت الفكرة العامة لتنفيذ الفصل بين القوات ومراحله على خرائط قدمها الجانبان .

وفى الاجتماع الثانى يوم ٢٠ يناير استمرت المناقشات حول التنفيذ ، واستقر الرأى على الآتى :

١ ـ ان تنسحب القوات الاسرائيلية من غرب القناة خلال ٢٨ يوما ، وعلى اربع مراحل .

٢ ـ ان ترتد القوات الاسرائيلية شرق القناة الى الخط «ب» المبين على خريطة الاتفاق عند المضايق خلال ١٢ يوما ، وفى مرحلة واحدة .

٣ ـ ان يتم خلال الانسحاب الاسرائيلى من الغرب والشرق اعادة تنظيم أوضاع الطرفين على جانبى الخطوط المحددة .

٤ ـ ان تتخذ قوات الأمم المتحدة محلاتها فى منطقة عازلة بين الجانبين طوال فترة تنفيذ مراحل الانسحاب الاسرائيلى غرب وشرق القناة . وتحتل المنطقة العازلة بين الخط « أ » (خط القوات

المصرية شرق القناة) والخط «ب» (خط القوات الاسرائيلية عند المضايق) قبل نهاية الفترة المحددة لتمام التنفيذ وهى ٤٠ يوما .

وفى نهاية هذا الاجتماع تقرر ان تستمر الاجتماعات اليومية لوضع تفاصيل الانسحاب فى اجتماعات تالية ، على أن يرأس الجانب المصرى اللواء طه المجدوب والجانب الاسرائيلى اللواء ابراهام آدن ، وأن تنتهى الاجتماعات وتوضع الخطة النهائية قبل يوم ٢٥ يناير وهو الموعد المحدد لبدء أعمال الفصل بين القوات .

وقد عقد الجانبان ثلاث اجتماعات متتالية أيام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ يناير ١٩٧٤ ، تم خلالها مناقشة تفصيلية لمراحل الانسحاب وتوقيتاته، وتنظيم دخول قوات الأمم المتحدة ، وأسلوب حل المشاكل العاجلة التى قد تطرأ أثناء التنفيذ . كما حددت مراحل تنفيذ انسحاب القوات الاسرائيلية بصفة نهائية لتكون على النحو التالى :

١ ـ المرحلة الأولى :

من ٢٥ ـ ٢٨ يناير وتخلى فيها منطقة الأدبية وعتاقة وقطاع طريق السويس .

٢ ـ المرحلة الثانية :

من ٢٨ يناير الى ٤ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الاسرائيلية من المنطقة الصحراوية شمال طريق السويس غرب القناة ، والى منطقة متلا فى الشرق .

٣ ـ المرحلة الثالثة :

من ٥ الى ١٢ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الاسرائيلية من منطقة جنوب البحيرات حتى فنارة فى الغرب ، والى منطقة الجدى فى الشرق .

٤ ـ المرحلة الرابعة :

من ١٣ الى ٢١ فبراير ، ويتم فيها استكمال انسحاب القوات

الاسرائيلية من فايد والدفرزوار ، واخلاء غرب قناة السويس تماما ، والمنطقة شرق القنطرة شرق .

٥ ـ المرحلة الخامسة :

من ٢٢ فبراير الى ٥ مارس ، ويتم فيها استكمال انسحاب القوات المتمركزة شرق القناة من مناطق الاسماعيلية والبحيرات المرة الى الخط «ب» المحدد للقوات الاسرائيلية . وفي الوقت نفسه تنتهي قوات الامم المتحدة من انشاء المنطقة العازلة للفصل بين الجانبين فى سيناء .

وفى الساعة ١١٠٠ يوم ٢٤ يناير تم توقيع الوثيقة النهائية الخاصة بخطة تطبيق اتفاقية فصل القوات ، والجدول الزمنى التفصيلى الخاص بها . كما اتفق على بعض الالتزامات الخاصة بتسهيل عمل قوات الأمم المتحدة ولتنفيذها واجباتها ، وتنظيم اعمال الاتصال أثناء مراحل فصل القوات ، واسلوب حل المشاكل العاجلة ، وكيفية مراقبة الأمم المتحدة لمدى التزام الطرفين بتنفيذ الاتفاقية .

كما التزم الجانب الاسرائيلى بتقديم خرائط الالغام التى زرعها فى المناطق التى سوف تنسحب منها قواته ، والامتناع عن تخريب او تدمير المنشآت المدنية فى منطقة القناة ، وان يتم الانسحاب فى تعاون كامل مع قوات الطوارىء الدولية ، مع ضمان استمرار الحياة الطبيعية للسكان المدنيين فى المنطقة دون ارباك .

وفى الساعة ١٢٠٠ يوم الجمعة الموافق ٢٥ يناير ١٩٧٤ وضعت الاتفاقية موضع التنفيذ ، وبدأت اسرائيل تسحب قواتها من المناطق المتفق عليها ، وسارت اعمال فصل القوات حسب الاتفاق .

وكان وقع ذلك شديدا على شعب اسرائيل .. اذ ادرك عمق الهزيمة التى حاقت بقواته ، ومدى التمزق الذى اصاب النظرية الصهيونية ، التى تقوم على العدوان والتوسع واغتصاب الأرض وفرض الأمن الواقع ورسم الخرائط الجديدة . ثم ايقن شعب اسرائيل من سوء العاقبة عندما استمع الى وكالة الأنباء الفرنسية تنقل اليه يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ من تل أبيب تصريح زعيم المؤسسة العسكرية الجنرال موشى ديان الذى يقول فيه :

« ان هالة التفوق الاسرائيلى قد دحضها واثبت بطلانها قتال اكتوبر ١٩٧٣ » .

الباب السابع

وتحطمت الأسطورة بعد الظهر

وتحطمت الأسطورة

بعد الظهر

● **كان وقع الهزيمة ثقيلا على اسرائيل ، هبط بمعنوياتها الى الحضيض ، واشعل بين طوائفها واحزابها الاحقاد الدفينة ، فانطلقت تكيل لبعضها اقذع الشتائم ، واحط الاتهامات .** ●

واستفحل الأمر حتى غزى صفوف المؤسسة العسكرية نفسها ، اذ راح جنرالات اسرائيل يغمزون بعضهم ويلمزون ، ثم تطايرت بينهم أخطر الاتهامات ، فأسرعت رياسة الاركان العامة تصدر أمرا قاطعا لهم جميعا بالتزام الصمت المطبق ، بعد هذا الصخب المحرج .. والا فسوف توقع عليهم أقسى الجزاءات .. وتهددهم بالويل والثبور ..

ثم جاءت لحظة حساب النفس وما اثقلها واقساها .. واستمع العالم مذهولا الى عمالقة الجولة الثالثة ، الذين كانت كلماتهم عام ١٩٦٧ تنضح بالغطرسة والخيلاء .. يهمسون عام ١٩٧٣ باعترافات ملؤها الالم والندم ، لما فرطت ايديهم، وما حاق بهم من هزائم . وعندما صدرت قرارات لجنة تقصى الحقائق برياسة القاضى شمعون اجرانات ، انكشفت هزيمة اسرائيل بكل ابعادها المؤلمة .

● **وتساءل العالم فى دهشة ..** ولكن اين ما زعمت اسرائيل من تخلف العرب الحضارى ، وعناء الفجوة التكنولوجية التى تمسك برقابهم فلا تدع لهم فرصة لاجادة عمل ما ، او تترك لهم بصيص امل للتصدى لباس اسرائيل ، حتى نهاية القرن الواحد والعشرين ..

ـ واجاب العقلاء :. لقد كان ذلك وهما صنعته اسرائيل كي تنشر امنا زائفا بين ظهرانيها .. فلما وقعت حرب رمضان ، انكشف الوهم وزال الأمن الزائف .. وتاكد كل شعب اسرائيل المشدوه من هول الواقعة ان اخطر شيء ان يعيش في خدعة من صنع يديه .. حتى توقظه الحقيقة الأليمة ..

● **ثم تساءل العالم في دهشة** .. ولكن اين جهاز الحرب الاسرائيلي العملاق ، الذى وصل خطره الى درجة ان اصبح قادرا على ان يأمر طياري العرب بالقفز من طائراتهم وهي في كبد السماء .. فيسمعون ويطيعون لمؤسسة اسرائيل العسكرية ؟ .

ـ واجاب العقلاء .. لقد كانت تلك قرية اخرى صنعتها اسرائيل لتنشر امنا زائفا بين ظهرانيها .. فلما كانت حرب رمضان افتضحت القرية وزال الأمن الزائف .. واستبان لاسرائيل أن اخطر شيء أن تعيش في قرية من صنع يديها .. حتى توقظها الحقيقة الأليمة ..

● **ثم تساءل العالم في دهشة** .. وما قيمة الحدود الآمنة اذا وقد أحرزت اسرائيل نصرا في الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ من حدود ملأت الدنيا بالشكوى انها حدود غير آمنة ، ثم فوجئت بالجولة الرابعة في خريف ١٩٧٣ تاتيها بالهزيمة من حدود ملأت الدنيا ضجيجا انها حدود جد آمنة ، بل هي غاية الأمن ومنتهى الأمان في نظر زعماء اسرائيل ..

ـ واجاب العقلاء .. ان الأمن والأمان امران نسبيان شديدا الارتباط بالسلوك القويم وحسن الجوار .. فلا يقوم الأمن على اغتصاب حقوق الغير او سلب أراضيهم ومنازلهم وقبورهم ، وتحويلهم الى لاجئين معلقين بين الأرض والسماء .. لا يقوم على ذلك مهما ارتكز على موانع طبيعية او صناعية أو اعتمد على قوة غاشمة او ذراع طويلة او يد عليا ..

● **ثم تساءل العالم في دهشة** .. ولكن أين مخابرات اسرائيل التى تعلم الغيب وما تخفي الصدور .. وكيف عميت عن كل هذا الاستعداد الضخم ، وكل تلك الحشود الهائلة ، التى اخذتها على غرة وفاجأتها في السادس من اكتوبر فحطمت اسطورتها بعد الظهر ؟!

ـ وأجاب العقلاء .. لقد كانت كلها أكاذيب روجتها دعاوى اسرائيل لتنشر بها أمنا زائفا بين ظهرانيها .. امنا تحجب به الحقائق

الناصعة عن موقفها الميئوس منه .. والمحيط العربي الهادر ، في مجابهة القطرة الصهيونية الضئيلة ، والامكانات والقدرات العربية غير المحدودة والجبهات العربية المحيطة باسرائيل تاخذ بخناقها من كل جانب ، في مواجهة عقدة مسعدة التى عفى عليها الزمن ..

وانكشف لاسرائيل ان اخطر الأمور ان تعيش في اكذوبة من صنع يديها حتى تفاجئها الحقيقة الأليمة ..

ولكن هل تعترف اسرائيل انها فوجئت وهي غافلة في السادس من اكتوبر ، فتحطمت اسطورتها بعد الظهر ؟! .

انهم ما زالوا يتجادلون في هذا الأمر الخطير ، فتختلف بهم الآراء وتتضارب المذاهب .. وتخرج الحجج الواهية والتبريرات السخيفة . فلا تقنع احدا .. ولسوف نظهرها جميعا ونعرى كل دوافعها الخبيثة او الساذجة في الفصل التالي .

عن المفاجأة..

● تحدث المفاجأة طبقا للمفهوم العسكري - عندما ينجح احد الاطراف المتحاربة في مباغتة خصمه بعمل ايجابي ذى وقع كبير عليه ، من حيث طبيعته وحجمه ومكانه وتوقيته ونتائجه .. وبمعنى آخر يمكن القول ان المفاجأة تتحقق بتوجيه الضربات غير المتوقعة للعدو ، بما يذهله ويطيش صوابه ويشل تفكيره واداءه ، فتصبح بذلك الفرصة مواتية للطرف الذى حقق المفاجأة ليوقع الخسائر الفادحة بخصمه في وقت قصير ، ويشيع الذعر في صفوفه ، ويحرمه من القدرة على مواصلة ابداء المقاومة المنظمة ، بما يخلق الظروف الملائمة للقضاء على قوات الخصم حتى وان كانت متفوقة ..

وتتحقق المفاجأة بفضل الجهود المضنية التى تبذل فى مجالات عديدة منها :

١ ـ تضليل العدو عن نوايانا .

٢ ـ سرية التحضير للهجوم .

٣ ـ المحافظة على سرية فكرة الأعمال المقبلة .

٤ ـ الاستخدام غير المتوقع لوسائل وأساليب قتال ، واسلحة ومعدات جديدة .

٥ ـ توجيه ضربات قوية للعدو فى وقت ومكان وبطريقة لا يتوقعها.

وليس ثمة شك فى أن الطرف الاخر سوف يسعى بدوره لشن اعمال مفاجئة ، ولهذا وجب ان يتوفر الاستطلاع المستمر النشط ، والاستعداد العالى الدائم للقوات لخوض الحرب فى كل وقت ، حتى يمكن احباط نوايا الخصم فى الوقت المناسب ، وقبل أن يحقق نجاحا محسوسا ..

ويجمع مشاهير القادة وفلاسفة الحرب على مر العصور على ان المفاجاة هى أهم مبادىء الحرب واشدها خطرا واكثرها تحقيقا للنصر فى اى عمل عسكرى كبر مستواه او صغر .

وتكون المفاجاة استراتيجية او تعبوية او تكتيكية طبقا لحجم القوات المشتركة ، وبالتالى المستوى الذى تؤثر عليه فى الصراع المسلح .. وعلى سبيل المثال اذا ما كانت المفاجاة على مستوى الدولة بقواتها المسلحة كلها فهى مفاجاة استراتيجية ، اما اذا اقتصرت على مستوى جبهة او جيش فحسب فهى مفاجاة تعبوية ، واذا ما جاءت دون ذلك اصبحت مفاجاة تكتيكية او موضعية ..

ولقد حقق العرب فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، ولاول مرة فى سجل صراعهم الطويل ضد اسرائيل المفاجاة الكاملة بمستوياتها الثلاثة .. وكان وقع ذلك اليما على اسرائيل .. بل على الصهيونية العالمية فى كل مكان . وكانت حصيلته النهائية اشد ايلاما لهما من الهزيمة نفسها ، اذ قوضت تلك المفاجاة صروح نظرية الأمن الاسرائيلى التى طالما ارتكزت عليها المؤسسة العسكرية فى صيانة وجود الدولة الدخيلة وتدعيم مركزها فى المنطقة .. ولهذا راحت أجهزة الدعاية والاعلام الاسرائيلية والصهيونية على الفور ، وبكل ما تملك من قدرة وامكانيات، تشن حملات مسعورة لتبرئة قيادتها السياسية والعسكرية من وصمة المباغتة ، وتنفى عنها عار الوقوع فى شرك المفاجاة ..

وفى سبيل ذلك تعددت التبريرات وتنوعت الحجج ، ثم تناقضت الاقوال وتضاربت التصريحات ، حتى تحول الجدل الحاد الى تبادل الاتهامات والتجريح ، ثم القاء اللوم جزافا على بعضهم البعض ، الامر الذى دفع بالقيادة العليا الى اصدار التوجيهات بالكف فورا عن هذه المهاترات على صفحات الجرائد ، وعبر أمواج الأثير ..

وقبل ان تهدأ فورة الاتهامات وتخف حدة المهاترات كانت الحصيلة قد ادهشت اذن المستمع وشدت انظاره ..

فعلى المستوى السياسى ادعت رئيسة حكومة اسرائيل انها كانت تعلم يقينا بنية هجوم العرب بل وتوقيته ومراميه ، ولكنها تركت لهم المبادأة طوعا واختيارا لأسباب سياسية واقتصادية ملحة .. فزعمت انها احجمت عن توجيه ضربتها الابتدائية حتى لا تكون البادئة بالعدوان خشية ازدياد عزلتها السياسية فى المجال الدولى ، كما أنها فوتت فرصة التعبئة فى الوقت المناسب حتى لاتحمل الاقتصاد الاسرائيلى المثقل اعباء اضافية قاسية ، واكتفت من كل ذلك بالتأكيد على القيادة العسكرية بالاقتصار على التعبئة الجزئية فى أضيق الحدود ، مع رفع درجة استعداد القوات المسلحة النظامية على مختلف المستويات .

وتستمر السيدة مائير فى ادعاءاتها العجيبة فتقول انها تركت الامور على هذا الوضع الخطر حتى صباح السادس من اكتوبر ، عندما اضطرت الحكومة تحت ضغط الاحداث المتلاحقة ان تعلن التعبئة الشاملة فى الساعة العاشرة صباحا ، وأن تبدأ فى ادارة عجلة الحرب ..

وتقصد السيدة مائير بما تدعيه وتسوقه من حجج وبراهين ان تبرىء نفسها قبل الانتخابات الوشيكة من تهمة الغفلة التى عرضت أمن الدولة للخطر ، فتقول انها احجمت اختيارا عن السبق بالهجوم حتى لا تزيد سمعة اسرائيل سوءا ، كدولة دائمة العدوان مدمنة التعدى، وأنها امتنعت عن تعبئة الدولة حتى لا تثقل على الاقتصاد وتعرقل دولاب الانتاج . ووراء تلك الحجج الساذجة رغبة دفينة فى القاء اللوم على العسكريين .. الأمر الذى يكشفه بجلاء قولها فى مجال آخر .. « لو جاءنى مسئول ـ تقصد الجنرال دايان ـ واقترح استدعاء الاحتياطى لوافقته فورا (١) » ..

ويعزز نائبها ايجال آلون نفس الاتجاه الذى تذهب اليه مائير فيقول « اننى أؤكد شخصيا ورسميا أيضا ، اننى أتعهد بشرفى الشخصى بصحة البيان القائل باننا لم نبدأ القتال ، بل على العكس ، حتى بعد أن رأينا المجابهات الشاملة لقوات العدو فى أوضاع هجومية تجنبنا متعمدين الضرب أولا ، وقد تخلينا عن تلك الميزة العسكرية ، ميزة الضرب اولا » ..

---

(١) حديث تليفزيونى فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ .

كما صرح الجنرال أهرون ياريف بصفته مستشار رئيسة الحكومة ان اسرائيل تعمدت أن تخاطر بترك المصريين والسوريين يتخذون بادرة الاعمال العسكرية مع ما يترتب على ذلك من مزايا(١) ..

وهكذا يمضى الحرس القديم من غلاة الصهاينة السياسيين فى تلفيق الحجج وفبركة المبررات .. ولا يهم بعدئذ أن جاءت كلها تناقض بعضها البعض ، فالهدف هو تجريح العسكريين واعادتهم الى حجمهم الطبيعى ، بعد ان أحالهم نصر يونيو ١٩٦٧ الى مردة وشياطين ..

***

وعلى الجانب الآخر وقف العسكريون الاسرائيليون فى مجموعات وان بدت متنافرة فانها يجمعها رأى واحد وهدف مشترك .. هو تبرئة أنفسهم وتجريح السياسيين .

وفى سبيل الحفاظ على النفس ليس هناك ما يمنع من كيل الاتهام الى الرئيس والزميل والمرءوس .. وليس هناك جناح من الالتجاء الى الشللية لتقوية الجبهات وتعرية الخصوم .. وليس ثمة شخص يعترف بالخطأ او يفكر فى الذهاب ، فالمتحدثون يتكلمون عن ضرورة ذهاب الآخرين وليس ذهابهم هم ، واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هى الانقسامات الجديدة التى نشأت فى القمة ، فالاشخاص ينظمون أنفسهم للحماية المتبادلة ، وكل شخص يخشى زميله ، ولهذا نشأت ظاهرة غريبة هى ان الاشخاص المتورطين فى التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن أنفسهم وتجريح الآخرين ، وراحوا يلمون الوثائق وأشرطة التسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود (٢) .. »

ويعترف الجنرال موشى ديان .. « انه توجد مفاجآت فى هذه الحرب أيضا ، الا انه لم يحدث أى خطأ فى بناء قوة جيش الدفاع أو فى تشكيله وتكوينه (٣) .. »

ويؤكد الجنرال دافيد اليعازر .. « ان هذه أصعب حرب واجهت اسرائيل ... لقد زحفت علينا بدون انذار سابق(٤) » .

---

(١) و. أ. ف ـ ٩ اكتوبر .

(٢) زيف شيف ـ هآرتس ـ ٢٠ نوفمبر .

(٣) اسرائيل عبرى ـ ١٥ اكتوبر .

(٤) و. أ. ف ـ ١٢ نوفمبر .

ويناقض الجنرال هرتسوج نفسه اذ يقول .. « ان الهجوم الذى شنه العرب اخذ اسرائيل على غرة ، وان تحريك العرب لقواتهم على طول خطوط المواجهة لم يفاجىء اسرائيل ، ولكنه من الواضح ان الهجوم جاء مفاجأة (١) .. » .

ويقرر الجنرال حاييم بارليف بان اسرائيل .. « قد فشلت وفوجئت مرة واحدة ، وان ذلك لن يتكرر (٢) .. » .

ويأمر الجنرال شموئيل جونين قائد جبهة سيناء جنوده فى أمر يومى بمناسبة عيد المظال قائلا .. « انتم مكلفون بالقيام بمهام فرضت عليكم بصورة مفاجئة (٣) .. » .

ويتفق السياسيون والعسكريون الاسرائيليون على أمر واحد هو التهوين من قيمة احراز العرب للمفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية فى حرب رمضان ، او انكار ذلك كلية ، والتقليل من شأن المعجزة التى حققها المقاتل العربى ضد حصون آلون المنيعة فى الجبهة الشمالية ، وحصون بارليف الاسطورية فى الجبهة الجنوبية .. ويصل التناقض فى هذا المجال الى منتهاه .. حيث نجد الشخص الواحد يتشدق بشىء قبل السادس من أكتوبر ، ثم يتحدث بنقيضه بعد السادس منه .

وبين انكار السياسيين لوقوع المفاجأة واعتراف العسكريين بها فى مبدأ الأمر ، ثم تنصلهم من تبعاتها بعد ذلك ، دعنا نبحث تحت ضوء العلم ، وبمقاييس المنطق السليم عن الحقيقة ، لا سيما وهى ترتبط ارتباطا عضويا بنفس نظرية الأمن القومى الاسرائيلى ، التى تنادى بها المؤسسة العسكرية من قديم ، وتبنى عليها دعائم الدولة ، وتنظم بها حياة الافراد ..

فنظرية الأمن الاسرائيلى ـ ووجود اسرائيل بالتبعية ـ تعتمد على أربع ركائز أساسية ، يتلاشى دونها الأمن المنشود :

١ ـ فقوة الردع المتفوقة هى ركيزة الأمن الاولى التى تضمن لاسرائيل اليد العليا فى المسرح .

---

(١) اسرائيل عبرى ـ ١٠ اكتوبر

(٢) اسرائيل عبرى ـ ٦ نوفمبر

(٣) اسرائيل عبرى ـ ١٠ اكتوبر .

٢ ـ والحدود الآمنة التى يستحيل اختراقها او تهديدها هى ركيزة الأمن الثانية ، التى تضمن لاسرائيل فسحة الزمن لاتمام التعبئة القومية لسحق الخصوم .

٣ ـ وامتلاك المبادأة والحفاظ عليها فى كل الظروف هى ركيزة الأمن الثالثة ، التى تجبر الخصم على طلب السلامة بالسلبية والقعود عن ركوب الأخطار .

٤ ـ وفوق كل هذا ضرورة توفير الحليف القوى المناصر للمعاونة فى كل وقت ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا ومعنويا .

افلا يثير العجب اذا ان تخرج حجج اسرائيل لتبرر الفشل الذى منيت به فى حرب رمضان ؛ فتدعى انها قبلت التخلى عن بعض ركائز امنها القومى استدرارا لعطف العالم ، وتخفيفا للأعباء الاقتصادية الثقيلة ؟ . .

الا يدعو الى الدهشة ان يدعى ساسة اسرائيل انهم سلموا المبادأة للعرب طواعية واختيارا حتى لا يوصفوا بالعدوان ، فى الوقت الذى كرسوا فيه العدوان باستمرار احتلال أرض العرب ، وانكار حقهم المشروع ، ضاربين عرض الحائط برغبات الأسرة الدولية المتمثلة فى قرارات وتوصيات منظماتها الدولية وهيئاتها العالمية ؟ .

ومنذ متى كانت اسرائيل تحرص على سمعتها بين الأمم ؟ او تهتم برأى الآخرين فى تصرفاتها المعيبة .. وهى التى سفكت دماء وسيط الأمم المتحدة .. وقوضت كل المساعى الحميدة للسلام ، واعتمدت اولا واخيرا فى تنفيذ برامجها الجائرة على ما تملكه من وسائل دعاية واعلام قادرة على تضليل العالم اجمع كيفما تشاء الصهيونية ووقتما تريد . .
الم يقف مندوب اسرائيل الدائم امام اعلى سلطة دولية ليقول لها دون حياء أو خجل ، ان مجلس الأمن لا يخرج فى نظر اسرائيل عن كونه مجموعة من حيوانات القنفذ (١) » .

اما الزعم بالتخفيف عن كاهل الاقتصاد المثقل الى درجة تهديد أمن الدولة بالاحجام عن اعلان التعبئة بعد أن كشف الخطر الداهم عن انيابه ؛ فامر مغرق فى الغرابة ، وخاصة وكل ما يتكلفه هذا الاقتصاد بالتعبئة الشاملة لن يتجاوز ٤٫٥ مليون جنيه ؛ كما اظهرت حسابات

(١) جدعون رافائيل ـ مجلس الأمن ٦/١٩٦٧ .

التعبئة التى تمت فى مايو ١٩٧٣ ، على حين يكلفها احد الاضرابات العارضة ـ وهى كثيرة ـ عشرات الملايين . .

ثم ان هناك العديد من مصادر الدخل والدعم المنظورة وغير المنظورة التى تكفل لاسرائيل سيلا لا ينقطع من الأموال والهبات ، ينشط على وجه الخصوص وقت الأزمات والمحن . الم تتصدق عليها مجموعة من مليونيرات الصهاينة قريبا بخمسمائة مليون دولار فى جلسة واحدة ، لم تستغرق الساعة فى احد فنادق القدس !

وهذا نفس تركيب جيش الدفاع الاسرائيلى يعارض بشدة ما يزعمه قادتها وساستها من احجامهم عن اعلان التعبئة فى الوقت المناسب تخفيفا للاعباء الاقتصادية . . ان جبل الجليد العائم الذى يتحدث عنه بن جوريون ، ويعنى به القوات المسلحة الاسرائيلية ،تتوقف شدة بأسه بالدرجة الأولى على ما يقبع منه تحت الماء ـ وهو قوات الاحتياطى (١) ـ فكيف يقبل عقل أن تتنازل اسرائيل طواعية عن أربعة اخماس هذا الجبل ـ وهو الاشد بأسا والأعظم تأثيرا على أمنها القومى ـ لتوفير ملايين قليلة من الجنيهات ، ويمكن ان تحصل على اضعاف اضعافها بمجرد ابداء الرغبة . .

واغرب من كل ما ذكرناه آنفا تلك السرعة التى تهاوت بها نظرية الحدود الآمنة تحت اقدام العرب فى بضع ساعات .. ولعلنا ما زلنا نذكر كيف استرخى ديان فوق كرسى مريح فى حديقة منزله عصر يوم ١٢ يونية ١٩٦٧ وخاطب جمعا من الصحفيين قائلا . . « منذ اسبوع مضى من كان يحلم بأمن كهذا أو بحدود كهذه ؟ » . ثم تمر ست سنوات حافلة بالجهد والانفاق على تقوية هذه الحدود، وتدعيم هذا الأمن الى الدرجة التى وصفها ديان . . « بأنها اصبحت الصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين » .

وتقع حرب رمضان . . فيخرج ديان على العالم بتصريح يثير السخرية التى لا تهدأ مع توالى الأيام .. فيقول . . « ان خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسرى بها من الثقوب أكثر مما بها من الجبن » فلا يحقق من هذا العبث بالألفاظ والضحك بالعقول الا سخط المعجبين به قبل سخرية العالم ، واجماع كلمته على أن سمعة ديان هى التى اصبح بها من الثقوب أكثر مما بها من ثقة . .

وينحدر بارليف الى القاع فيتنكر للخط الذى يحمل اسمه ،

(١) بن جوريون ـ يستعيد الماضى ـ أحاديث مع موشى بيرلمان .

ويتساءل بسذاجة أو خبث « من قال انه كان هناك خط يحمل اسمى على قناة السويس ؟ » ..

ولكن ما لنا ولأكاذيب ساسة اسرائيل وقادتها ، وامامنا الحقيقة شديدة الضياء تدمغ اسرائيل ، وتكشف قدر صقورها وحمائمها سواء بسواء ..

فهذه الدولة التي لاتكف عن التباهي بأنها تملك اعظم جهاز للمخابرات وجمع المعلومات بين دول العالم قاطبة ينطلي عليها تدابير العرب للخداع والاخفاء والتمويه بدرجة قل أن يوجد لهامثيل ..

فحتى ظهر الجمعة ٥ اكتوبر نجد القيادتين السياسية والعسكرية الاسرائيلية تجزمان بعدم وجود اى خطر لاشتعال الحرب في المسرح، بينما القوات العربية على الجبهتين الشمالية والجنوبية تجرى آخر لمسات الفتح التعبوى للهجوم ، وهى من الضخامة والتدفق بما يصعب معه اخفاء أمرها عن الأعين مهما ضعف بصرها ، او كتم ضوضاؤها عن الآذان مهما اشتد صممها ..

ويظل الحال على هذا الوضع حتى فجر السادس من اكتوبر عندما ترجح الأركان العامة احتمال وقوع الحرب ، وتجمع السيدة مائير وزراءها وقادتها للتشاور ، ويطول الجدل حتى الظهر عندما يتفق المجتمعون على التحرك سياسيا بالاتصال بالولايات المتحدة ، والتحرك عسكريا باعلان التعبئة الجزئية ، ورفع درجة الاستعداد والتاهب .

وتكون الساعة قد جاوزت الواحدة بعد ظهر السادس من اكتوبر عندما تسرع مائير الى الاتصال بوزير خارجيتها الموجود في واشنطن ليدق ناقوس الخطر ..

ويبدأ الهجوم العربي قبل ان يصل الى جنود اسرائيل على خطوط الجبهة اى انذار بالخطر الداهم ..

فاذا لم تكن هذه هى المفاجأة الكاملة الشاملة على كل مستوياتها ، والمباغتة التامة بأجلى صورها .. فاى شيء تكون اذا ؟ غفلة أم تفريط أم خيانة ؟ .. ثم يحضرنا قول الشاعر القديم ..

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

عن العبرة ..

● « لقد حققت القوات المسلحة العربية فى حرب رمضان معجزة على أى مقياس عسكرى ، ويستطيع هذا الوطن ان يطمئن الى انه اصبح له درع وسيف (1) .. »

... « لقد كان عبور القناة واجتياح حصون خط بارليف يعتبر ضربا من المستحيل ، وقد زارنا العديد من القادة وقال لنا بعضهم ان هذا المانع وتلك الحصون تحتاج الى قنبلة ذرية للتغلب عليها .

وكان العدو يركز جهوده على تفادي الحرب على جبهتين ، ولكننا تمكنا بالتنسيق مع سوريا من العمل فى وقت واحد ، فبدأت اول قصفة للطيران ، وأطلقت أول طلقة على الجبهتين فى نفس اللحظة . مما اربك العدو وكبده خسائر لم يتحمل مثلها فيما مضى ، وحتى اليوم لم يستطع حصرها بدقة ..

وكانت اهم نتائج حرب رمضان اننا قضينا على اسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ، وقد اصبحت طريقة اقتحامنا لحصون بارليف موضع الدراسة والتحليل فى كافة مدارس العالم العسكرية ، كما ادت الى تغيير النظريات العالمية عن الاستراتيجية والتكتيك ..

---

(1) الرئيس محمد انور السادات – مجلس الشعب – ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

واكدت المعارك ايضا اننا قادرون على كتمان سر خططنا ونوايانا، واثبتت للعدو بطلان حجته فى مفهوم الحدود الآمنة ، فقد ضربنا العدو فى شرم الشيخ ، وامسكناه فى باب المندب ، وقد تحركت معنا الدول العربية ، وقاتل جنود العرب فى كل الجبهات ..

وكان القائد الأعلى الرئيس السادات معنا أثناء التخطيط وخلال المعارك ، ونحن نفخر به قائدا لنا ، واليه يرجع الفضل بعد الله فيما تحقق من نصر .. اذ كانت المهمة التى اوكلها الينا غاية فى الوضوح ، كما احاطنا بالرعاية والمساعدة المادية والمعنوية التى وفرت لنا كل أسباب النجاح (١) .. » .

... « لقد حققت حرب رمضان نتائج كثيرة يأتى على رأسها :

١ ـ انها كانت سببا فى وحدة عربية شاملة ، وموقف عربى موحد لم يشهده العالم من قبل ..

٢ ـ انها عززت الوحدة الوطنية بصورة لم تشهدها مصر سابقا ..

٣ ـ انها اعادت الى قوات مصر المسلحة ثقتها بنفسها ، كما اعادت لشعب مصر ثقته بقواته المسلحة ..

٤ ـ انها قضت على اسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ..

٥ ـ انها غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم كله ، حتى باتت القيادة العسكرية فى الدول الكبرى تعكف على دراسة وتحليل حرب رمضان ، كما اوقفت بعضها انتاج بعض الأسلحة التى ثبت عدم جدواها ..

٦ ـ انها قلبت الموازين العسكرية فى العالم ..

٧ ـ انها حركة ازمة الشرق الأوسط بدرجة لم تحدث فى اى وقت مضى ، واصبح العالم كله شرقا وغربا يتساءل عن حقوق شعب فلسطين(٢) .. » .

(١) الفريق اول أحمد اسماعيل ـ مجلس الشعب ـ ٨ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) الفريق اول أحمد اسماعيل ـ قاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ـ ندوة المفكرين المصريين ـ ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .

... « ولم يكن هذا النصر العظيم الذى حققه العرب فى حرب رمضان خاتمة المطاف للصراع ضد اسرائيل ، فهو لا يعدو مرحلة من مراحله الكثيرة ، ولا زالت أمامنا مراحل تالية نستعد لها بنفس القوة والصلابة حتى نحقق هدفنا النهائى (١) » .

***

ما ابعد الليلة عن البارحة .. عندما تخيل صقور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى يونية ١٩٦٧ « انها الحرب التى انهت كل الحروب .. ولم يبق أمام العرب الا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة ، لا سيما وهم يعرفون رقم الهاتف(٢) .. » .

***

ان هذا الفارق الكبير فى فهم حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى وابعاده الزمنية والجغرافية والأخلاقية تفصح عنه بوضوح هاتان الفقرتان المعبرتان ابلغ تعبير ، وتكشف عن الأصالة العربية فى مواجهة الانتهازية الصهيونية ، هو بعينه نفس الفارق الذى تحدثت عنه جريدة الفيجارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ فقالت .. « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة ، تشتبك فى حرب طويلة الأمد مع اسرائيل التى تكافح اليوم كى تعيش غدا ، ثم لا تفكر ابدا فيما قد تصبح عليه حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » ..

***

ذلك هو الدرس الأول الذى أخرجته حرب رمضان ، عن صراع الأصالة العربية ضد الانتهازية الصهيونية فى أول معركة متكافئة تنشب بينهما على مدى سجلهما الحربى الطويل .. « **فالعرب يحاربون من أجل السلام القائم على العدل ، واسرائيل تتحدث احيانا عن السلام ، ولكن شتان بين سلام العدوان وسلام العدل (٣)** .. » .

ان ابرز انجاز حققه العرب فى كفاحهم المسلح ضد الصهيونية الامبريالية على مدى ربع قرن هو ظهورهم على المسرح الدولى بعد حرب

(١) اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ـ رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية ـ ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) الجنرال موشى ديان ـ وزير الدفاع الاسرائيلى ـ هاآرتس ـ ١٢ يونية ١٩٦٧ .

(٣) الرئيس محمد انور السادات .

رمضان **بحجمهم الحقيقي كقوة قادرة على التأثير – بالمنح والمنع – على الواقع العالمي المعاصر** .. وجمعت حرب رمضان صفوف العرب ، واطلقت الطاقات ، والغت المسافات والخلافات ، واصبحت صورة العرب غير الصورة .. فهم مقاتلون باسلون ووحدتهم حقيقة واقعة ، وهم مصممون على التحرير والتقدم ، وهم يملكون ناصيتهما ومقوماتهما بلا حدود ، والعدل هو سبيلهم الوحيد الى السلام في الشرق الاوسط ، بل في العالم اجمع ..

ولقد غيرت حرب رمضان خريطة الشرق الاوسط التي اراد البعض ان يفرضها بالقوة والبغي على هذه المنطقة العربية الخالصة ، كما احالت اسطورة جيش اسرائيل الذي لا يقهر الى اقصوصة تثير السخرية حينا وتبعث على الرثاء احيانا ، وذلك « بفضل القوات المسلحة المصرية التي قامت بمعجزة على اي مقياس عسكري ، **وبفضل القوات المسلحة السورية التي خاضت معركة من امجد معارك الامة العربية** تحت القيادة المخلصة والحازمة للرئيس حافظ الأسد ، ولم يكن هناك رفقة سلاح اكثر مدعاة للطمأنينة والفخر من رفقة الجيش السوري العظيم الذي تشرفنا بالقتال معه ضد عدو امتنا العربية كلها (١) .. » .

لقد حطمت الجيوش العربية الظافرة نظريات ومفاهيم كان العالم اجمع قد اقتنع بها لكثرة ما رددتها ابواق الدعاية الصهيونية ، فهذا المقاتل العربي قد استرد مكانته الجدير بها في ساحة الوغى ، واثبت قدرته على استيعاب كل جديد ومعقد من منجزات العلم والتكنولوجيا ، ثم اثبت بأسه وعلو كعبه في صيغة الحرب وخوض القتال واقتحام الأهوال .. « فكان الجندي المصري يتقدم في موجات تلو موجات ، وكنا نطلق عليه النار وهو يتقدم .. ونحيل ما حوله الى جحيم ويظل يتقدم .. كان لون القناة قانيا بلون الدم .. ورغم ذلك ظل يتقدم (٢) .. »

***

... « وظهر امامنا جيش عربي يثق في معداته ، ويتمتع بثقة كبيرة في نفسه وقيادته (٣) .. » .

ومن قبل ذلك حطمت القيادة العامة لقواتنا المسلحة فرية اخرى

(١) الرئيس محمد انور السادات .

(٢) الجنرال صموئيل جونين – قائد جبهة سيناء .

(٣) جريدة هآرتس – ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

من اباطيل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، هي اكذوبة قصور جهاز الاركان العربي في مجالات التخطيط الاستراتيجي والتعبوي ، وضعف قدرته على تنسيق التعاون بين الجبهات العربية المتباعدة ، واحكام العمل من خطوط خارجية ..

وبانتهاء الحرب كان واحد من ابرز قادة اسرائيل يؤكد لاحد الملحقين العسكريين الغربيين في تل أبيب ، « انه لا بد ان نشهد لجهاز التخطيط المصري بالبراعة .. لقد كانت خططهم دقيقة ، وكان تنفيذها اكثر دقة .. لقد حاولنا بكل جهدنا عرقلة عملية العبور ، وصدها بالقوة وردها على أعقابها ولكننا ما كدنا نتمثل ما حدث الا وقد تحققت لهم نتائجه .. كأننا اغمضنا عيوننا وفتحناها فاذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة الى شرقها ، وفاجأونا صباح يوم السابع من اكتوبر بخمس فرق كاملة امامنا على الضفة الشرقية من القناة (١) .. »

وكما حطمت القيادة العامة فرية ضعف جهاز الاركان العربي على التخطيط وتنسيق التعاون وأحكام العمل من خطوط خارجية ، حطمت قيادتنا الميدانية دفاعات العدو ، ودمر مقاتلونا البواسل قلاع خط بارليف الحصين فيما لا يتجاوز الست ساعات .. « وقد امسكت هذه العمليات بالقيادة الاسرائيلية وهي عارية .. وتلك حقيقة لا تقبل الجدل (٢) .. » .

ثم رضخت اسرائيل للواقع الأليم ، واضطرت الى الاعلان عن انها طردت من خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة ، وكانت هذه واحدة من اسوأ النكسات العسكرية في تاريخ اسرائيل ، خاصة بعد ان اطمأن الاسرائيليون الى ما اكده لهم صقرهم المختال الجنرال موشي ديان في ساعات الحرب الاولى من أن النصر رهن اشارته ، وأنه سوف يحرزه في بضعة ايام ،

ثم لا تمضي هذه الايام حتى يخرج المختال بتصريح يذهل الجماهير ، فيظلون في ذهولهم لا يفيقون منه ، اذ يقول .. « ان خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسري ، به من الثقوب أكثر مما به من الجبن .. » وترتب على هذا العبث بالعقول أن انهارت سمعة ديان نفسه .. التي أصبحت بها من الثقوب أكثر مما بها من الثقة (٣) .. » .

(١) الجنرال عوزي ناركيس .

(٢) توماس تشيبهام – تل أبيب – ١٢ اكتوبر ١٩٧٣ .

(٣) مراسل وكالة يونايتدبرس انترناشيونال – تل ابيب – ١٠ اكتوبر ١٩٧٣ .

وتسمع الثقوب في سمعة زعيم المؤسسة العسكرية وطاووسها المختال عندما تضطره الحقائق الى الاعتراف .. « بأن حرب اكتوبر كانت بمثابة زلزال تعرضت له اسرائيل . ان ما حدث في هذه الحرب قد ازال الغبار عن العيون ، واظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها . وادى كل ذلك الى تغيير عقلية القادة الاسرائيليين . ان اشد أيام اسرائيل العصيبة لم تمر بنا بعد ، وعلينا ان نظل صامدين في فترة المحنة التي ما زالت امامنا (١) .. » .

وكما تهاوت سمعة جنرالات اسرائيل وطاووسها المختال ، حطمت حرب رمضان نظرية الأمن القومي الاسرائيلي ، وخدعة الحدود الآمنة ، وثبت للعالم اجمع انها لا تعدو وسيلة شيطانية لمواصلة الغزو والتوسع ، ورسم الخرائط الجائرة ، وفرض الامر الواقع المجحف ، كان صاحب الحق قد غفل عما يمتلك وتركه نهبا لكل نصاب او افاق زنيم ، حتى اجبر واقع الأمر اسرائيل .. « أن تتخلص من الفكرة القائلة بان امنها يمكن حمايته بسياسة تقوم على مجرد الاحتفاظ بالأرض دون برنامج سياسي وراءها (٢) .. » .

... « وتحتم على اسرائيل ان تتخلى عن خرافة الأمن العسكري المطلق عن طريق احتلال الأرض ، مع الاعتراف بأن الأمن العسكري المطلق لدولة ما يعني عدم الأمن المطلق للدول المجاورة لها (٣) .. » .

... « وادرك الاسرائيليون اخيرا ان امنهم لا يمكن ان يتحقق بمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن اصبحت هالة دولتهم التي لا تقهر موضع تساؤل (٤) .. » .

***

لقد أتاحت حرب رمضان ثمارا كثيرة لأمة العرب ، وفي عدة ميادين :

● **وفي المجال الدولي** كان السادس من اكتوبر نقطة التحول في علاقة العرب بالعالم اجمع ، اذ فرضوا على الكافة احترامهم وحساب

(١) الجنرال موشى ديان ــ وكالات الأنباء ــ تل ابيب ــ ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣ .
(٢) الديلي تلجراف اللندنية ــ ١٨ اكتوبر ١٩٧٣ .
(٣) السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي ــ ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ .
(٤) جيمس شليزنجر ــ وزير الدفاع الأمريكي ــ ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .

بأسهم ، وأظهروا للجميع أنهم أمة عريقة ذات ماض تليد وحاضر مجيد ومستقبل مشرق بالأمل والرفعة ..

... « واصبح الاسرائيليون من الجندي الذي يقف على خط النار الى الوزير في الحكومة ينظرون الى العرب نظرة مختلفة بعد حرب رمضان (١) .. » .

... « ودخل العالم نتيجة لحرب اكتوبر ــ في مرحلة اقتصادية جديدة ، ولن تعود احوال العالم الى سابق عهدها قبل هذه الحرب (٢) .. » .

● **وفي المجال العربي** كان السادس من اكتوبر علامة فخار على طريق التجمع العربي الجاد ، اذ اظهر اصالة معدن العرب ، وكشف عن متانة العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، التي تجمع شملهم . وتأكد اصرار العرب كافة على حمل المسئولية التاريخية ، والاستعداد للبذل والفداء ، حتى يتم تحرير الأرض ، كل الأرض ، واستعادة الحقوق ، كل الحقوق ، وتحقيق النصر المؤزر .

« لقد جاءت حرب رمضان بفجائية لا يدانيها غير الأداء العسكري العربي الممتاز ، ووجد مائة مليون عربي انفسهم امام حقيقة عزيزة على انفسهم هي الوحدة . ومهما يكن ، فان السبب الرئيسي لهذه الوحدة العربية هو بوضوح وقبل كل شيء ذلك النجاح العربي الذي تحقق لهم في ميدان القتال ، وفي فرض الحظر العربي على امدادات البترول (٣) .. » .

... « كما استعاد الجيشان المصري والسوري شرفهما . وهذا عامل جديد سوف يؤثر على المستقبل في الشرق الأوسط كله (٤) .. »

● **وفي معسكر العدو** حدث تفكك كبير في سلسلة القيادة الاسرائيلية ، وتفسخ خطير في روابط الثقة بين الحاكم والمحكوم والقائد والمرءوس . وبالرغم مما يدعيه مقر القيادة العامة الاسرائيلية بعد المعركة

(١) نيولس سميث ــ مراسل وكالة ن. ي. ت ــ تل ابيب ــ ٢ ديسمبر ١٩٧٣ .
(٢) بيير ميسمير ــ رئيس وزراء فرنسا ــ ى. ب. أ ــ باريس ــ ٧ يناير ١٩٧٤ .
(٣) مجلة نيوزويك ــ ١٧ ديسمبر ١٩٧٣ .
(٤) درو ميدلتون ــ الخبير الأمريكي في شئون الشرق الأوسط ــ وكالة ن. ي. ت ــ ١٤ اكتوبر ١٩٧٣ .

من أنه كان فى حالة تأهب تام قبل اندلاعها .. فالواضح أن القوات الاسرائيلية على الجبهتين الشمالية والجنوبية لم تبلغ بشىء» .

وبالنسبة للكثير كان أول ما عرفوه من مظاهر الحرب هو نيران المدفعية الكثيفة التى انهالت عليهم ، وانطلاق طائرات الميج فوق رءوسهم فى هجوم مباغت .. ولم يكن الجنود وصغار الضباط هم وحدهم الذين فوجئوا وقد نشروا غسيلهم على خطوط الجولان وبارليف ، بل كان الامر كذلك بالنسبة للجنرالات ، اذ انهم بعد نجاحهم فى حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ تملك الاسرائيليين احساس بالغطرسة والزهو الكاذب ، وقد لعب المصريون بمهارة على نقطة الضعف هذه ..

... « لقد ثارت اتهامات مريرة ضد الجيش الاسرائيلى على أساس ان تقديرات المخابرات والسلطات العسكرية لم تكن خاطئة فحسب ، بل ان أجهزة الدفاع الاسرائيلى نفسها كانت منحلة ، لقد كان النظام يقتضى ان تتم التعبئة خلال ٢٤ ساعة ، وان يرسل المقاتلون الى جبهات القتال خلال ٤٨ ساعة ولكن التعبئة جرى خفضها زمنيا الى ٦ ساعات فحسب ، بسبب نجاح العرب فى تحقيق المفاجأة الكاملة ، وعلى ذلك لم يعد من المدهش أن تعم الفوضى قوات الدفاع الاسرائيلى (١) .. » .

... ان اول ما يجب علينا عمله هو ان نعيد بناء جهاز مخابرات اسرائيل حتى يستطيع الحصول على معلومات سليمة ودقيقة (٢) .. »

... « اذ فاجأتنا حرب اكتوبر على نحو لم نكن نتوقعه ، ولم تحذرنا اية حكومة اجنبية بوجود اى خطط محددة لأى هجوم عربى (٣) .. » .

... « ولم يكن تقييمنا لمدى كفاءة العرب وقدرتهم القتالية سليما، رغم اننا كنا نعلم مقدما بطبيعة أسلحتهم وحجم قواتهم . وبالجسور التى أعدوها لعبور السويس (٤) .. » .

.. « ومنذ ان سرى مفعول وقف اطلاق النار تبادلت الأحاديث

(١) ونستون تشرشل الحفيد – مؤلف كتاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .
(٢) الحاخام ابراهام كاهان – جريدة هاموديع – ١٩ اكتوبر ١٩٧٣ .
(٣) هنرى كيسنجر – وزير خارجية الولايات المتحدة – ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣ .
(٤) الجنرال موشى ديان – تل أبيب – ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣ .

مع عشرات من الجنود والشخصيات فى القيادة العسكرية والسياسية وقد توصلت من خلال هذه الأحاديث الى عدد من النتائج المحزنة :

• فأولا : نشأ انقسام واضح بين غالبية القيادة السياسية والعسكرية وبين جماهير الشعب والجنود ، فالذين فى القمة لا يحسون كما ينبغى بمشاعر الشعب ، ولا أقصد بقولى الجبهة الداخلية المتأرجحة من النقيض الى النقيض فقط ، بل ايضا جمهرة الجنود النظاميين والاحتياطيين ، الذين بقيت فى أذهانهم أسئلة لا حد لها ، لا يجدون أجوبة لها ..

• وثانيا : لم أجد شخصا فى القيادة مستعدا لأن يستخلص فورا النتائج الشخصية فيما يتعلق بالتقصير الذى حدث ويستقيل ، وليس ثمة شخص يفكر فى الذهاب ، والمتحدثون يتكلمون عن امكان ذهاب الآخرين لا ذهابهم هم .. واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هى الانقسامات الجديدة التى نشأت فى القمة .. فالأشخاص ينظمون انفسهم للحماية المتبادلة . والحقيقة هى ان كل شخص يخشى زميله . ونشأت ظاهرة هى أن الأشخاص المتورطين فى التقصير اخذوا يجمعون مادة للدفاع عن انفسهم وتجريم الآخرين اذ تطلب الأمر ، انهم يجمعون وثائق واشرطة تسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود ..

• وثالثا : ان الاستقصاءات والتحقيقات التى تمت حتى الآن يغلب عليها طابع استخلاص دروس تثقيفية ، كما لو ان مناورة كبرى قد انتهت توا وحدثت فيها أخطاء معينة ، وليس هذا تحقيقا هدفه تحديد التقصير واكتشاف المسئولين عنه ، ومن الصعب فهم لماذا لم يفصل رئيس الأركان هذا القائد أو ذاك ممن فشلوا فى تأدية واجباتهم ، وعلاوة على ذلك فيبدو أن سير التحقيق بطىء ، وليس نشطا بالدرجة المطلوبة (١) .. » .

ثم صدر تقرير لجنة تقصى الحقائق فى أول ابريل ٧٤ فكان أشد دويا من القنبلة .

وهى اللجنة التى شكلت برئاسة الدكتور شمعون آجرانات رئيس المحكمة العليا وعضوية موشيه لنداو قاضى المحكمة العليا والدكتور

(١) زيف شيف – الناقد العسكرى لجريدة هاآرتس الاسرائيلية – ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ .

اسحاق تقنالى مراقب الدولة ، والجنرال يجال ايادين ، والجنرال حاييم لاسكوف رئيسا الأركان العامة السابقين ، فكان مما وجهته من اتهامات خاصة باوجه القصور التى تسببت فى هزيمة القوات المسلحة الاسرائيلية فى الجولة الرابعة الآتى :

١ ـ « **ان مصر وسوريا فاجات اسرائيل يوم السادس من اكتوبر الساعة ١٤٠٠ بالحرب** ، وذلك لأن القيادة الاسرائيلية العليا السياسية والعسكرية لم تقدر حتى ساعات الصباح الباكر من ذلك اليوم ان حربا شاملة على وشك الاندلاع .. وفى الصباح عندما اصبح واضحا ان الحرب سوف تشتعل فورا افترضت هذه القيادة العليا خطأ انها لن تبدأ قبل الساعة ١٨٠٠ (السادسة مساء) . وتقع هذه الأخطاء الجسيمة فى التقديرات على عاتق شعبة المخابرات برياسة الاركان العامة وعلى قسم الابحاث فى المخابرات الحربية اذ اخفقتا فى توفير الانذار الكافى للقوات المسلحة الاسرائيلية عن نوايا العدو (مصر ـ وسوريا) .

٢ ـ وعندما اعلن رئيس المخابرات الحربية الاسرائيلية ان مصر وسوريا تزمعان شن الحرب فى الساعة ١٨٠٠ مساء على الجبهتين الشمالية والجنوبية ، لم يمكن هذا الانذار القصير الذى أجهزة التعبئة الاسرائيلية من حشد الاحتياط بصورة منظمة ، واقتضى العمل بسرعة دون التقيد بالجداول الزمنية مسبقة التجهيز ، وادى هذا الخطأ الثانى الى مزيد من الارتباك فى استعداد القوات الاسرائيلية النظامية على مختلف الجبهات وكذا الارتجال والعفوية فى نشرها فى المسرح وخاصة على جبهة قناة السويس ..

٣ ـ لقد كانت هناك فى الواقع ثلاثة اسباب جوهرية لهذا الفشل الجسيم انبعثت كلها من تمسكنا بتزمت بذلك التصور الخاطىء والذى لم يكن هناك فى الحقيقة ما يبرره ، والذى كان يقضى بان :

(أ) **مصر لن تشن حربا على اسرائيل** الا بعد أن تضمن لنفسها بالدرجة الأولى القدرة الجوية على مهاجمة اسرائيل فى العمق ، وخصوصا مطارات اسرائيل الرئيسية وقواعدها الجوية حتى تتمكن من شل سلاح اسرائيل الجوى .

(ب) **سوريا لن تشن هجوما شاملا على اسرائيل** الا فى وقت واحد مع مصر ، وطالما ان مصر لم تتوفر لها القدرة الجوية على مهاجمة مطارات وقواعد اسرائيل فى العمق فان سوريا بالتبعية لن تجرؤ على خوض القتال ..

وثانى هذه الأسباب الثقة المفرطة لدى جهاز المخابرات ـ والتى لم يكن لها أساس ـ فى قدرته على اعطاء الانذار المسبق للتعبئة . وثالثها ان المخابرات العسكرية الاسرائيلية فشلت فى تقدير المعلومات وتحليل حشود العدو على جبهتى القناة وسوريا بالحجم الذى لم يسبق له مثيل ، وراحت تؤكد ان كل هذه الاجراءات انما هى استعدادات دفاعية من جانب سوريا ، واجراءات مناورة الخريف المعتادة من جانب مصر .. وبهذا تمادى جهاز المخابرات الاسرائيلية فى الخطأ واستطاع العدو تضليل جيش اسرائيل ومفاجأته تحت قناع مناورة الخريف المزعومة .

٤ ـ ولم تكن اخطاء جهاز المخابرات العسكرية الاسرائيلية هى الاخطاء الوحيدة التى اربكت تحركات جيش الدفاع الاسرائيلى فى بداية الحرب ، بل أضيفت اليها **اخطاء فى استعداد الجيش خلال الأيام القليلة السابقة على السادس من اكتوبر** ادت الى :

(أ) تأخير تعبئة الاحتياط بصورة لا مبرر لها .

(ب) اهمال اعداد خطة دفاعية مسبقة التحضير يصير اتباعها فى حالة الاضطرار الى الاعتماد على القوات النظامية فقط فى هجوم العدو ـ مصر وسوريا ـ اذا ما نجحتا فى مفاجأتنا قبل ان تستكمل تعبئة قواتنا الاحتياطية .

(جـ) قصور نشر القوات المدرعة على جبهة القناة وتقاعس قائد المنطقة العسكرية الجنوبية (سيناء) عن اصدار توجيهاته الى المرؤوسين بالقدر الذى يرشدهم الى مهامهم القتالية وتاهبهم لمواجهة الهجوم الامر الذى ترتب عليه ان ساد الغموض ارجاء الجبهة كلها .

وفى رأى هذه اللجنة ان رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية يتحمل كل المسئولية عن الخطأ الفادح جدا الذى ارتكبه جهاز المخابرات ولهذا السبب لا يصح ان يبقى فى منصبه بعد اليوم .

كما توصلت اللجنة الى اتفاق على ان رئيس الأركان العامة الجنرال دافيد اليعازر يتحمل بدوره مسئولية شخصية لما حدث عشية الحرب بالنسبة للخطأ فى تقدير الموقف والقصور فى تعبئة وحشد القوات المسلحة الاسرائيلية والاهمال فى وضع خطة مفصلة تكون معدة مسبقا لمقابلة اى هجوم تشنه مصر او سوريا ضدنا على اساس تقدير

واضح لقوات العدو وتأهبه ونواياه . لقد وثق رئيس الأركان العامة بصورة مبالغ فيها وبانه سوف يحصل دائما على انذار كاف لتعبئة الاحتياط ، واذا ما أضفنا الى ذلك التصور الخاطيء الذى لم يكن هناك فى الواقع ما يبرره وتلك الثقة المفرطة والمبالغ فيها فى قدرة القوات المسلحة الاسرائيلية على صد وتدمير اى هجوم عربى شامل ضدها على الجبهتين بواسطة القوات النظامية .. **وازاء هذا الاهمال والتصور نرى من واجبنا التوجيه بانهاء تولى الجنرال دافيد اليعازر منصب رئيس الأركان العامة لاسرائيل ..**

وفى رأى اللجنة أيضا أن الجنرال شموئيل جونين قائد المنطقة العسكرية الجنوبية (جبهة سيناء) لم يمارس سلطاته او مسئولياته كما ينبغى فى اليوم الذى بدات فيه الحرب ولا مما سبقه من ايام . وهو يتحمل جزءا كبيرا من المسئولية عن الوضع الخطير الذى دهم فيه العدو - مصر - قواتنا فى الجبهة الجنوبية يوم الغفران عندما بدات مصر هجومها .. **وينطبق على الجنرال شموئيل جونين نفس القرار الذى اتخذناه حيال رئيس الأركان العامة .. ان اهماله وتقصيره قبل الحرب ويوم اندلاعها تجبرنا على اتخاذ القرار الخطير باعفائه من منصبه .**

ان الحقيقة التى توصلت اليها اللجنة هى انه حتى بدء اطلاق النار من العدو على امتداد جبهة القناة لم تكن القوات الاسرائيلية قد انتشرت او اتخذت أوضاع المعركة بعد .. وعندما اشتعلت الحرب كانت قواتنا على مسافة بعيدة من خط انتشارها النهائى فى الامام .. وعندما بدأت مدرعاتنا تتقدم نحو القناة اصطدمت بكمائن من مشاة العدو المسلح بالمدافع والصواريخ المضادة للدبابات كان افرادها قد تمكنوا من اتخاذ مواقعهم بمهارة بين دباباتنا وخط المياه ، كما احتلوا الجانب الشرقى للقناة وصبوا نيرانهم المحكمة على دباباتنا فعطلوها وضربوها بشدة .. لقد برر الجنرال شموئيل جونين ذلك الأمر البائس بعدم نشر مدرعاته كما ينبغى وفى الوقت الملائم بخوفه من استثارة العدو ودفعه الى بدء القتال دون تخطيط مسبق . وقال ايضا انه خشى ان يقصف العدو - مصر - دباباتنا قصفا مركزا بالمدفعية لو انه نشرها مبكرا فى مواقع المعركة .. وفى رأينا ان هذه المخاوف لا تبرر باى حال من الاحوال تأجيل فتح قوات المنطقة الجنوبية وهو خطأ فاحش ارتكبه الجنرال جونين وادى الى نتائج وخيمة جدا ..

كان يوم الغفران يوما حرجا على أى حال اذ واجه الجيش الاسرائيلى تحديا من اصعب التحديات التى يتعرض لها اى جيش

نتيجة الوضع الخطير الذى كان قائما عندما بدات الحرب وبسبب الاخطاء التى ارتكبت فى تلك الجولة والتى سبق تفصيلها » .

(مستخرج من التقرير الصادر عن لجنة اجرانات للتحقيق فى تقصير واخطاء القيادة الاسرائيلية . صدر فى القدس فى ١٩٧٤/٤/١)

***

الآثار الاجتماعية لحرب رمضان على المجتمع الاسرائيلى :

من الحقائق المعروفة ان التاريخ لا يعرف الوقوف عند زمن محدد تكون فاصلا حاسما بين حقبتين مختلفتين ، ذلك لأن مجراه الديناميكى المتتابع ، تتفاعل فى تياراته عناصر شتى بصورة مستمرة ، حيث تصارع القديم مع الجديد فى حركة جدلية لا تتوقف ابدا . وعلى ذلك، يمكن القول أن تيارات التغير المرتقبة فى المجتمع الاسرائيلى لابد لها ان تحمل طابع التكامل والتناقض ، والاستمرار والانقطاع من خلال عملية مستمرة ابدا .

فى ضوء ذلك ، يمكن القول ان التغيرات المرتقبة لحرب رمضان على المجتمع الاسرائيلى ستاخذ صورة او اكثر من صور العمليات الاجتماعية التالية :

١ - فهى اما أن تكون دعما لعمليات كانت تاخذ مجراها فعلا فى المجتمع الاسرائيلى قبل عام ١٩٧٣ .

٢ - واما ان تكون انقطاعا فى عمليات اجتماعية كانت سارية .

٣ - واما ان تكون اخيرا ظهورا لعمليات اجتماعية ولظواهر لم تكن موجودة من قبل فى المجتمع الاسرائيلى، او كانت - على الارجح - كامنة ثم كشفت عنها بوضوح حرب رمضان .

التغيرات المرتقبة فى المجتمع الاسرائيلى بعد حرب رمضان :

يمكن القول ان قيام حرب رمضان ادى الى اختلال الموازين الاسرائيلية والدولية اختلالا بالغ العنف ، اذ انتقل الصراع المتجمد الى الصدارة فى سلم الاهتمامات العالمية .

لقد كانت حرب رمضان - بتعبير عالم الاجتماع الفرنسى الصهيونى المعروف ريمون آرون فى مقال نشره فى الفيجارو بتاريخ ١٩٧٣/١١/٦ - من اكبر مفاجآت العصر .

وهذا الحكم فى الحقيقة يتضمن معنى التسليم الأعمى بالادعاءات الاسرائيلية عن ضعف العرب وانهيارهم واستسلامهم للامر الواقع ، الذى تهيمن عليه اسرائيل .

والحقيقة انه ترتب على تراجع الجيش الاسرائيلى امام الجيوش العربية ، وارتفاع عدد خسائره البشرية ، اصداء بالغة العنف فى المجتمع الاسرائيلى .

وفى تقديرنا ان هناك تغيرا جوهريا سيطرا على المجتمع الاسرائيلى نتيجة لهذه الحرب ، يتمثل فيما يمكن ان نطلق عليه التغير الجوهرى فى الاطار الادراكى للاسرائيليين ، ومن ناحية اخرى لابد ان تترك الحرب بصماتها على عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى التى كانت تاخذ مجراها قبل الحرب .

التغير الجوهرى فى الاطار الادراكى للاسرائيليين :

لعل الاطار الادراكى للاسرائيليين — فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى — يتمثل اكثر ما يتمثل فى النظرة للذات والنظرة للآخر . والآخر هنا هم العرب بطبيعة الاحوال . **والنظرة الاسرائيلية للذات تتضمن تصورا محددا لدولة اسرائيل : دورها ورسالتها ، ومن ناحية اخرى صورة ذاتية عن الاسرائيليين كافراد وكشعب ، ولعل السمة الاساسية لتصور اسرائيل لدورها ورسالتها كونه تصورا يسيطر عليه الوعى الزائف بكل ما تعنيه الكلمة من معان .**

فقد الحت اسرائيل على تقديم صورة لنفسها امام العالم الغربى باعتبارها مثلا للحضارة الغربية وللتقدم التكنولوجى فى العالم العربى الذى يسوده التخلف . ومن ناحية علاقات القوة ، فاسرائيل هى المخفر الامامى للمصالح الغربية بوجه عام والامريكية بوجه خاص . ومن خلال قوتها العسكرية اعطت لنفسها دور « رجل الشرطة » فى المنطقة الذى يستطيع حيثما يشاء ، وحيثما يريد ردع العرب واخضاعهم .

اما رسالة اسرائيل فهى رسالة روحية منفردة فى العالم ، لا يمكن لاى شعب تحقيقها سوى الشعب اليهودى فى اسرائيل . اما الصورة الذاتية للاسرائيليين عن انفسهم كافراد وكشعب ، فيسيطر عليها الاحساس بالتميز ، حيث يشعرون فى قرارة انفسهم بسموهم على غيرهم من الشعوب ، وعلى الشعب العربى — الطرف الآخر فى الصراع — بوجه خاص .

لقد وضع الاسرائيليون ثقتهم فى قادتهم السياسيين والعسكريين ، وتضخمت ذواتهم بوجه خاص عقب الانتصار الاسرائيلى الكاسح فى يونيو ١٩٦٧ واصبحوا يتصورون انهم اصبحوا سادة المنطقة الى الابد .

لكل ذلك كانت حرب رمضان وما صحبها من تراجع للجيش الاسرائيلى ، وبروز للقوة الحقيقية للجيوش العربية ، بمثابة الصدمة الساحقة التى اصابت الاسرائيليين بالبلبلة ، والحيرة والاضطراب .

ولعل ابلغ وصف لهذه الحالة النفسية ما ذهبت اليه جريدة يديعوت احرونوت من « **اننا نحس كما لو كنا نعيش بعد زلزال اصاب بلادنا** » .

ومما له دلالة كبرى بهذا الصدد ، تقطع وسائل الاتصال التقليدية فى المجتمع الاسرائيلى ، فقد احس الاسرائيليون انهم لا يستطيعون التعبير عن انفسهم من خلال القنوات المعتادة : الاحزاب السياسية والمؤسسات الاجتماعية .

ومن هنا برزت ظاهرة ليس لها سابقة من قبل فى اسرائيل ، هى ظهور اعلانات مدفوعة فى الجرائد الاسرائيلية لجماعات مختلفة من الاسرائيليين ، يعبرون فيها كل بطريقته وبحسب ميوله وآرائه السياسية عن رد فعلهم العنيف ازاء ما حدث لاسرائيل فى حرب رمضان . وتراوحت ما تنادى به هذه الاعلانات بين الدعوة الى مزيد من التشدد ، والمناداة بضرورة تحقيق السلام ولو على حساب الاراضى العربية المحتلة .

وظهرت فجوة واضحة بين الجماهير والحكومة ، حدثت فجوة تصديق ، كشفت عنها المظاهرات التى ثارت امام الكنيست اثناء القاء جولدا مائير الخطاب لها ، وكان من شعاراتها « ان شعب اسرائيل قوى ، ولكن حكومته ضعيفة » .

وابتدات بوادر تهاوى الوعى الزائف بدور اسرائيل ، فيما بدا يظهر من مقالات لكتاب يهود واسرائيليين يتحدثون بصراحة عن « نهاية دولة اسرائيل الكبرى (١) .. » .

ويقرر سيجلمان ان « عقدة الدولة الاسرائيلية الكبرى التى تقف فى مواجهة جيرانها العرب ، والتى كانت راسخة تماما ، ومستحكمة

---

(١) فيكتور سيجلمان — لونوفل اوبزرفاتور الفرنسية — ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

للغاية ، ومنذ مالا يزيد عن شهرين ، اختفت هذه الدولة تماما ، بدون ان تخلف اية آثار » .

وفى نفس هــذا الاتجاه صرحت جولدا مائير فى مؤتمر الدوليــة الاشتراكية فى لندن « انه لأمر فظيع أن تكون دولة صغيرة تقف بمفردها ، غير انه ينبغى الا يغيب عن بالنا أن اسرائيل دابت على ممارسة اللعب على الفكرتين حسب الظروف والاحوال : اسرائيل الكبرى واسرائيــل الصغرى .

ولا تعنى الكتابات والتصريحـات السابقة ان الأحلام الخاصــة باسرائيــل الكبرى قد تبددت . ومع ذلك فمن المشروع أن نستنتج انه نتيجة لحرب رمضان لابد ان تثور تساؤلات جماهير الاسرائيليين حول امكانية السير فى طريق اسرائيل الكبرى ، بعد ما تبين ــ نتيجة لحرب رمضان ــ الحدود الدولية والاقليمية التى تقف حائلا دون تحقيق هذا الحلم ، ليس على مستوى المناقشــة النظرية ، ولـكن على اســاس التطبيق ، وفى ضوء ما حدث فى الحرب الأخيرة .

واهم ما نريد ان نركز عليه انه قد حدث خلل جسيم فى مكونات الاطار الادراكى للاسرائيليين نتيجة لحرب رمضان . غير ان الاسرائيليين لا يمكن لهم ــ من وجهة النظر النفسية ــ تغيير اتجاهاتهم ازاء انفسهم وازاء العرب فى فترة قصيرة .

ولذلك نتـوقع ان الوعى الاسرائيلى سيمر فى المرحلة القـادمة فى مرحلة انتقالية غير محددة الملامح ، سيحاول فيها اعادة صياغة مكوناته الأساسية . فى هذه المرحلة سـيقاوم الاسرائيليون قبـول الحقـائق الجديدة التى اسفرت عنها الحرب ، وسيتذبذبون بين أقصى التمســك بالمفاهيم القديمة ، الى اقصى القبول اللفظى للواقع الجديد .

ولعـل ما يكشف عن ذلك كله ما يقرره فيكتور سيجلمان فى المقال السابق الاشارة اليه ، من انه « اذا كان القـادة الاسرائيليون يدعون أن اسرائيل قد انتصرت فى الحرب ، فان الاسرائيليين انفسهم لا يشعرون بانهم انتصروا على الاطلاق » .

ويتســاءل عن اتجاه الاسرائيليين نحـو الســلام فيقول « انهم يريدونه ، بل يتمنونه ، ولا يكفون عن الحــديث عنه ، **ولكنهم لا يؤمنون به »** واذا اردنا تحـديد اتجاهات التغيير فى الوعى الاسرائيلى ، نتيجة للصدمة السيكلوجية التى نشأت عن حرب رمضــان والتى اســتمرت

طوال الحرب ، فيمكن القول ان الحرب ادت الى تكثيف اتجاهين قويين فى الفكر الاسرائيلى .

١ ــ فمن ناحية تزايد الشعور بالحاجة الى تســوية سـلام حقيقية ودائمة ، بعد فترة كان الرأى العام فى اسرائيل ، قد ركن الى حد كبير الى اعتقاد مريح بان اسرائيــل يمكنها ان تقف صـامدة على حدود الأمر الواقع التى تم تأسيـسها فى عام ١٩٦٧ .

٢ ــ ومن ناحية اخرى ، فان الجرح الذى اصاب اسرائيل ، قد دعم مطالب اولئك الذين يتحدثون عن الحــدود الآمنــة التى يمكن الدفاع عنها .

ويقرر ريتشارد جونز فى مقاله « ثمن الســلام قد يكون سـقوط مائير فى الانتخـابات (١) .. » ، ان هذين التيارين الفكريين غالبا ما يتعايشـان ، ويمكن تجمعهما فى فكر شخص واحد بدرجة او باخرى .

ولكن عندما اصبح الامر يتعلق ــ فى الوقت الراهن ــ بمفاوضات سلام كبيرة ينبغى النظر اليهما على انهما تياران متعارضـان .

ويصل جونز الى نتيجة مفـادها انه سـيكون لكيفية حل هــذا التناقض وحقيقة التعبير عنه ، مدلول حيوى بالنسـبة لفرص الســلام فى الشرق الأوسـط .

ونستطيع جريا ــ مع بعض المعلقين الســيـاسـيين ــ التفرقة بين المدى القصــير والمدى الطويل فى تغير اتجـاهات الوعى الاسرائيلى ازاء الصراع ، ذلك على اساس ان عامل الزمن حاسم فى هذا المجال (٢) .

فعلى المدى القصير ، قد يجد دعاة التوسـع مســاندة واســعة فى الراى العام الاسرائيلى .

اما على المدى الطويل، فقد تسود مع ذلك وجهة النظر المعارضة ، التى يمكن أن تستند الى أن حرب رمضان قد اثبتت ان خطوط ١٩٦٧ ليست آمنة كلية ، وانه لا يمكن تحقيق امن اسرائيل الا بعد التوصل الى سلام حقيقى ، وان الحفاظ على الوضع الراهن يعمل ضد السلام .

---

(١) الفاينانشال تايمز البريطانية ــ ٦ نوفمبر ١٩٧٣ .

(٢) يورام كيسيل ــ اسرائيل والسلام ــ جويش كرونكل البريطانية ــ ٢ نوفمبر ١٩٧٣ .

هذه التفرقة بين المدى القصير والطويل اساسية ، ذلك انها يمكن ان تتيح لنا ان نفهم بعض الظواهر النفسية الاجتماعية السائدة الآن فى المجتمع الاسرائيلي .

فبناء على قياسات الراى العام التى اجريت فى اسرائيل عقب الحرب ، استخلص بعض الملقين السياسيين (الصنداى تايمز البريطانية – ٤/١١/١٩٧٣) ان الراى العام الاسرائيلي – فى الأمد الطويل – سيجند « الحمائم » الذين يدعون الاعتدال .

غير ان اثر الحرب كان عاملا قصير الأمد فى تشدد الراى العام . فان كثيرين من الاسرائيليين فوجئوا فى نهاية حرب بالغة القسوة على اسرائيل ، بانصراف العطف الدولى عنهم ، فشعروا بأنهم معزولون محاصرون .

ومن الطبيعى فى هذه الأحوال – بدون ادنى شك – ان يسعى الشعب المحاصر الى البحث عن بطل يتوحد معه ، وفى هذا المجال لعب الجنرال اريل شارون ، دور فارس الحرب الأصيل ، الذى قلب ميزان المعركة لصالح اسرائيل .

غير انه فى يقيننا ، انه لا يمكن رصد اتجاهات التغير فى الوعى الاسرائيلي ، الا بعد مرور هذه المرحلة الانتقالية التى اشرنا الى سماتها الأساسية .

ولكن محصلة التغير الكيفى ، لن تعتمد فقط على عامل الزمن ، والشفاء من الصدمة السيكلوجية العنيفة التى نجمت من الحرب ، ولكن ايضا على تفاوت مستويات الوعى الاسرائيلي . هنا لابد ان نفرق تفرقة واضحة بين مستويات ثلاثة : مستوى الصفوة السياسية ، ومستوى العلماء والمفكرين الاجتماعيين ، ومستوى الراى العام الاسرائيلي .

ان التغيرات فى الوعى الاسرائيلي على **مستوى الصفوة السياسية** عملية بالغة التعقيد . لانها من ناحية تعتمد على الخلافات التكتيكية او الاستراتيجية بين اعضاء هذه الصفوة فيما يتعلق بمواقفهم من الصراع العربى الاسرائيلي من ناحية ، وعلى قدرتهم على التكيف مع الحقائق الجديدة التى ترتبت على حرب رمضان من ناحية أخرى .

وفى تقديرنا ان مقاومة أعضاء الصفوة الاسرائيلية المتشددين ستزداد عنفا وضراوة فى المرحلة القادمة . فليس ميسورا على من

صاغوا الاستراتيجية الأساسية للتعامل مع العرب بكل ما تتضمنه من اوهام اسرائيل الكبرى ، وسياسة التوسع ، وضم الاراضى ، وعبادة القوة والاعتماد عليها ، والتضخيم فى الذات الاسرائيلية ، والتهوين من شان العرب .. ليس ميسورا عليهم ان يتراجعوا تراجعا جوهريا فى موقفهم .

وقد يلعب المعتدلون هنا دورا هاما فى اعادة الوعى الاسرائيلي على مستوى الجماهير ، حتى يكون اكثر تطابقا مع الواقع الجديد .

ويأتى بعد ذلك المستوى الثانى ، وهم العلماء والمفكرون الاجتماعيون ؛ الذين اسهموا بدورهم فى صياغة صورة الذات الاسرائيلية ، وصورة الشخصية العربية . ان هذه الفئة – نزولا على الاعتبارات الاكاديمية التى وان كان من الممكن ، كما فعلوا ، الانحراف منها ، وخصوصا فى سنوات العجز العربى عقب حرب يونيو ١٩٦٧ – لن يستطيعوا طويلا الاستمرار فى خديعة الراى العام الاسرائيلي ، ولابد لهم ان يعيدوا صياغة نظرياتهم التى جهدوا فى صياغتها والترويج لها .

ولعل بدايات الحديث فى اسرائيل عن القدرة المتنامية للمقاتل العربى ، التى ردمت تحت رمال الصلف والغرور الاسرائيلي ، الذى كان رد فعل النصر الاسرائيلي فى ١٩٦٧ ، تشير الى هذا التحول الذى لابد له ان يتم .

ولا يبقى امامنا سوى المستوى الثالث الخاص بالراى العام الاسرائيلي . وفى تقديرنا ان تغير الوعى لدى الراى العام الاسرائيلي نتيجة لحرب رمضان سيتم بمعدل اسرع من معدل تغير الصفوة السياسية والعلماء والمفكرين . ذلك ان الحقائق السياسية والعسكرية الصلبة تكون اقوى نفاذا الى هذا الوعى ، خصوصا بالنسبة لحرب تساقط فيها – لأول مرة فى تاريخ اسرائيل – آلاف القتلى والجرحى ، ووقع مئات الأسرى فى أيدى القوات العربية .

ولعل مما سيساعد على هذا التغير نتائج الاتصال الواسع المدى مع العرب ، الذى تم تحت مظلة سياسة الجسور المفتوحة ، التى سبق ان اشرنا اليها ، غير ان هذا الاتصال السلمى ، اضيف اليه فى حرب رمضان اتصال عدائى بين القوات المسلحة الاسرائيلية والقوات المسلحة العربية .

وقد تكون هذه هى المرة الاولى التى يكتشف فيها المقاتل الاسرائيلي – على نطاق واسع وبصورة حادة وقاسية – المقاتل العربى

وقدراته . ولابد للأفكار القومية النمطية الثابتة التى كان يعتنقها الاسرائيليون عن العرب ، أن تتهاوى تحت وطأة هذا الاكتشاف . لن يحدث ذلك فورا بطبيعة الأحوال ، ولكن لا شك ان حرب رمضان من شأنها اطلاق بدايات هذا التغير .

عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى :

● ما هو اثر حرب رمضان على عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى ؟

ان ذلك يرتبط بالمشكلات النوعية التى كانت تجابه المجتمع الاسرائيلى قبل الحرب والتى يمكن حصرها فى أربع مشكلات : الصراع الطبقى والسلالى ، والصراع بين الأجيال ، والاغتراب والتفكك الاجتماعى ، واستراتيجية التعامل مع العرب .

١ ـ وفى تقديرنا أن تأثير حرب رمضان على الصراع الطبقى والسلالى سيكون حاسما . بعبارة أخرى نتوقع ـ نتيجة للأعباء المالية الباهظة التى وقعت على اسرائيل نتيجة للحرب ـ بالاضافة الى الخسارة الاقتصادية الضخمة نتيجة لنقص الانتاج وتوقفه فى بعض القطاعات ـ أن تزداد اعباء الضرائب على الاسرائيلى العادى .

هؤلاء الاسرائيليون سبق لهم أن خاضوا معارك شتى من خلال الاضرابات ووسائل الصراع الاجتماعى الأخرى ، لتحسين أحوالهم المعيشية . ولذلك يتوقع زيادة تبلور الوعى الطبقى بين الفئات الاجتماعية الاسرائيلية ، مما من شأنه أن يلعب البعد الطبقى ـ على المدى البعيد ـ ومواكبا لاكتمال صياغة المجتمع الاسرائيلى على نسق المجتمعات الراسمالية الاستهلاكية ـ دورا أكثر بروزا من الدور الذى يلعبه المبدأ السلالى .

وفى الوقت نفسه ستشهد المرحلة القادمة من تطور المجتمع الاسرائيلى تصاعدا للصراع السلالى بكل أشكاله . وسيتخذ هذا التصاعد صورة الصراع التقليدى الذى تمارسه الأقليات المتميزة فى المجتمعات التعددية ، بما يتضمن ذلك من الحفاظ على رموز الحضارات الفرعونية وتنميتها والتوحد مع قيمتها ازاء قيم المجتمع السائدة ، وابتداع صور شتى للتعبير السياسى والاجتماعى عن قيمها ومصالحها الاجتماعية والطبقية .

وقد يرجح هذه الاحتمالات جميعا ، الامكانات المطروحة لتحقيق تسوية سلمية بين اسرائيل والعرب . ان تحقق ذلك ، فلا مناص من أن يفعل قانون الصراع الرئيسى فى المجتمع الاسرائيلى فعله ، **وهو الذى يقوم على قاعدة مؤداها : اذا اختفى الصراع المسلح بين اسرائيل والعالم العربى ، ظهر الصراع الاجتماعى المكتوم والمقيد الى السطح .**

٢ ـ ونتوقع أن يكون لحرب رمضان وقع شديد على مسار الصراعات السابقة والحالية بين أجيال الصفوة السياسية الاسرائيلية الحاكمة ، وقد تكون الحرب هى المعول الذى سيأتى على آخر الأرصدة المتبقية للحرس القديم الاسرائيلى .

ولعل صيحة يورى أفنيرى « **هل نترك حكامنا يردون على قضايا جديدة بأجوبة قديمة ؟** » ، تشير الى اتجاهات الصراع العنيف الذى سيشتد فى المرحلة القادمة ، بين الصفوة الاسرائيلية التقليدية ، والصفوة الشابة التى يكافح أعضاؤها لكى يأخذوا فرصتهم فى الحكم واتخاذ القرار .

وقد تكون طبيعة المرحلة القادمة ، **التى لن يتاح فيها لاسرائيل** ممارسة دورها **القديم الذى سقط فى أكتوبر ١٩٧٣** ، هى الأرضية التى قد تسمح لأعضاء هذه الصفوة ان تزحف الى الصفوف الاولى .

أما الصراع بين الصفوة السياسية وجماهير الشباب الاسرائيلى فيتوقع أن تزداد حدته نتيجة للنتائج المخيبة للآمال التى حققها الجيش الاسرائيلى فى ميدان القتال ، ولتساقط كثير من الدعاوى والأساطير الاسرائيلية .

٣ ـ ان مظاهر الاغتراب والتفكك الاجتماعى ، يتوقع أن تزيد حدتها فى المرحلة المقبلة ، ما لم تحدث عملية اعادة صياغة خلاقة لنسق القيم فى المجتمع الاسرائيلى ، حتى تكون أكثر انسانية .

غير أن هذه عملية بالغة التعقيد ، يختلط فيها الوعى الزائف بالوعى الحقيقى ، وتؤثر عليها ارتباطات تاريخية وعاطفية بقيم قديمة قام عليها المشروع الصهيونى منذ البداية ، ولذلك لا نتوقع أن تتم هذه العملية فى المدى القريب مما سيترتب عليه شيوع حالة من حالات « تصدع القيم » ، حيث يفتقر الناس الى مستويات خلقية للحكم على السلوك الاجتماعى .

وسيساعد على ذلك الآثار المتزايدة لتداعى المجتمع الايديولوجى

القـديم واكتمال ملامح المجتمع الصناعي الاستهلاكي الجديد ، بما يتضمنه من تفاوت طبقي حاد ، مما يؤدي الى شيوع مشاعر الاحباط القاسية لدى أعضاء الفئات الاجتماعية المحرومة .

غير انه أخطر من ذلك كله ، نتوقع أن **تزداد حدة الاتجاه السلبي الذي كان سائدا بين الشـباب الاسرائيلي من قبل ازاء الحرب .** فحرب رمضان ، بما تضمنته من سقوط آلاف القتلى الاسرائيليين ، ستترك آثارا عميقة في وعي الشـباب الاسرائيلي . ستؤدي الى الاقناع بعبثية السياسة الاسرائيلية التقليدية .

٤ – وتبقى أخيرا التغيرات التي ستطرأ على نظرة الاسرائيليين الى العرب . مضى الزمن الذي كان يمكن فيه التهوين من شأن العربي ، والتلويح بعجزه وتخلفه ، فمن خـلال معارك أكتوبر ، تساقطت الأوهـام الاسرائيلية ، وظهرت الحقائق العربية .

وخلاصة دراستنا ، ان حرب رمضان سـتكون بداية لتغيرات واسعة المدى في بنية المجتمـع الاسرائيلي ، وفي نسق القيم الذي يصدر عنه ، في الاتجاهات التي تسود بين الاسرائيليين ، غير أن التغيرات الاجتماعية ، لا بد لها أن تتفاعل عبر مراحل زمنية كاملة، حتى تظهر آثارها(١) .

وعن الاقتصاد الاسرائيلي :

صرح حاييم بارليف وزير التجارة والصـناعة الاسرائيلي لجريدة هاآرتس في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ بأن ٧٧ ألفا (يشكلون ٢٧٪) من مجموع ٢٩٥ ألف عامل في الصناعة ، لايزالون حتى الآن مجندين ..

وذكر بارليف : لقد وصل التصدير الصناعي ، خلال أكتوبر الى ٧٤ مليون دولار مقابل ٩٠ مليون دولار عن الشهر نفسه من السنة الماضية . كذلك فان الطلب على منتجات البناء قد تقلص ، لأن أعمال البناء تدهورت بنسبة ٤٠٪ من حجمها العادي .. ولقد كان الطلب على منتجات صناعة الأغذية عاديا ، اما الطلب على الفراء والحلي فقد تقلص حتى الصفر تقريبا لعدم وجود سياح . ولقد بلغ حجم النشاط التجاري ، خلال أكتوبر ، نحو ٣٠٪ من حجمه العادي ..

وكشف الوزير أيضا أنه في عشية الحرب كان نصف انتاج فروع الصلب والالكترونات ووسائل النقل معدا لخدمة جهاز الدفاع . ولـكن

(١) هذه الدراسة التحليلية بقلم الأستاذ الســيد يس رئيس وحدة بحوث بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية .

بسبب الطلبات الكبيرة الجديدة التي وجهت الى مصانع كثيرة خـلال الأسابيع الأخيرة ، ستكون المصانع ملزمة بتحويل من ٧٠٪ الى ٧٥٪ من انتاجها خلال السنة المقبلة لحاجات جهاز الدفاع ..

وأضاف بارليف أنه ينبغي تخطيط النشاط للأشهر القادمة ، وربما لثلاثة أشهر وربما لثمانية ، بحيث يبقى الآلاف من عمال الصناعة مجندين في الاحتياط .

وعلق يوفال اليتسور الاقتصـادي الاسرائيلي الشهير في جريدة معاريف يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الراهن للاقتصاد الاسرائيلي بقوله « انه اذا ما استمر وقف اطلاق النار ، أو اذا تجددت الحرب ، فان الاقتصاد الاسرائيلي لن يعود ، خلال الأسابيع القريبة ، الى وضـع من الاستقرار . ويمكن الافتراض أيضا ، أن الظروف التي سادت بالنسبة له قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لن تعود ثانية .. ان عملية تسريح الاحتيـاط ستكون هذه المرة ، بحسب كل الدلائل ، بطيئة أكثر مما كانت عليه في الماضي . كذلك فان الانتقال الى فترة الأعمال العادية ستكون هذه المرة أطول » ..

وأضاف اليتسور أنه يتوقع أن يتسم النشاط الاقتصادي في الفترة التي تلي الحرب بطابع شد الأحزمة .. « واذا ما وضعنا في الحسبان زيادة الضرائب أيضا ، وكذلك تقلص المساعدات المـالية (الحكومية) للحاجات الضرورية – وهي اجراءات كان من الواجب على أية حال اتخاذها بعـد الانتخابات لانقاذ الاقتصاد من ضمن التضخم التي أصابته قبـل نشوب القتال – فانه من الواضح أنه سـتكون هناك حاجة الى تقليص مستوى المعيشة في الاقتصاد الاسرائيلي خلال السنة أو السنتين المقبلتين بنحو ١٠٪ على الأقل » ..

... لقد استمعت اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب الأمريكي في طوافهـا بمختلف الدوائر الحكومية الاسرائيلية بعد الحرب فيما بين ١٧ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ الى تقارير من وزارة المالية الاسرائيلية تؤكد حاجة اسرائيل الى المساعدة المالية العاجلة .

فبينما كلفتها حرب يونيـو ١٩٦٧ حوالي مليون دولار في اليوم الواحد ، اذ بحرب أكتوبر ١٩٧٣ تكلفها حـوالي ٢٥٠ مليون دولار في اليوم . أي أن مجموع ما أنفقته اسرائيل على هذه الحرب تجاوز ٦ بلايين دولار . ووصلت قيمة مجموع واردات الدفاع الاسرائيلي عام ١٩٧٣ الى حوالي ١٫٨ مليون دولار ، أي أكثر ١١ مرة منها عام ١٩٦٧ .

وهذا الرقم يشكل حوالى ثلث مجموع وارداتها عام ١٩٧٢ . وقد انفق ما يزيد على ٤٠٪ من اجمالى الناتج القومى الاسرائيلى على شئون الدفاع ومطالبه عام ١٩٧٣ . ووصل مجموع الديون الخارجية الى ٥ ملايين دولار ، اى بواقع ١٥٠٠ دولار لكل مواطن اسرائيلى ، كما وصلت أقساط سداد هذه الديون الى ٨٠٠ مليون دولار سنويا ، اى ما يعادل نصف مجموع احتياطى اسرائيل من النقد .

وكمثال على ضخامة العبء الضريبى على المواطن الاسرائيلى فان الفرد الذى يحصل على ألف دولار شهريا يصل صافى راتبه بعد استقطاع الضرائب المختلفة الى ٤٥٠ دولار فى الشهر (١) .. » .

حصيلة الملحمة :

بقيت فى الملحمة جولتان ، جولة فى فكر القادة والرؤساء الذين خططوا الهجوم وأداروه ، وجولة أخرى فى فكر أبرز فلاسفة الحرب المعاصرين عن الدروس المستفادة من حرب رمضان ..

• **فيقول الفريق اول احمد اسماعيل** « لنذكر بالفخار دائما شهداءنا الأبرار ، وقد كان أول من بذل حياته فداء للوطن هو الشهيد العميد شفيق مترى سدراك قائد اللواء ١٦ المشاة ، الذى جاد بروحه وهو على رأس جنوده (٢) .. » .

• **ويقول الفريق سعد الشاذلى** رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية « ان نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود . لقد كانت توجيهات السيد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، ومشاركته الدائمة فى مناقشة المسائل وايجاد الحلول لها خير موجه للقيادة العامة للقوات المسلحة وهى ترسم وتحسب كل الاحتمالات .

كما كان الفريق أول احمد اسماعيل على قمة جهاز القيادة يشارك

(١) من تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب الأمريكى فى الجلسة الأولى للدورة الثانية والتسعين للكونجرس الأمريكى — ١٢ ديسمبر ١٩٧٢ .

(٢) مجلس الشعب — ٨ ديسمبر ١٩٧٣ .

بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز والاعداد والتنفيذ ، حتى استطعنا فى النهاية أن نحقق فى ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع ، وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار للعرب وقواتهم المسلحة (١) .. » .

• **ويقول الفريق احمد فؤاد ذكرى** قائد القوات البحرية .. « كانت خطط البحرية تعتمد أساسا على مهاجمة العدو على جبهة عريضة فى البحرين الأبيض والاحمر ، مع استخدام أقصى جهد للوحدات البحرية خلال الأيام الأولى للعمليات ، واستغلال عامل المفاجأة الى اقصى حد مستطاع ، وتثبيت جهود العدو وارباك قيادته (٢) .. » .

• **ويقول اللواء محمد على فهمى** قائد قوات الدفاع الجوى .. « ان سر تفوق الدفاع الجوى هو التخطيط الجيد ، واستيعاب الرجال للأسلحة الحديثة المعقدة ، وقدرتهم العالية على استعادة الموقف بسرعة ، واصلاح المعدات بحيث كانوا دائما على أهبة الاستعداد لملاقاة العدو ، وتكبيده خسائر حطمت معنويات الطيارين الاسرائيليين (٣) .. » .

• **ويقول اللواء محمد حسنى مبارك** قائد القوات الجوية .. « لقد أعطتنا نكسة ١٩٦٧ منطلقا جادا لاعادة بناء قواتنا الجوية من الأساس . كما وفرت لنا خبرة عريضة ، وزودتنا بالدروس المستفادة التى كان لها فضل انشاء قوات جوية متطورة ، أمكنها تنفيذ أعقد المهام وأخطرها حيال الوطن (٤) .. » .

• **ويقول اللواء محمد عبد الغنى الجمسى** رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة « ان الدور الرئيسى فى حسم هذه المعركة وتحقيق النصر كان للمقاتل المصرى الذى يتمتع بايمان راسخ وروح معنوية وقتالية عالية ، المؤمن بالهدف الذى يحارب من أجله (٥) .. » .

• **ويقول اللواء محمد سعد الدين مأمون** قائد الجيش الثانى الميدانى .. « لقد كانت مشاعر الأهالى المدنيين فى أرض المعركة مدعاة للفخر والثناء ، فبمجرد أن هدرت نيران مدفعيتنا فى الجبهة ، واستمع المواطنون الى الجنود وهم يهللون بأعلى صوت .. الله أكبر ، الله أكبر ،

(١) الأخبار القاهرية — ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ .

(٢) الأهرام القاهرية — ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٣) الأهرام القاهرية — ١١ ديسمبر ١٩٧٣

(٤) الأهرام القاهرية — ١١ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٥) تقرير رئيس هيئة العمليات أمام مجلس الشعب — ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ .

هب الشباب والشيوخ والأطفال ، ذكورا وأناثا ، يقدمون المساعدة قدر طاقتهم ، ويشاركون بوجدانهم وأجسامهم فى القتال المحتدم (١) ٠٠ » ٠

• ويقول اللواء **محمد عبد المنعم واصل** قائد الجيش الثالث الميدانى ٠٠ « وهؤلاء جنودى البواسل ، لن يقف فى وجههم مانع مهما بلغت وعورته ، أو حصن مهما اشتدت مناعته ، فهم المنصورون بعون الله وعدالة قضيتنا (٢) ٠٠ » ٠

• ويقول اللواء **جمال محمد على** مدير المهندسين ٠٠ « يقف وراء النجاح العظيم الذى حققته قواتنا المسلحة بقفزتها الباسلة عبر القناة ، واجتياحها الجارف خط بارليف الحصين ، تلك الجهود المضنية للمهندسين العسكريين وابتكاراتهم الفذة ، وحلولهم العملية للمشاكل الكثيرة التى كانت تواجه عملية العبور فوق المانع العريض ـ قناة السويس ـ ثم المانع الحصين ـ خط بارليف (٣) ٠٠ » ٠

• ويقول العميد **نبيل شكرى** قائد القوات الخاصة ٠٠ « لقد كانت البداية قبل أن يطلق قائدنا الأعلى شرارة الملحمة الخالدة بسنوات طويلة ، قضيناها فى اعداد انفسنا بالجهد والعرق والدم ، يدفعنا ما وفره لنا شعبنا العظيم من أجل المعركة المرتقبة ، وكان شوقنا الى خوض القتال لنرد للشعب دينه بدمائنا وأرواحنا لا يعادله شوق أو يدانيه (٤) ٠٠ » ٠

***

● **اما حصيلة الجولة الثانية فى فكر ابرز فلاسفة الحرب المعاصرين ، فتلخص ايضا فى عشر نقاط ، يسوقها الجنرال اندريه بوفر فى ندوته التى عقدها باكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ وقال فيها :**

١ ـ « أريد أن ابدى اعجابى الشديد بالعمل الذى انجزته القوات المسلحة المصرية والسورية ، مشفوعا باعجابى بذلك التقدم الذى اظهرته هذه القوات فى الميدان » ٠

---

(١) تقرير قائد الجيش الثانى امام مجلس الشعب ـ ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ ٠
(٢) مقابلة خاصة ـ ١٢ اكتوبر ١٩٧٣ ٠
(٣) الأهرام القاهرية ـ ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ٠
(٤) الأهرام القاهرية ـ ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

٢ ـ « لقد أبرزت حرب رمضان ـ كما تابعتها من بعيد ـ دروسا عديدة فى المجالات الفنية والتعبوية والاستراتيجية والسياسية ٠ فالصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والمضادة للدبابات قد أثبتت كفاءتها وبأسها الشديد ، وبفضل هذه الصواريخ فشلت الدبابات والطائرات الاسرائيلية فى احراز التفوق ، ومالت الموازين الى جانب العرب » ٠

٣ ـ « وأثبتت حرب رمضان أن المعركة فى مجالها الفنى سوف تزداد تعقيدا نظرا لأن كل خطوة للتطور سوف تعقبها خطوة أخرى مضادة لهذا التطور ، ولسوف يصبح التفوق التكنولوجى تبعا لذلك شديد الوقع عظيم التأثير على أحداث القتال » ٠

٤ ـ « لقد أصاب الشلل اسرائيل فى الفترة الأولى من الحرب حتى حصلوا على معدات أمريكية شديدة التطور ، ورغم ذلك فلم يستطيعوا أن يحرزوا ذلك التفوق الكامل الذى أحرزوه فى حرب ١٩٦٧ » ٠

٥ ـ « ومن وجهة النظر التعبوية فقد كان الدرس الأهم فى حرب رمضان هو أن القوات الجوية اذا أحسن انتشارها وحمايتها سوف تتمكن من الاستمرار فى البقاء فتحرم بذلك الخصم من التمتع بميزة كبرى هى التفوق أو السيطرة الجوية ٠

وقد أدى توفر الصواريخ المضادة للطائرات لتقديم الوقاية الفعالة للقوات البرية ـ حتى فى غياب الحماية بواسطة الطائرات ـ أدى الى خلق موقف جديد تماما لم يسبق ممارسته فى الحروب السابقة، وأعنى به ذلك التوازن بين القوات الجوية لدى الطرفين الذى خلق موقفا يختلف تماما عما لمسناه فى الحرب العالمية الثانية ، أو فى الجولات العربية الاسرائيلية السابقة ، عندما كان احد الخصوم ينجح فى احراز التفوق أو السيطرة الجوية على سماء المسرح خلال المرحلة الافتتاحية أو المرحلة الأولى للحرب ٠

٦ ـ « أما عن المعركة البرية فقد أبرزت حرب رمضان أن الدفاع مهما كان حصينا ـ كقلاع خط بارليف ـ فسوف يظل عرضة للاختراق والتدمير ما دامت القوات المهاجمة من القوة والكثافة والتصميم بالقدر الذى يضمن لها الغلبة » ٠

٧ ـ « وهناك نقطة أخرى ، هى أن العمليات الليلية تعتبر ضرورية جدا ، وانني أعرف مقدار صعوبتها ، ولكن اذا وثق المقاتل من

نفسه اصبح الليل صديقه وعدو عدوه ، انها مسألة عادة وروح معنوية » .

٨ ـ « وعلينا أن نتذكر دائما أن الأمن والســلام يكمنان في مداومة الحركة والمناورة ، ويجب على القوات أن تغير أوضاعها باستمرار لأنها اذا توقفت ضاعت ، وخاصة ضد عدو كاسرائيــل ، فاذا ما توقفتم فليكن ذلك عند مانع أقوى كثيرا من قناة السويس ، أو بعد هزيمة عدوكم بما يجعلكم سادة الموقف » .

٩ ـ « وعلى المستوى الاستراتيجي فان الموقف العالمي الحالي ، ووجـود القوتين الأعظم وتهديدات الحرب النووية قد جعـل الحرب بين الدول الصغيرة محدودة من حيث الاهداف ومن حيث الزمن ومن حيث الساحة ... وقد كانت حرب رمضان حربا محدودة ، وذلك لان المعركة المسلحة لا تخرج في الواقع عن كونها جزءا من مباراة أكبر ، تتطلب معارك دعائية واقتصـادية ودبلوماسية وسياسية مكثفة ، تلك هي المباراة الكاملة ..

وليست القوات المسلحة سوى الطبلة الكبيرة وسط أوركسترا تعزف سيمفونية ، وليست ـ كما يرغب بعض العسـكريين ـ معزوفة منفردة (سولو) . ومن وجهة النظر هذه يعتبر الهجوم المصري السوري في السادس من أكتوبر عملا رائعا .. اذ كسر طبقة الثلج السـميكة التي كست الموقف السياسي ، وخلق فهما أفضل لحقيقة أنه اذا لم ترضخ اسرائيل للحل الوسط فان عليهـا أن تواجه حروبا أخرى .

ووعى العالم كله هذه الحقيقة التي كانت غائبة عنه قبل حرب رمضان ، التي كانت عملا أنجزه العرب بجدارة وشجاعة ، وجعلت اسرائيـل تدرك مدى كفاءة العرب بعـد أن كانوا قد بالغوا في التقدير وقللوا من قدرتهم فنشأ بذلك عنصر المفاجأة ذو الطبيعة التكنولوجية عندما اصطدموا بالواقع في مسرح الحرب » .

١٠ ـ « وفي الثالث والعشرين من أكتوبر خـرق الاسرائيليون اتفاقية وقف اطلاق النار ، واستطاعوا بالغش أن يتقدموا ، وهي خدعة اسرائيلية معروفة ، طالما لجئوا اليها في الماضي ، اذ دفعوا باغارات مدرعة الى السويس والى الغرب ، وأعتقد أن الهدف هنـا كان سيكولوجيا محضا ، اذ كانوا يتوقعون أن يحمي وقف اطلاق النار قواتهم من الدمار ، لذلك فهي ليست عملية عسكرية بل مظاهرة تليفزيونية ..

ويبين ذلك أن خطة مصر للحرب كان ينبغي أن تمتد لتشمل وقف اطلاق النـار ، وتحدد ما تراه مناسبا ، وما يلزم توفيره والا فان العدو سوف يستغله في تحسين موقفه .. وعلى العرب أن يعالجوا هذه المشكلة ، **فهي احدى الاعيب اسرائيل** » ..

وفي الختام فلنستعرض أثر كل ذلك على الأمن الاسرائيلي ، والواضح هنا أن الجيش الاسرائيلي لم يعد يتمتع بالتفوق السـاحق الذي كان يتمتع به سابقا ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل ، وأعتقد أنهم قد فهموها تماما ، ولم يعد أمامهم الا أن يختاروا أحد أمرين :

• فاما أن يشعروا بمزيد من عدم الأمن ، وبالتالي يزيدوا من قوتهم العسكرية وخاصة من الناحية النوعية ، ويصبحوا أكثر تشددا فيما يتعلق بما يسمونه الحدود الآمنة .

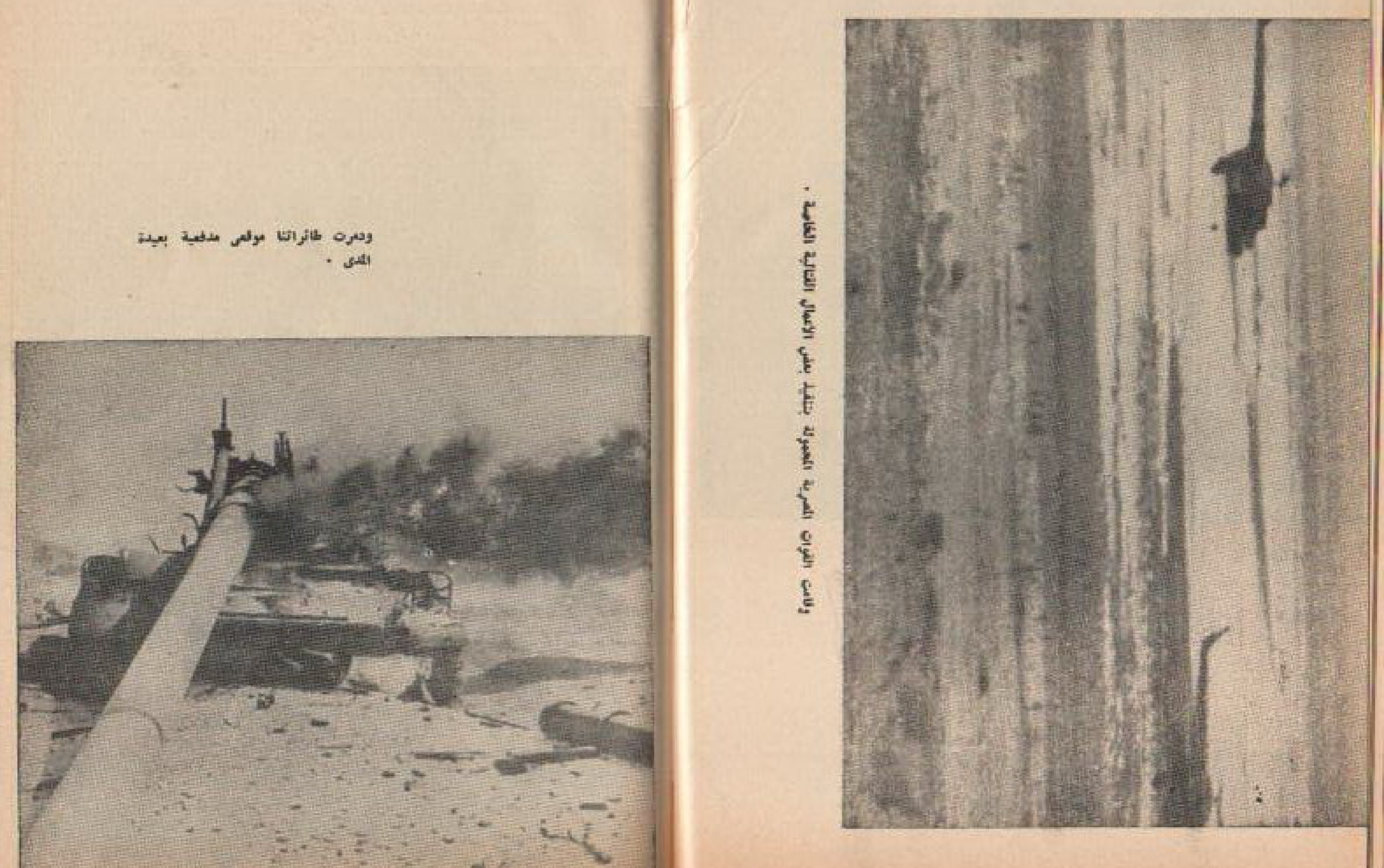
• واما أن يوافقوا على التوصل الى تسوية باعتبار أنها أفضل وسيلة لبث الفرقة بين العرب .

• ومهما يكن الاختيار فسوف يستمر الاسرائيليون في السـباق النوعي للتسليح ، وأنا متأكد من ذلك تماما ، وعلى الطرف الآخر فان النجاح العظيم الذي حققه العرب في هجومهم يوم ٦ أكتوبر يكمن في أنهم حققوا تأثيرا سيكولوجيا هائلا في معسكر الخصم ، وفي المجال العالمي الفسيح ، ويبقى عليهم بعد ذلك أن يفكروا في نتائج هذا التأثير على العالم ليحصلوا على مؤازرته وتأييده » .

(جنرال الجيش أندريه بوفر ـ ندوة في أكاديمية ناصر العسكرية العليا ـ القاهرة ـ ١٥ نوفمبر ١٩٧٣)



وبدات مرحلة التخطيط والتجهيز



وقامت القوات المصرية المحمولة بتنفيذ بعض الأعمال القتالية الخاصة .

ودمرت طائراتنا موقعى مدفعية بعيدة المدى .

فوجئت القوات الاسرائيلية بشبكة
الصواريخ المصرية ..

... ومئات المدافع المضادة للطائرات .

بالأظافر والأنياب تسلقوا الساتر العالي .





ووضع ثمانية آلاف جندي أقدامهم على الضفة الشرقية للقناة . وهم يهللون .. الله أكبر .. الله أكبر





وانشئت عشرة كبارى ثقيلة وعشرة
كبارى مشاه

←

وارتفع علم مصر على الضفة الشرقية .



واخيرا وافقت القيادة على ان تسلم انفسنا عن طريق الصليب الأحمر

« ملازم ناحوم بن زيون » .

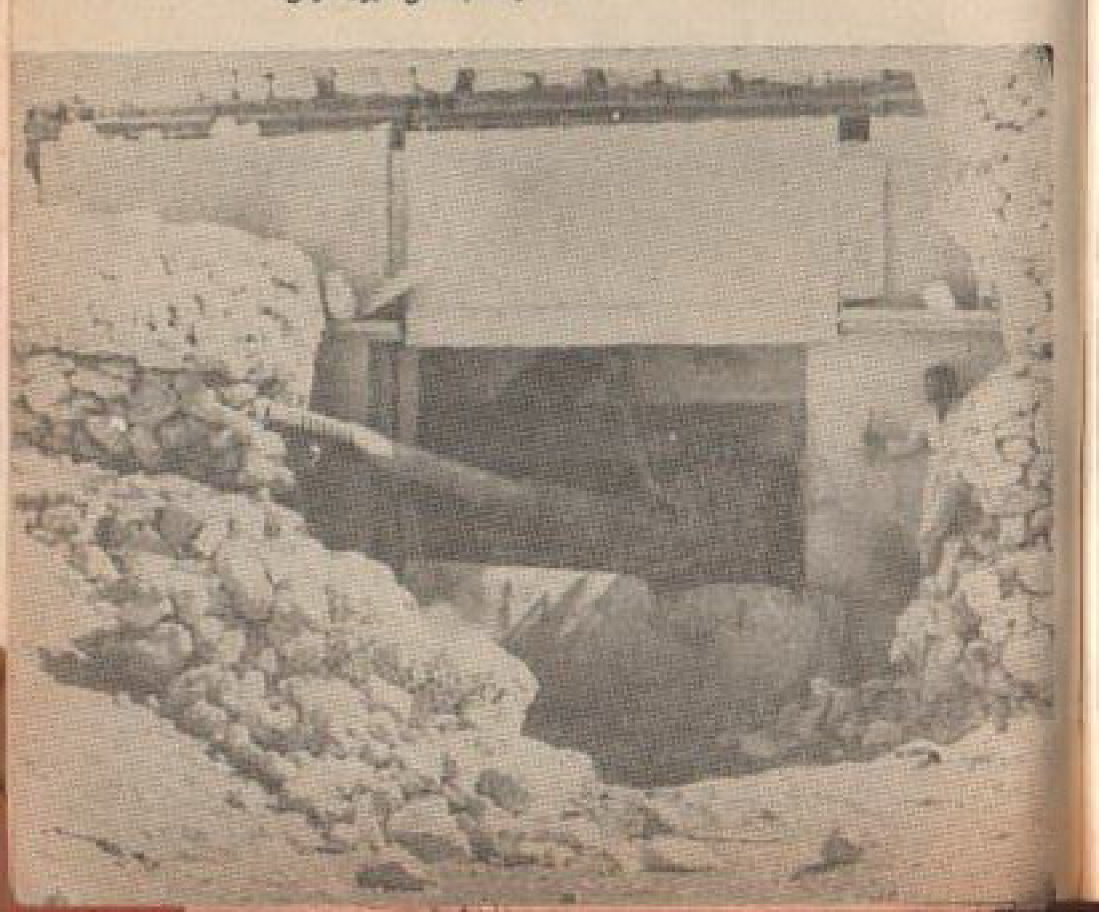


وظل الاعتماد الرئيسى للقيادة الاسرائيلية
على قلاع خط بارليف بصفة خاصة .



وفى اقل من ست ساعات سقط
خط بارليف .. وتحطمت الاسطورة .

واستولى الجيش الثالث على مدافع
العدو سليمة فى عيون موسى .

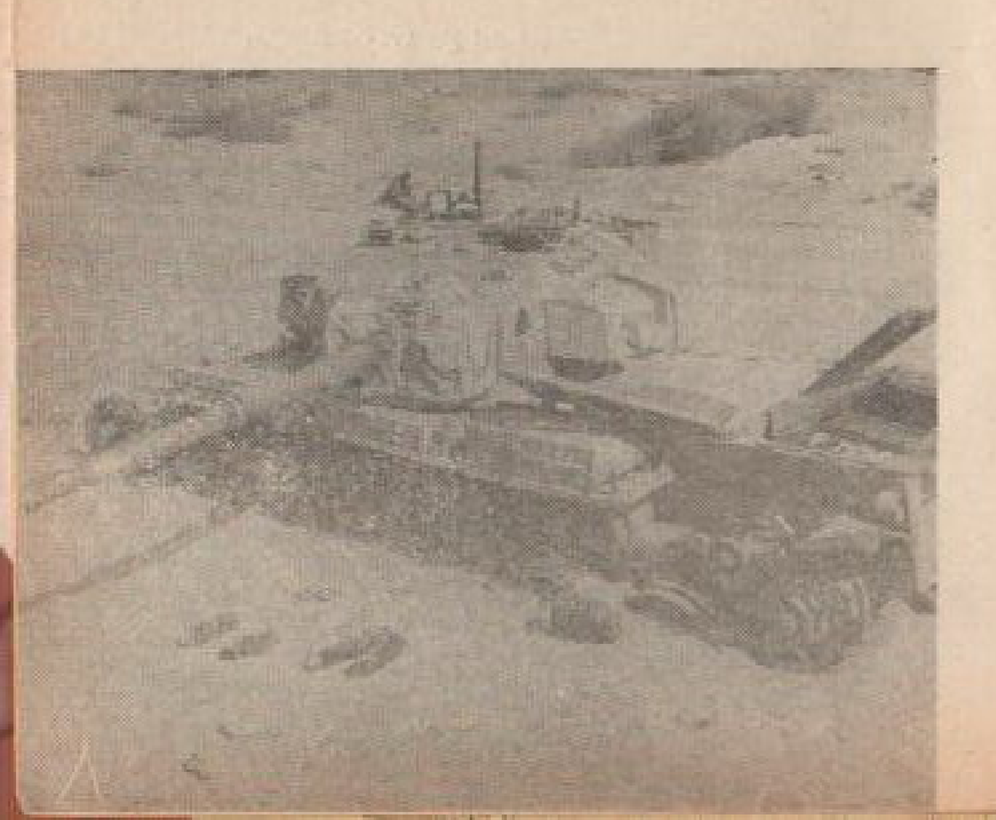




واستردت الفرقة ١٦ مشاة الأرض ـ
المفقودة قبل أول ضوء ٠



حطام الدبابات الاسرائيلية مبعثرا
على امتداد الصحراء ٠





وفى الساعة ١٧١٠ وقع اول ضباط
العدو اسيرا فى أيدى قواتنا .



ولا يزال حطام الدبابات الاسرائيلية مبعثرا على امتداد الصحراء .

« جرانفيل وست »

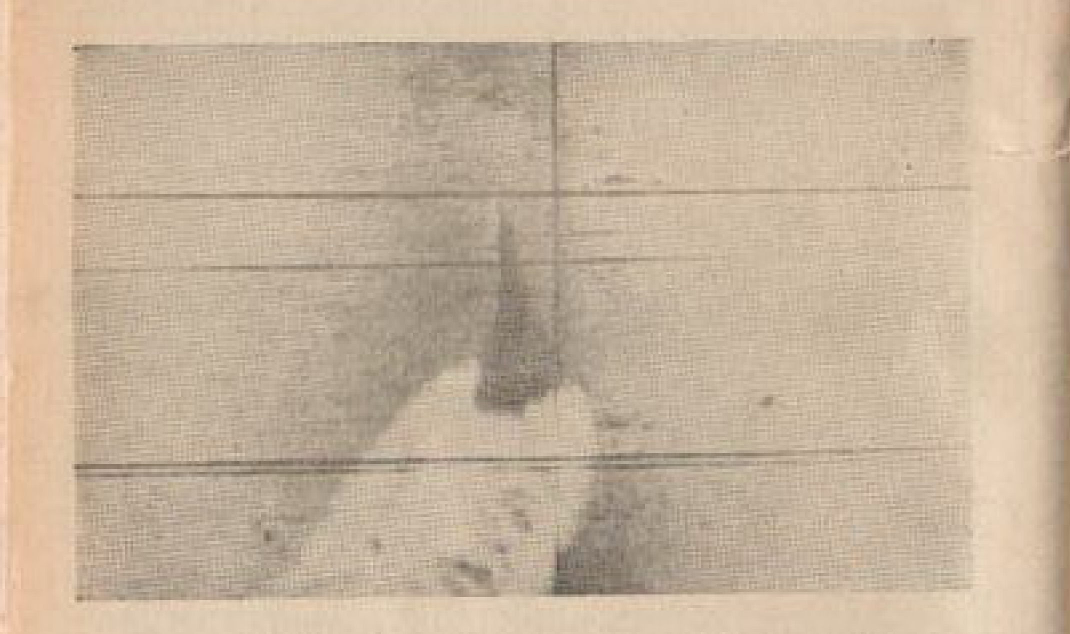


وتصدت قوات السويس الصامدة للعدو





وكان هدف الطيارين المصريين النصر
او الشهادة .



وتحطمت الاسطورة ٠

.. وسقطت النجمة السداسية
الزرقاء .

واسقطت قواتنا الجوية ٦٠ طائرة
معادية فى معارك جوية .



فهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥٩٥/١٩٧٤



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب